

المروطا

إبراهيم هاشم فلال

مرصاد المرصاد

عبدالله عبد الجبار

نقد المرصاد

حسن عبدالله قرشي

المرصاد

تأليف

إبراهيم هائم فادلي

(١٣٢٤ - ١٣٩٤ هـ)

ومعه

مرصاد المرصاد عبد الله عبد الجبار
نقد المرصاد حسن عبد الله القرشي

النادي الأدبي - الرياض

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

كتاب الشهر (٢٣)

ذو القعدة ١٤٠٠ هـ - أكتوبر ١٩٨٠ م

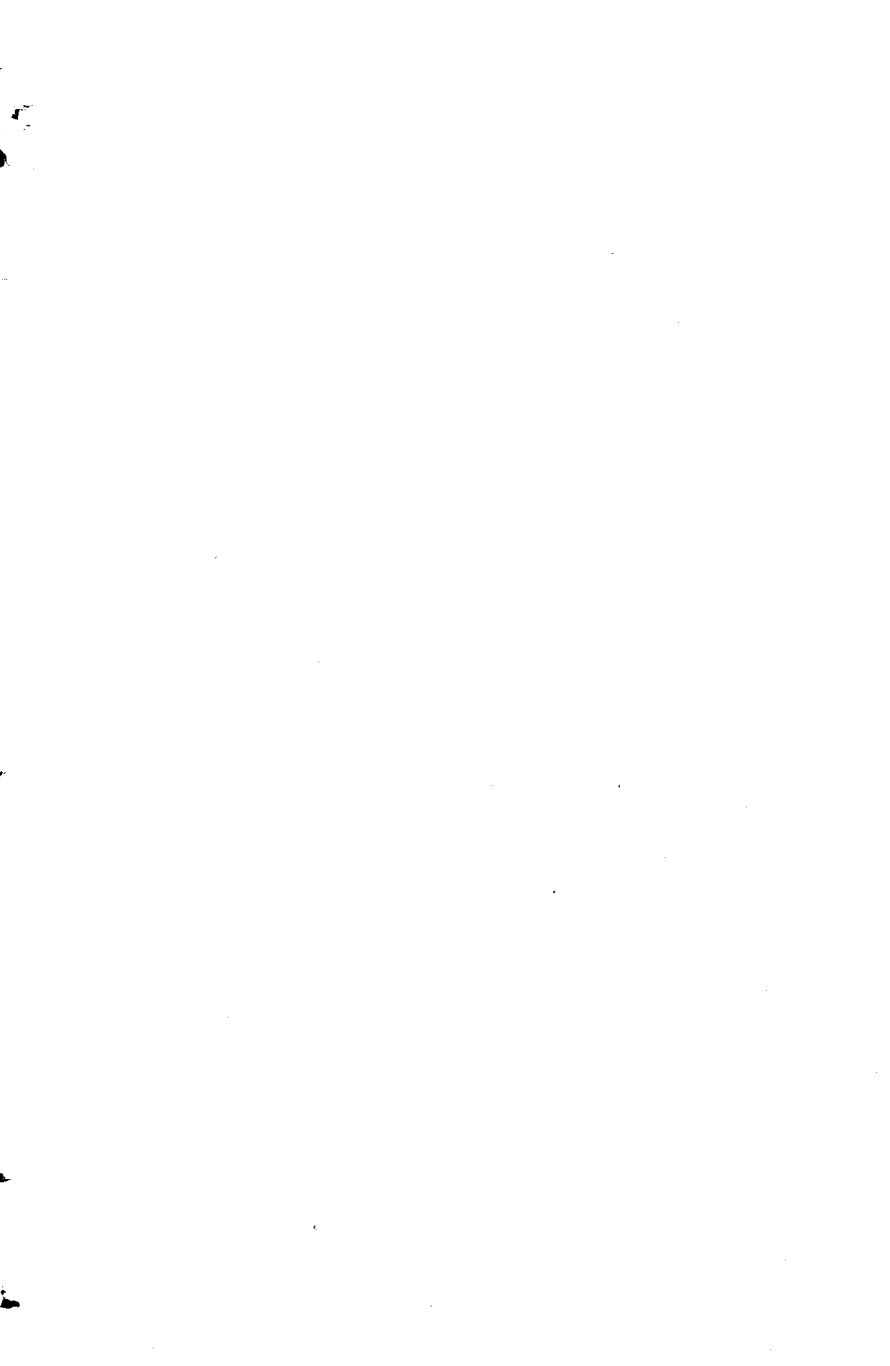
النادي الأدبي - الرياض

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٨٥٣١

هاتف : ٤٧٦٦٦٣٠

★ الطبعة الثالثة معدلة ومنقحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عن الكتاب

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٧٠ هجرية
١٩٥١ ميلادية عن مجلة المنهل في جزء واحد جاء في ٤٢
صفحة :

كما صدرت الطبعة الثانية منه عن المطبعة المنيرية بالقاهرة
في ٣ أجزاء ، الأول والثاني تاريخ نشرهما ١٣٧٥ هجرية
١٩٥٦ ميلادية ، وتاريخ نشر الجزء الثالث ١٣٧٤ هجرية ،
١٩٥٥ ميلادية .

ويقع الجزء الأول في ٦٣ صفحة والجزء الثاني في ٨٨
صفحة وألحق به مرصاد المرصاد لعبد الله عبد الجبار الذي
شغل الصفحات من ١٨٩ إلى ١٠٨ أما الجزء الثالث فجاء
في ٦٧ صفحة .

وقد لقي هذا الكتاب اهتماماً كبيراً عند نشره ، فكتب
عنه العديد من الأدباء والنقاد ، وناقشوا الآراء التي وردت فيه
وكانت من الجرأة بحيث أنها خرجت عن المألوف في ذلك الوقت
وهذه الطبعة الثالثة للكتاب ، ننشرها بعد اجراء
بعض التعديل على الطبعة الثانية ، ويتمثل التعديل في توحيد

التّرقيم مع الابقاء على تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ،
ووضع فهرس محتويات واحد ، ونقل مرصاد المرصاد من
مكانه في نهاية الجزء الثاني بالطبعة الثانية إلى جزء الملاحق
في هذه الطبعة ، والذي يضم أيضاً نقد المرصاد لحسن عبد الله
القرشي ، وكان قد نشر في مجلة المنهل في الجزء السادس من
السنة الثانية عشرة (محرم ١٣٧١ هـ / أكتوبر ١٩٥١ م) .

كما أن هذه الطبعة تضم تعريفاً بالمرحوم الفلالي كتبه
ابنه إسامه الفلالي الذي تفضل مشكوراً فأذن للنادي الأدبي
 بالرياض بإعادة نشر الكتاب، وزودنا بنسخته من الطبعة
الثانية التي تعد نادرة ، والتي أعتمدنا عليها في هذه الطبعة
الثالثة .

يحيى ساهاني

عن المؤلف

بقلم أسامه إبراهيم فلالي

ولد إبراهيم هاشم فلالي بمكة المكرمة عام ١٣٢٤ هـ .
لأسرة عربية نماها الدم الزاكي عبر الحسين وفاطمة
الزهراء إلى سيد الانبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - .
درس بالمدرسة (الصولتية) وتخرج منها بأعلى شهادتها
آنذاك .

وتلقى بها على النهج القديم علوم اللغة والبلاغة والمنطق
والتفسير والحديث والفقه وسائر العلوم العربية والاسلامية .
وكانت حياته العملية سلسلة من الوظائف والاعمال . .
عمل بمكة مدرساً ثم محاسباً للاسعاف الخيري، ثم قائماً
بأعمال الدفاع عن فلسطين . . ثم عضواً في هيئة التمييز
إلى جانب الطوافة .

ولما انتقل إلى مصر افتتح دكان (عطار) فلم يصلح
(العطار) حاله ولا حال ذويه فالتمس عملاً آخر، وكان أن
عُين مراقباً مساعداً بدار البعثات السعودية بمصر . . . وكانت
هذه آخر وظائفه الرسمية .

ثم تفرغ للأدب والبحث مستعيناً بأعمال صغيرة كأدارة مقصف بمدرسة منيل الروضة^(١)، ثم بمعاش ضئيل وما كان يصله من مكة من إيرادات الوقف والطوافة وكان كفاحه في سبيل توفير لقمة العيش لاسرته الكبيرة التي كانت تبلـغ العشرين مثلاً رائعاً في الكفاح وكل همومه ومشاكله العائلية المستعصية لم تكن لتمنعه من القراءة والانتاج ونظم القريض وتحرير المقالات .

ثقافته : -

وكانت ثقافته في جوهرها عربية اسلامية مع إلمام بأطراف من ثقافة العصر .

ومكتبته عامرة بذخائر التراث الإسلامي ودواوين الشعر وكتب الأدب واللغة والتاريخ، مع مجموعة من المترجمات الحديثة . . . وكان من عاداته التعليق بخطه على هوامش الكتب التي يقرأها كما فعل حين قرأ كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) لبر وكلمان وكتاب (رأس المال) حيث كانت له تعليقات ذكية مضيئة .

(١) التي كان يديرها المربي الكبير الأستاذ المرحوم السيد ولي الدين أسعد رحمه الله .

آثاره :-

في التراجم :

١- رجالات الحجاز ٢- عمر بن أبي ربيعة

في النقد الادبي :

١- المرصاد (ثلاثة اجزاء)

في القصة :

١- مع الشيطان « مجموعة قصص »

في الشعر :

١- صباية الكأس ٢- ألحاني

٣- صدى الألحان . ٤- طيور الأبايل .

في الدراسات الإسلامية والاجتماعية

١- أين نحن اليوم ؟ ٢- لارق في القرآن .

مخطوطات لم تطبع :

١- نداء الفطرة (بحث في صلة الدين بالعلم » .

٢- غناء في الصحراء « ديوان شعر » .

٣- مذكرات شخصية .

ولقد لبيّ نداء ربه في سنة ١٣٩٤ هـ بعد أن نيف على

السبعين « رحمه الله » تاركاً وراءه تراثاً حياً في الشعر والنثر
والبحث تعتز به البلاد . . . وعسى أن يلقي من عناية الباحثين
ما هو جدير به والله الموفق ،،،

أسامه إبراهيم فلالي
المحاضر بكلية الاقتصاد
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

حرر في ٢١/٤/١٤٠٠ هـ . الموافق ٨/٣/١٩٨٠ م .

المحتويات

٧	عن الكتاب
٩	عن المؤلف
١٣	المحتويات
٩٦-١٧	الجزء الأول
١٩	المقدمة
٢٥	القنديل
٣٣	حقيقة في خيال لضياء الدين رجب
٣٥	محاورة لمحمد حسن فقي
٤١	الزمان لحسين سرحان
٤٦	فجوى وحنين لحسين عرب
٥١	زهرة الشك لمحمد حسن عواد
٥٨	مع القمر لأحمد جمال
٦٠	الجامعة العربية لحسن قرشي
٦٣	السلام لأحمد عبد الغفور عطار
٧٠	الزمخشري
٧٨	السباعي
٨١	الأنصاري

٢٣١	مسر حيات الأستاذ عبد الله عبد الجبار
٢٣٩	ما وراء الآيات
٢٤٩	٤٦ يوماً في المستشفى لمحمد عمر توفيق
٢٥١	كيف كنا لعبد الله خطيب
٢٥٤	الزنايق الحمر لتاغور
٣٠٣-٢٦١	الملاحق
										الملحق الأول : موصاد المرصاد لعبد الله
٢٤٨-٢٦٣	عبد الجبار
٣٠٣-٢٨٥	الملحق الثاني : نقد المرصاد لحسن قرشي

الجزء الاول

مقدمة

ليس الأدب ملهاة يتلهى بها الناس ويعبث بها الأطفال ،
وليس هو مائدة مباحة للمتطفلين . ولكنه عصارة النفوس
والقلوب والعقول ، وصور للإنسانية لا يحذق تصويرها
إلا اليد الصانع الماهرة ، ولا تجيد ألوانها إلا ريشة الفنان
الملمهم .

والصورة الأدبية للوجود الخالد لا يحسن تصويرها إلا
الذين أوتوا القدرة عليها . وأولئك هم الأدباء الخالدون
الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا أدباء أرادوا أم لم يريدوا ،
كالنحلة التي لا يمكن إلا أن تنتج عسلا شهيا أرادت ذلك
أم لم ترده ، علمت به أم لم تعلم .

ولا يضار النحلة أن يتشبه بها الذباب ؛ ولا يضيرها أن
يشاركها في ارتشاف الرحيق من الزهور كما ترشفه هي
سواء بسواء ، ولكن الذباب لا يستطيع أن يفرز عسلا وليس
في وسع النحلة أن تفرز شيئا غير الشهد .

وكما أن العسل الخالص من الشوائب فيه شفاء للناس .
كذلك الأدب الصحيح فيه صلاح للإنسانية وسمو بها .

لأنه روحها . وهو الأفق الرحيب ، الذي تترقق فيه
النسمات النقية المنعشة .

فعلى الذين تهمهم حياة الأدب في بلادنا أن يحرصوا على
أفقه الرحيب ، ولا يدعوا أبخرة الرووس الجوفاء تتسرب
إلى نسماته العذاب النقية فتعكرها .

نحن في فجر نهضة أدبية قد آذن ضحاها بالسطوع القوي
الباهر ، ولنا شبيبة ظمأى تريد أن ترتشف من مناهل الأدب
ما يروي ظمأها ، وأقرب ما يرتشفه الظمآن ما كان في
متناول يده من نتاج أدباء بلاده وشعرائها . وحرام على
المخلصين للأدب أن يتركوا شبابهم وفتيانهم يتنهلون من
الماء الرنق . فلا بد من تنقيته وتقديمه شرابا نقيا سائغا
ليضمن حياة أدبية صحيحة .

وقد آن لنا الآن ألا نتجاوز عما كنا نتجاوز عنه سابقا ،
وأن تصحح الموازين الأدبية تصحيحاً لا يسمح بإدخال
الغش فيها .

فقد بدأت هذه البلاد نهضتها الأدبية متطلعة كغيرها إلى
حياة حافلة بالمعاني السامية ، لتعيد مركزها الأدبي الذي
كانت تتمتع به في ماضيها المجيد ، ولتحتل بين شقيقاتها
مكانتها الأدبية المرموقة ، حتى لا تكون متخلفة عن لداتها
في هذا المجال .

وقد مضى عليها ما يقرب من ثلاثين عاما وهي تقرأ
وتنتج حتى كونت لها نتاجا أدبيا لا بأس به ، ويصح أن
نسميه بالنسبة لمحيطنا ثروة أدبية ، وقد أفادت هذه الثروة
في رفع مستوى الذوق الأدبي ، وضروري أن يرتفع
هذا الذوق عن ذي قبل ، فنلاثون عاما ليست بالزمن
القصير ، فهو إذا لم يرتق فيها كان كحكم المعدوم الذي
لما يخلق بعد .

وللرعيل الأول من الأدباء فضل لا يجحده إلا من لم
يقدر لذوي الجهود جهودهم ، ولكن ليس معنى ذلك أن
هؤلاء أجادوا في كل ما كتبوه ، وكيف تيسر لهم الجودة
قبل أن تتوافر لهم أدواتها الكاملة ، فهم لا يجدون طريقا
مهدأ ولا أرضاً معبدة لينوا عليها القصور الشواهد والحدائق
الغن ، وإنما وجدوا طريقا كله صخور وحفر ، فكان همهم
منصرفا لتعبيد الطريق ، كما قال المازني عن نفسه وعن زملائه
من الرعيل الأول للأدباء في مصر ، وما يصدق على أولئك
يصدق على هؤلاء ، ولكن الرعيل الأول من أدباء مصر لم
يكنهم أن يعبدوا الطريق لبني غيرهم ويقبعوا هم في أكواخ
العمال ، بل راحوا بعد أن توافرت لهم أسباب البناء بينون
القصور الشم ، ويغرسون الحدائق الفيح ، ولم يسمحوا
لأنفسهم أن تكتفي بمجهودها الأول ، ولا بما نالته من
شهرة ، وبذلك أثبتوا لنا أنهم كما يحسنون العمل بأداة

العامل، يمدقون العمل بريشة الفنان الماهر . وأبوا إلا أن يكونوا عمالقة الأدب العربي في عصرنا الحديث ، وسيكون من بعدهم عيالا عليهم أرادوا ذلك أم لم يريدوه .

فهل صنع رعيلنا الأول صنيع أولئك ١٢٢ .

إن تحسن الإجابة على هذا السؤال ب (نعم) فلا يحسن أن نكتفي بها ، فإننا إذا بحثنا عن مصداقها نجد كثيرين من الرعييل الأول نفذوا أيديهم من الأدب واستروحوا الراحة في البعد عنه ، كالعامل الذي علقت به الأثرية والغبار وأضناه العمل ، فنفض يديه منه ، ليستروح الراحة في ظلال كوخه الحقيق .

أما الباقون فمنهم من لم يحاول تجديد نشاطه ، ليكون لنتاجه رواء العزيمة التي لا تعرف الكلال ، فجاءت آثاره مطبوعة بما ناله من جهد وضني ، وأولئك الذين لا يحسن بنا أن نتركهم يعبثون بجرمة الأدب، ولا أن نتركهم فريسة الغرور ، بل من الرحمة بهم أن ننبههم لما وصلت إليه حالتهم من الجهد والإعياء لعلهم يعالجون أنفسهم بعد أن ينبهوا إلى الخطر المهدق بهم ، فلا نفجع بفقدهم على غرة من المجال الأدبي .

ومنهم من لم يعد صالحاً للحياة الأدبية ، وخير لهؤلاء أن يستريحوا من عناء الأدب ، ولهم في رصفائهم الذين نفذوا

أيديهم من الأدب أسوة حسنة . أما الذين ما زالوا يبذلون للأدب من نفوسهم ما يجعل آثارهم تفيض قوة وحيوية ، فأولئك الذين نضع يدينا في أيديهم متعاهدين على أن لا نترك حياتنا الأدبية يعث بها أديعاء الأدب ومن أدركهم الكلال إلا أن يجددوا نشاطهم . لنقدم لشبابنا أدياً صحيحاً قويا نظيفاً فقد طال بنا الأمد ، ونحن نقبل الآثار على علائها ، أما الآن فلا نقبل منها إلا كل ما يثبت للتقد ويصلح للحياة . حتى لا يبقى مجال لأحد إلا للذي الفن الصحيح ، وبذلك نأمن على مستقبل الذوق الأدبي في بلادنا ولا نصاب بالنكسة فيه ، ونمشى قدما في إشادة مجدنا الأدبي الحديث .

لقد مرت - كما قلت - ثلاثون سنة ونحن نعالج الأدب نتاجا وقراءة ، وكنا نأمل بعد هذه المدة الطويلة أن نرى أدياً أقل ما يقال في حقه إنه أدب صحيح تشبع فيه الحياة ويبشر بمستقبل طيب . أما أن نرى فيه الغثاثة ، ونلمح فيه تجرده من روح الفن الأصيل ، فهذه هي النكسة بعينها ، وذلك ما لا يحتمله المخلصون للأدب ، والمجاهدون في سبيله .

بعد ثلاثين سنة من كفاح أدبي - قراءة ودرسا ونتاجا ونقداً وتمحيصاً وتوجيها - يصدر العدد الممتاز من جريدة (البلاد السعودية) بتاريخ ٦٦/٤/٣ هـ فأتناوله بلهفة . . لطفة من نأى عن بلاده ولا يزال نائياً عنها ولها في نفسه

الحنين ، ومن قلبه الحب ، فهو يعيش في مصر بجسمه ، وفي
بلاده بفكره وقلبه ووجدانه ، ويتطلع إليها كما يتطلع
الظليم إلى أمه ، ويستنشق روائحها في كل ما يصل إليه منها

القنـدِيل

وأطلع إلى العدد الممتاز ، وأخمن أني سأجد فيه شعراً ممتازاً ، ولكن طالعي أول ما طالعي العدد بعنوان (هذا سبيلي) (كذا) وهو عنوان قصيدة للأستاذ أحمد قنديل فبدأت أقرأ :

صناعتي في الورى الكلام به

أحيا فقيراً وحرفنى الأدب

فإذا بشيء في أعماق نفسي يصبح بي : لا تقرأ ! فأني مطلع هذا ؟ لا براعة استهلال كما يقول علماء الأدب القدامى ، ولا جمالا في الأداء . ولا صدقا في البكاء . . إن كان مطلع البيت بكاء أو حسرة ، ولا خبراً يشوق النفس فتلقت إليه متأثرة متطلعة . أي إحساس تستشف من وراء هذه الألفاظ المرصوفة ؟ إنه كلام ميت لا حركة فيه ولا حياة ، حتى ولا نغمة حزينة ، تحسها في الكلام كما تحسها في الكلام الذي يرسله شخص فقير الحال يقول لك : إنني فقير ، عن صدق — دون أن يعتمد إلى وزن الكلام — إنها كلمات مرصوفة لا لتؤدي معنى يفعل في النفس ما تفعله

المعاني الكبيرة ، ولا لتعبر عن شعور من يحس بالفقر ولوعته ، ولكنها كلمات رصفت ليتم بها الوزن ، وليقول أتباع (الخليل) إنه بيت موزون .. حتى رصف هذه الكلمات ورصها بجوار بعض لم يكن رصفاً معني به من قائله ، وكل ما يفهمه القاريء أن هذا الأستاذ يريد أن يقول : صناعتي الكلام .. والكلام هنا ، بمعنى الأدب ، ثم يخشى أن يكون سامعه لا يفهم ذلك ، فيقول له مؤكداً : وحرقتي الأدب يعني صناعتي الأدب ، فكأنه يكرر على السامع : صناعتي الأدب صناعتي الأدب ، وبعد أن يطمئن إلى أنه أفهمك بأنه يحترف الأدب احترافاً ، يقول لك إنه يحيا فقيراً ، وبمثل هذا التكرار الثقيل يثقل على سامعه فلا يجد بدا من أن يرد عليه : احى يا أستاذ كما شئت ، فالأدب غير ملوم في ففرك إذا كانت هذه سبيلك في الأدب والشعر .

ولكني لم أستمع لصرخة أعماقي ، وقلت في نفسي : لأستمر في القراءة ولأنتقل إلى البيت الثاني ، لعلي أجد فيه ما يحملي على التغاضي عن سوء المطلع ، فان كثيراً من الدور في بلادنا ذات مدخل يغم القلب ، ولكن إذا تجاوزت مدخلها ، وجدت داخل الدار ساراً ومبهجاً ، ولعل هذا مثل ذاك ، فجاء البيت الثاني تقديراً (لواقع) ، ولكن بأسلوب العامة ، لا بأسلوب شاعر . . . وإليك البيت أيها القاريء لثلا تنهمني بالتحامل :

وإنما هذه الحياة سوى كل امرئ يقصده بها سبب

ولا أريد أن أقف طويلاً عند هذا البيت ، فإن أي
قارئ قادر على تقدير ما في البيت من أثار ، فإلى البيت
الثالث :

فكانز كتزه بها لغة وكاسب كسبه بها ذهب

ونستطيع أنا وأنت يا قارئ العزيز أن ننظم على
نمط هذا البيت عشرات الأبيات ، ونبعثها للأستاذ
عريف لينشرها لنا في العدد الممتاز ، فها بنا إلى النظم على
نمط القنديل :

وناصب نصبه بها ضعة	وجائع جوعه بها رهب
وسائر سيره بها عبث	وآكل أكله بها رطب
ونافث نفثه بها عجب	وشاعر شعره بها كرب
ونائم نومه بها دعة	ورامح رمحه بها تعب
وسالخ سلخه بها وبر	وجامع جمعه بها حطب
وآكل أكله بها حشف	وجائع جوعه بها نصب
وقائل قوله بها خطأ	وصامت صمته بها أدب

ونستطيع أن نستمر - إلى ما شاء الله - في نظم أبيات
من هذا النمط ، ولكن نخشى أن نطيل فلا يسمح الأستاذ
عريف بنشر ما ننظمه في العدد الممتاز خوف الإطالة . فألف
بيت على هذا النمط المرقص المطرب سهلة ميسورة ، ولو

كان الشعر هذا الذي يزعمونه وينشرونه على أنه شعر ممتاز ،
لأصبح أهل مكة كلهم شعراء ممتازين .

وعدد أبيات هذه القصيدة خمسون بيتاً عدا الثلاثة أبيات
المتقدمة ، وخير لي وللقاريء أن لا تأتي على آخرها لثلاث تدمي
أيدينا وأقدامنا من « المخشلب » الذي فيها . . وإذا لم تؤمن
بأن فيها « مخشلباً » فارجع إليها في العدد الممتاز وأحرص
على أناملك أن تجرح من « المخشلب » الذي فيها وأنت
تقلب الجريدة بين يديك .

وكنا نريد أن ننصح للأستاذ قنديل أن ينتقل بأفكاره
وعواطفه وآرائه وأحاسيسه ، وكل ما في نفسه ورأسه ،
من آراء ونوازع ، إلى ميدان النثر ، فإن للشعر قيوداً
لا يستطيع معها التحليق ، ولكن آثرنا أن ننظر إلى نثره
فاذ هو مغلق التعبير .

وهذه نماذج من نثره ننقلها إلى القراء من مؤلفه (كما
رأيتها) (١) :

« ذهبنا إلى السينما وشاهدنا فيلمين مصريين اثنين على
التوالي . . . إنها استعراض حياة وأخلاق وعادات ، ومجال
إرشاد ونقد وتوجيه ، ووسيلة بسط للعبارة وبعث للفكاهة
والمرح والسرور ، كما هي فرصة تقليدية لقتل السامة

(١) الصفحة ١٤ تحت عنوان ٣ - سينما .

وتزجية الفراغ ومحاربة الملل ، وتركيز طبائع وتوجيه
أذهان وابتلاع جيوب ، فالرقابة عليها - وهي كل ذلك أثراً
وتأثيراً - واجب ضروري الأداء والدوام لتتخذ مجراها
النافع والمستوى اللائق والوازع النبيل الدافع إليها وعلتها
في الأساس .

وهذا مثل محموم يقول : ذهبنا إلى السوق وشاهدنا
دكانين حجازيين اثنين على التوالي لإنهما - أي الدكانين -
استعراض بيع وشراء وفواكه ومجال زبائن ونقود وصرف
ووسيلة بسط للبضاعة وبعث للربح والمكسب والزيادة ،
كما هي فرصة تقليدية لقتل الإفلاس وتزجية الفاقة ومحاربة
التفليس وتركيز باعة وتوجيه مشترين وابتلاع نقود ،
- فالرقابة عليها وهي كل ذلك أثراً وتأثيراً - . فان كان
هذا تعبيراً أدبياً فما قاله الأستاذ قنديل تعبير أدبي .

ولعلنا تحاملنا على الأستاذ في نقل هذه القطعة من كتابه
ولعلها كبوة لجواد ، فلننتقل إلى مكان آخر من الكتاب
عسى أن نجد فيه ما يردنا إلى إعطائه حقه كأديب ، يحسن
النثر . فلتقرأ له تحت عنوان (غربة) (١) .

« مصر قطر عربي يزيد في تأكيد عروبه الرسمية -
باللغة القانونية اليوم - تزعمه الحركة العربية وشعوبها ،

فالإدراك والشعور بذلك وسيلتا اطمئنان لعدم الإحساس
بالغربة للقاصد العربي إليه والضارب في زحمة حياته ومجاليتها
المختلفة ، فهل هو كذلك في كل هاته النواحي العامة والعالية
منها على الأخص ؟ .

إنه في المؤلف العادي والبسيط المرتقب . . . كذلك . . .
ولكنه فيما عداه وهو أجمل ما في أجمل مدنه . بل إنك
لتشعر لتعدد اللغات والرطانات إنك في بلد أجنبي يزوره عرب
متمصرون ومصريون معدودون .

فالفرنسية واليونانية والإيطالية والإنجليزية وهي أقلها
وأقواها فاعجب ! و . . و . . هي البابلية التي تصافح
سمكك باستمرار في شارع فؤاد الأول وسليمان باشا وعماد
الدين وبمصر الجديدة وما قام مقامها » .

إن هذه اللغة القانونية المعقدة واللهجة البابلية المرتبكة التي
يتكلم بها الأستاذ في حاجة إلى مترجم يترجم لنا معنى
(البسط المرتقب) و (المؤلف العادي) و (عرب متمصرون)
و (مصريون معدودون) وكما أننا في حاجة إلى مترجم
يترجم لنا ما لم يستطع فهمه من لغته القانونية المعقدة ، كذلك
الأستاذ في حاجة إلى من يفهمه أن أحداً من الحجازيين
زاروا مصر أو عاشوا فيها لم يشهدوا ما شهده الأستاذ من
الرطانات المختلفة التي تطغى على اللغة العربية باللهجة المصرية
العذبة .

لا أريد الإطالة بنقل نماذج من هذا النمط ، فلدي
القراء كتاب : (كما رأيتها) فليرجعوا إليه ، وأنا كفيل
بأن نفوسهم ستغلق من إغلاق المعاني .. أستغفر الله .. من
إغلاق الألفاظ على المعاني ، حتى لا يستطيع أحد أن يتبين
من هذه الكتابة سوى ياءات النسبة التي يلصقها الأستاذ بكل
لفظ من أمثال : عرقي ، وهدفي ، وتقليدي ، واستمراري ،
ومظهري ، والاحراري ، والانطلاقي ، والذاتي ، إلى
ما لا نهاية .. أو تلك الضمائر التي لا تقف عند حد من
أمثال قوله تحت عنوان : (مباراة) :

« إلا أنها بعد هذا مجال لما تمليه دوافعها الأولى نظاماً
لاستكمالها وخضوعاً تهديبياً لأوامره ونواهيه » :

« ولقد جلسنا أول ما جلسنا نحن » .. فهذه عشرة
ضمائر في جملة لا تزيد عن سطرين ؛ وليس العيب عيب
الضمائر المتكررة بل في شغف الأستاذ بسرد الضمائر ،
أعوزه الأمر أم لم يعوزه .

والأدب فن يحتاج إلى نفس تبصر مواقع الجمال في
التعبير ، ليكون تعبيراً يستهوى القاريء إلى متابعة القراءة
دون أن يجد ما يصدمه ويوقعه في ألغاز ومعميات تحتاج
إلى مفاتيح ، وكدح مضمن ، حتى إذا ما بذل هذا الكدح
لا يجد شيئاً .. ليس هذا أدباً ، إنما هو رصف كلمات ..

إن الميدان الذي يجيد الأستاذ قنديل فيه صولاته وجولاته
وتنطلق فيه نفسه وتخلق ، هو ميدان الشعر (الحلمنتيشي)
الذي يطرف به قراء (البلاد السعودية) فليقصر جهوده
في فنه الأصيل ، فإنه إن وقف نفسه له فسيكون نابغة
الشعر الفكاهي في بلادنا .

حقيقة في خيال

ولانتقل بالقاريء إلى قصيدة أخرى في نفس العدد الممتاز
بعنوان : (حقيقة في خيال) للأستاذ ضياء الدين رجب .
مطلعها :

مشرق يجحد دنيا الفلق

ويغيم الكون إن لم يشرق

بيت مشرق كأول كلمة فيه ؛ وقد أتت لفظه « يجحد »
كأحسن ما تأتي في المكان اللائق بها ، وهي خير من أي كلمة
تؤدي معناها في هذا الوضع ، فإن الجحود أقوى أداء من
الإنكار فيما لو قال : ينكر ، ولم يقل : يجحد ، ولا تقوم
مقام « دنيا » في موضعها من البيت أية كلمة أخرى ،
فهي تنقل إلى الذهن انبلاج الفلق وما يزخر به من جمال
النسمة العليلة ، التي تترقرق فيه ، والأنداء كحبات اللؤلؤ
على ورق الأشجار ، وزقزقة العصافير ، وهي تستقبل
الصباح ، وارتعاش النجوم وهي تختفي رويداً رويداً قبل
أن تدركها أشعة الشمس ، تلك هي الدنيا الساحرة الفاتنة
في تلك الساعة الفاصلة بين الليل والنهار ، فكلمة « دنيا »

جمعت كل تلك الصور وألقتها في ذهن القاريء ، وجعلت خياله يعرف ما في ذلك الوجه المشرق من فتنة تجعله يجحد هذه الصور الساحرة ، وإن وجهاً يجحد هذه الدنيا هو وجه مشرق لا شك في سحره وجماله وتعايره وفتونه . . ثم تصور مقدار ما يشعر به الشاعر إذا لم يشرق وجه حبيبه ، فإن شعوره يريه أن الغيم يشمل الكون وما يصحب الغيم من أزمة نفسية تدع الناس - وخصوصاً - لدينا في الحجاز ، يهرعون إلى المنتزهات ، لتفريج تلك الأزمة التي تأخذ بخناقهم من الغيم المتراكم ، الذي حجر عنهم أشعة الشمس الوهاجة . . يغيم الكون في وجه الشاعر حتى يحس بالأزمة النفسية . فإشراق الشمس لا قيمة له إذا لم يشرق في وجه حبيبه معها ، هذا هو احساس الشاعر وذلك هو شعوره ، وإنه لإحساس صادق يحس به الذين يعرفون الحب ويعرفون كيف يعبرون عن احساسهم به في أداء جميل كجمال الحب ، بسيط كبساطة الطبيعة ، رقيق كرقعة قلب الشاعر ، أنيق كأناقة العاشق ، بينما يتجمل لحبيبه ، وهكذا تمشي في القصيدة فلا تجد ما يصرفك عن قراءتها ، فارجع إلى العدد الممتاز « من البلاد السعودية » فإنك واجدها فيه إذا كنت ممن يهتم جمال القول وجمال الأداء .

محاورة

وفي ذات العدد قصيدة بعنوان (محاورة) للأستاذ السيد حسن فقي مصدرة بكلمة : « قال لي وقلت له ، وتخبط الحقيقة بين غروره وكبريائي » قبل أن نقرأ القصيدة أهمس في أذن الأستاذ السيد حسن : أن هذا التصدير ما كان له له لزوم بالمرّة لأن القصيدة إن كانت شرحاً مفصلاً لهذا الإجمال فقد يكفي القارئ الذكي بالكلمة ، ويستغنى عن قراءة القصيدة ، ولا أظن السيد الأستاذ يرضي من أذكاء القراء بذلك ، وإن كانت الكلمة في جانب ، والقصيدة في جانب آخر ، فما معنى تصدير القصيدة بكلمة لا تمت إليها بسبب من الأسباب ، ثم أن روح المرحوم مصطفى صادق الرافعي تطل من وراء حروف الجملة ، وربما كانت له لفظاً ومعنى ، ولذلك وضعت بين قوسين .

وعلى كل فإن هذا التصدير لا أراه إلا بدعة في الأدب العربي ، وهي بدعة (غير ذات جمال) . وليغتنر لنا أستاذ الجبل سعادة لطفي باشا السيد إذا استعرنا تركيبه في هذا الأداء .

وعلى الشعراء أن يتخلصوا من هذه البدعة المرذولة .
ولنقرأ القصيدة التي هي الباب من بحثنا :

بعد لأي وبعد هجر طويل

زارني زورة البخيل العجول

ليس من خيمى مهاجمة الناس رغبة في العداء ، وللسيد
الأستاذ حسن فقي مكانته ، فإن فكرت في مهاجمة أحد
فهو آخر من أفكر في مهاجمته ، فلاكتف الآن بأن أقول :
إن لفظ « عجول » هذه التي اختارها لأن تكون تنمة البيت
وقافيته - والبيت مطلع لقصيدة طويلة ، لا عجلة ولا
استعجال فيها - كانت في غير محلها ، وإذا أضيف إلى ذلك
أنها ليست لفظة شعرية ، لا جرس ولا موسيقى فيها
رأينا مبلغ الحصر الذي أصيب به الأستاذ حينما أراد أن
ينظم قصيدته ، لأن معنى البيت ينتهي عندما قال الأستاذ :

بعد لأي وبعد هجر طويل

زارني زورة البخيل

ولكن وزن البيت لم ينته ، فاضطر إلى إقحام لفظة
(عجول) ليتم الوزن ، وكيف يقول الأستاذ : زاره
زورة البخيل العجول ، وهو يستمع إلى محاورته الطويلة
استماع من لا يشعر بمرور الزمن ، محاورة تستغرق نهراً
وربع نهر من أنهار (البلاد السعودية) فإن صح أن يكون هذا

المحبوب بخيلا فإن استماعه لقصيدة - استغفر الله -
(لمحاورة) يلخصها الأستاذ في ثمانين بيتاً تنفي عنه ما
يصمه به الأستاذ من عيب العجلة . .

فإذا انتقلنا من هذا البيت إلى الذي يليه نجده يقول :

خالني الزم الفراش من الهج

ر وأروي من الدموع غليلي

ظنه حبيبه يلزم الفراش ، ولكن السيد ليس من العشاق
الذين يلزمون الفراش بعد اللأبي وبعد الهجر الطويل . فأعطانا
السيد بكلمة « خالني » فكرة عن غباء محبوبه هذا ،
المحبوب الذي لا يدري بأن الدمع لا يروي الغليل وأن المحنة
والشدة والهجر الطويل لا تستطيع أن تنال من السيد ، لأن
السيد أقوى من عواطف الحب الجارف الشديد الذي يعصف
بالعشاق الصادقين .

أين حرارة الحب الصادق في هذا البيت ؟

أين الصدق الفني والتعبير المشرق ؟

أين لهفة العاشق الذي صحت أحلامه بزورة حبيبه بعد
المحنة والشدة ؟ .

اللهم لا شيء من ذلك . فليشهد الناس .

فأني يستبين ما يفعل الحب

بجسمي أو يستشف ميولي

جاءه مجيء الشامت به إن فعل الحب بجسمه ما يفعل
الحب بأجسام أهل الغرام ، وإن لم يفعل به الحب فقد

جاءه ليستشف ميوله ومع ذلك :

قال ويح الغرام يرميك بالسقم ويلوى عليك قصد السبيل

ويجاني ما بين عينيك والنوم فيضنيك بالسهاد الطويل

أما أن يكون هذا الحبيب أعمى ، لأن السيد براء من كل ذلك ، لم ينل منه الحب ، ولو نالت منه عاطفة الحب الطاغية لرأينا حرارتها في شعره .

أو أن هذا الحبيب يغالط نفسه فيقول له : « ويح الغرام »
السخ .

أو هو يهزأ بالسيد وبجبه ويسخر منه . وهو الذي نرجحه ،
بدليل توجيه هذه الأسئلة بلهجة الحبيب الساخر بمجبه :

هل عددت النجوم في هدأة الليل وأحصيتها بصبر جميل ؟

هل تغزلت في السماء وفي البدر وفي الشمس بالضحى والأصيل

وليمعن القاريء في قراءة هذا البيت :

حين أفلست من غرامك ثرا

بمعاني الحياة والتنويع

إن حبيب السيد يعرف إفلاس السيد من الحب ،
والإفلاس من الحب لا يوحى بشعر يصح أن يقال له شعر .

والسيد الأستاذ حسن فقي يقرر معنا أنه مفلس من
الحب ، وإن كان يأتي ببعض الألفاظ الدالة على مبلغ ما
يلاقي من الحب فيقول :

قلت يا فاني ضللت فإني
ذو فؤاد يضيق بالتدليل
يتلظى من وقدة الحب لكن
ليس يرضى منه بعيش الدليل

ونسى قول الشاعر الصادق :

تدلل لمن تهوى فليس الهوى سهل

ولكن السيد لا يهوى حبياً ولا يحس بحب أحد، إلا حب
نفسه فقط . ولست والله ، افترى على السيد ، ولكنه هو
الذي يقول :

أنا أهوى نفسي العزيزة من قبل (م)

هوى الجمال والسراء

إن نفساً لا تهوى إلا نفسها، وتضيق بالجمال إن لم يكن
فيها ، والسرور إن لم يكن نابعاً منها ، نفس جاحدة لما
عداها ، تنكر للجمال وتحقد عليه ، إن حب المرء نفسه
حباً يعميه عن كل شيء ، نقص وسبة ، ونحن نجل السيد
عنهما ، وكل ما نقوله إن التوفيق أخطأه في إبراز ما يريده
ويرمي إليه من المعاني .

والآن فقط أحسست بأن السيد حينما صدر قصيدته
بقوله : « قال لي وقلت له وتخبط الحقيقة بين غروره

وكبريائي « يريد أن يفهمنا من قوله هذا إنه متكبر وإنما
يعني بحب نفسه كبرياءه التي تخبطت بين غرور حبيبه ،
كما تخبطت معانيه في ألفاظه ، وكما تخبط هو بين حب
نفسه وكبريائها فلم يفرق بينهما .

وهذه كلمة أوجهها للسيد في هدوء لعله ينتفع بها : إن
حب النفس غير كبرياء النفس ، فإن حب النفس يفقدها
الشعور بحب الآخرين ، كما تفقد هي حب الآخرين لها .
فحب المرء لنفسه يعميه عن الجمال حساً كان أو معنى ، فلا
يرى في الوجود غير نفسه ، أما كبرياء النفس ، فهي
منقبة من المناقب التي يمدح بها الناس ، فإن الكبرياء في
النفس الإنسانية يمنعها من السفالات ويعلو بها إلى مقام التضحية
والسمو بها ، ويدعها تحب الجمال أيّاً كان ، حساً أو معنى ،
فإياك أن تخلط بينهما مرة أخرى .

يا صديقي النبيه ، وأنت سيد العارفين .

الزمن

وفي نفس العدد الممتاز قصيدة بعنوان : (الزمان)
للأستاذ : حسين سرحان وقد عرف القراء فيه شاعراً
مطبوعاً ، ويعرف القراء أنني أول من أشاد بهذه الشاعرية
في (مجلة الرسالة) الغراء في مقال نشرته فيها بعنوان :
(الحياة الأدبية في الحجاز) ولكن يبدو لي أن القلب
الشاعر ، في الأستاذ سرحان قد أعياه الكلال من كثرة ما
ينتج ، أو أن هذه الشاعرية لا تستقيم على وتيرة واحدة
فهي تارة تعلو وتعلو ، حتى لا يستطيع أحد إلا أن يدمي
يديه تصفيقاً ، إعجاباً بالشاعرية المرفرفة ، وتارة تهبط
وتهبط ، حتى لا يستطيع أحد إلا أن يخرج لسانه من فمه
مستنكراً ومستخفاً بالشاعرية التي لا تستنكر أن ينشر لها
مثل هذه القصيدة .

لقد ارتعت كمن يرتاع بفجعة حينما قرأت لك يا صديقي
السرحان قصيدة (الزمان) وقاتل الله الزمان :

شكونا زمانا لا يمر ولا يحلى

مسيخ مذاق مثل مستكره البقل

هل فاتك يا صديقي أن مستكره البقل ليس مسيخ
المذاق ، وإنما هو مر المذاق، حريفه من أمثال الفجل ،
والكراث وما شاكلهما ، و (مسيخ) هذه لا تؤدي المعنى
الذي تريده في اللغة إلا إذا أردتها بمعنى (ما سخ) في اللغة
العامية عند المصريين ومعناها قليل الحلاوة . ولا أظنك
تريد هذا ، لاني أنا وأنت من عشاق البقل الماسخ (كالرجلة)
و (الملوخية) و (السلق) و (الفول) و (اللوبية) .

نراوح منه فاسد الرأي والهوى

أذى ونغادى أعوج الفرع والأصل

وإن كان الشاعر في غنى عن هذه المراوحة والمغادة فما
الذي يحمله عليها وهو الذي يقول بعد هذا البيت مباشرة :

ولسنا نبالي المال فالمال هـين

ولا المجد إن المجد في نفثة الصل

ونستطيع أن نفهم أن المال عند أمثال السرحان لا قيمة له .
ولكن لا أستطيع لا أنا ، ولا أنت ، ولا أنتم ، ولا هو ،
ولا هما ولا هم ، فهم « إن المجد في نفثة الصل » .

ولكن المفهوم لي ولكم : « إن المجد في النقل » إلا
إذا كان المجد في عصرنا هذا انقلب ناكصاً على عقبيه عن
أمكنته المعروفة لدى الناس جميعاً ، وكن في نفثة الصل ،
وأي نوع من أنواع الصلال هذه التي تنفث المجد ؟ ، إن

الصلال لا تنفث المجد . وإنما هي تنفث السم الزعاف .
وقانا الله وإياك هذه النفثات المميتات يا أستاذ سرحان .

والغريب أن المجد لما كمن في نفثة الصل – كما يقرر
شاعرنا – أصبح لا يبالي به ، وعدم المبالاة بالمال والمجد
صفة من صفات المتصوفة لأن الزهد في هذه الأشياء من
سجايهم ، والشاعر والناس أنكروا علي نعت الأستاذ
السرحان بالتصوف ، حينما نعته به في الرسالة ، وها هو
اليوم يقررها لنفسه بنفسه فيقول :

إنه لا يبالي المال فالمال هين ، ولا المجد . فإذا قال لنا
(إن المجد في نفثة الصل) فلا نؤاخذه لأن للصوفيه شطحات
تجعلهم يتكلمون بعبارات لا مفهوم لها إلا في أخيلتهم :

رغائبنا شتى وتجمع بينها

إذا ما تعادت فطرة النفس والعقل

أما فطرة النفس فهذا صحيح ، ولكن فطرة العقل مسألة
فيها نظر .

فللنفس أوطار وللعقل مثلها

لو احتكما – يوما – إلى حكم فصل

ليست أوطار العقل كأوطار النفس ، ولكن الشاعر ما
قصده كما يبدو إلى ذلك ، وإنما أراد أن يقول : فكما أن
للنفس أوطاراً ، فللعقل أوطار، فهما – أي العقل والنفس –

متمثالان في أن لهما أوطاراً فقط ، أما أن أوطارهما متماثلة فلا . ولا أظن إلا أن في نفس الشاعر معنى لم يختمر، فما استطاع أن يبين عنه ، وقاتل الله العجلة ، فإنها مفسدة للأمر ، وليس كالأناه والتروي لمن أراد تجميل شعره .

وجدت زمان السوء يخدع أهله

وهم خادعوه حدوك المثل بالمثل

لا الزمان يخدع الناس ولا الناس تخدع الزمن ، وإنما الناس يخادعون بعضهم بعضاً ، وإن صح أن تطلق كلمة الزمن ونريد بها ابناؤه فلا يصح أن نطلق لفظة الزمن ، ونريد بها حقيقة الزمن، ثم نتهمه بمخادعة الناس ، فالزمن نفسه لا يخدع ، ولا تستطيع خديعة الناس أن تتصل إليه أو تؤثر فيه ، ولكن الشاعر يؤكد مبادلة الخديعة بين الإنسان والزمان بقوله : « حدوك المثل بالمثل » ولا أظني احنث إذا حلفت أن الشاعر ما جاء بهذا المثل السائر إلا لينهض يده من بناء بيت جهد نفسه في بنائه كثيراً فلم يستقم له البناء إلا بوضع هذه الجملة : « حدوك المثل بالمثل » فيه .

وستة أبيات كافية للتدليل على أن القصيدة التي لم تبلغ إلا تسعة عشر بيتاً، لم يترقق فيها من نفحة هذه الشاعرية المحلقة التي كنا نعجب بها ، ونتمنى لها زيادة السمو والارتفاع ، فإذا هي تطل علينا هابطة كالطيارة التي تفقد توازنها فلا

يستطيع قائدها أن يعيده إليها فتهدى إلى الحضيض ويصاب
المحبون لها والمعجبون بقائدها البارِع بفجیعة مفاجئة .
جدد نشاطك يا صديقي السرحان . فاننا ننتظر منك عنفوانا
في الشعر يعيد إلى المعجبين بك نشوتهم الأولى .

نجوى وحنين

من زمن بعيد كتبت كلمة بصوت الحجاز - كما
أتذكر - عن شاعرية الأستاذ حسين عرب . ورجوت
لهذه الشاعرية مستقبلاً طيباً :

والآن وبعد مرور سنوات تطالني قصيدة بعنوان
(نجوى وحنين) في العدد الممتاز هذا الذي لما أتركه من
يدي بعد ، فاذا بالشاعر لم يبرح مكانه ، وما زالت شاعريته
كما كانت ، وكأن الزمن لم يفعل فعله فيها . إن كان الشاعر
في حياته الجسمية كما كان من قبل سنوات ، ولم يترك مرور
الزمن آثاره في جسمه . فهو دليل قوة البنية ، ولكنه في
الشاعرية دليل ضعفها وركودها ، أو هو دليل نضوبها
وإمحالها . . . وإلا فلماذا لم تبرح شاعريته مكانها ؟ ! يعز
علينا أن تخيب شاعرية حسين عرب ما توسمناه فيها ، حينما
كتبنا مقالنا عنها ، قبل سنوات .

إن الأستاذ عرب يعني بالكلمات الرشيقة، ولديه منها
ثروة، ولكنه كأغنياء الحرب الذين ارتفعت ثرواتهم ولم
ترتفع أذواقهم ومداركهم ، فيضعون الأشياء حيث يجب أن

لا توضع . فجاء شعره أشبه بالصور التي كثرت فيها
الألوان الزاهية دون تفكير أو روية ، كمحترفي
التصوير الذين لا فن لديهم ، وإنما هم يقحمون أنفسهم مع أهل
الفن ، فيضعون عدة ألوان في الموضع الذي لا تسع إلا لون
واحد فتأتي صورهم لا حياة فيها ولا فن ، ولا شيء مما
يتم إلى الإجادة بسبب ، ولست أتجنى على الأستاذ حسين
عرب بكلامي هذا ، فلا شهوة لي في التجني على أحد ،
وليس هو بالناشيء الذي يجب أن يشجع ، فنتغاضى عنه
بعد أن تركنا له وقتاً طويلاً ونحن نتقبل منه ما يطالعنا
به من نتاج ، مشجعين مرة ومغضبين أخرى .

أقول : لست أتجنى بكلامي على الأستاذ ، وإلى القراء
قصيدته ليروا : مبلغ عبثه بكلماته الرشيقة :

يا رياض الحسن . من زهر ، ولحن ، وغصون
يا ملاذ الروح يا جنة قلبي وفتوني
إن قلبي في ثناياك لكالطيب الغريب
مستربب الخطو فيها بين خفق ووجيب
ساهما كالنسمة السكرى على الغصن الرطيب
لفها الليل بسربال من الصمت رهيب
كل ما سلسل شكواه عن الزهر النضير
زفت الأنسام نجواه إلى سمع الغدير

ثروة ضخمة من كلمات شعرية في غاية من الرقة
والعذوبة ، لو وجدت ريشة الفنان الملهم ، لصفقنا اعجاباً
بها . . ولكن - كما قلت - إن شاعرنا كأثرىء الحرب .
تضخمت ثروتهم ولكن ليس لديهم أي أثر من آثار الذوق
والإدراك .

إن الكلمات يا أستاذ لها معاني ، والقراء لهم فهم ، فإذا
قلت يا رياض الحسن انتقل ذهن القاريء وخياله إلى استيعاب
كل ما في الرياض « من زهر ولحن وغصون » فما معنى
رص هذه الكلمات ؟ لا داعي لرصفها الرصف المشين ،
وما يصنع أغنياء الحرب إلا مثل ما صنعت أنت . . يضع
الواحد منهم في خنصره عدة خواتم ذهبية جميلة بفصوصها
البراقة الثمينة التي تبلغ أثمانها مبلغاً خيالياً ، في الوقت الذي
يحتم الذوق والإدراك لمعاني الجمال أن لا يكون موضعها
غير خاتم واحد ولكنها الثروة الضائعة . . ضياع الأذواق
والاحساس بالجمال في نفوسهم ، فيستحيل الجمال إلى قبج ،
والأناقة إلى (هرجلة) .

يا ملاذ الروح يا جنة قلبي وفتوني

ولا نريد أن نقف هنا لثلا نوصم بالتمحك والعنت ،
وعلى كل فهذه الشطرة آتق - نسبياً - من سابقتها . . .

إن قلبي في ثناياك لكالطيب الغريب

هذه ليست نسمة . ولكنها غولة لها ثنايا تضع قلب الشاعر
 المكين بينها . ولكن أي قلب هذا الذي يبدو (ساهما -
 وهو بين الثنايا - ومثل أي شيء - مثل النسمة السكرى على
 الغصن الرطيب) كما يقول الشاعر : والله أيها القاريء
 إنني لم أفر على صديقي حسين عرب ، ولم أقوله ما لم يقل
 (إن كنت لم تقتنع بقسمي فارجع إلى العدد الممتاز ، واقرأ
 قصيدته بنفسك فستجدني إن شاء الله من الصادقين) ، لم أر
 نسمة ساهمة في حياتي قط ، وإن رآها الشاعر فلم أرها ولم
 يرها سمار الليالي وعشاق الرياض والذين لا يعرفون الرياض
 أيضا لم يروا ولم يتصوروا أن النسمة تثبت على الغصن الرطيب ،
 وتدع الغصن الحديد ، ولكن الذي أعرفه أنا ويعرفه الذين
 شاهدوا الرياض والبساتين والذين لم يعرفوها إلا بالسمع
 -- إن وجد في الناس من لم يشاهد في حياته روضة - كل أولئك
 يعرفون النسمة كما خلقها الله تترقق في الروض فتمر على
 الغصن الرطيب والغصن الحديد ، ولا تغرق بين زهرة
 وزهرة ، ولا بين غصن ودوحة . وتلامس أديم الأرض
 كما تلامس قمم الجبال لا فرق عندها بين رطب ويابس ؛
 وهكذا خلق الله النسمة ، لكن النسمة التي خلقها ذهن الشاعر
 يجهلها الناس ، وربما يجهلها ذهن خالقها أيضا ، وإنما
 هي شهوة الكلام بدون تفكير ، أو قل هي شهوة أغنياء الحرب
 في اظهار ما لديهم من ثروة ، كيفما عن لهم ، وكيفما

تراءى لذوقهم السقيم . . . لقد أضيفت على شاعريتك
الفتية - يا صديقي - ركاما جعلها تختنق قبل الأوان . . .
فهللم إلى رفع الركام ، واسعافها بالمنعشات ، لعلها تستفيق
من غشيتها . والله يتولانا ويتولاك .

زهرة الشك

وهذه القصيدة في العدد الممتاز للأستاذ حسن عواد ، ولا أدري ماذا أصاب العريف: أهو الافلاس في مواد الجريدة ؟ أو هو الافلاس في الذوق الأدبي ؟ أو هو الافلاس من الشجاعة الأدبية ؟ .

الأستاذ محمد حسن عواد ، والأستاذ حمزة شحاته شاعران سباقان ، وهما كفرنسي رهان في ميدان النتاج الشعري الجيد ، ولهما من الشهرة - عندنا - يعني في بلادنا فقط ما الله به عليم ، ولهما في الشعر أستاذية على كثير من الأدباء والمتأديين ، وإذا أردنا أن نتوسع في التعبير ارضاء لشعور المعجبين بهما نقول : إن كلا منهما صاحب مدرسة في التجديد الشعري والأدبي ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على جهودهما الأدبية الموفقة المتواصلة . إنني الآن أطريهما وأنا خائف ممن يقول لي لقد قصرت في حقهما ولم تفهما ما هما جديران به ، وأقول للذين يقولون هذا القول : إنني الآن في مجال استطراد موجز ، أما توقيتهما حقهما فمجاله دراسة أوسع من هذه سأوافي بها القراء

في المستقبل القريب إن شاء الله ، وسيأخذ كل ذي حق حقه بدون تجديف أو محاباة . أما الآن فقد آن أن نخفف من وطأة هذا الإعجاب الأعمى لأنه يرهقهما ويرهق مواطنيهما ، تمهيداً لما انتوينا القيام به من دراسة آثارهما بصورة أوسع ، لنوذي للتاريخ صورة من حياة أدبية مبصرة ، لا يضللها غمام الإعجاب ، ولا يودي بها اعصار الحقد . والتخفيف من وطأة الإعجاب بهذين الشاعرين أجدى على الحياة الأدبية من الاستمرار فيه .

وليكم أثر الاعجاب الأعمى ، وصنيعه بالعواد فقد جعله ينشر قصيدته هذه بالعدد الممتاز ، إما غفلة منه بهذا الأثر الذي يجب أن لا يصدر من مثله ، أو استخفافاً بقرائه لأنهم لا يفرقون بين الغث والسمين ، وكلا الأمرين مر . وليتمش القاريء معي متهملاً في تلاوة القصيدة :

ليلة الشك جئت - يازهرة الشك -

فكان اليقين أولي هباتك

إنني قدمت الأستاذ عواد لقراء العربية في مجلة الرسالة ، ووصفته بما هو جدير به من أوصاف النابغين من الشعراء . وصلتني به صلة المعجب بأدبه المباهي به كشاعر حجازي في مقدمة شعرائنا ، مضافاً إلى ذلك صلة الصداقة التي لا ضغن ولا حسد فيها ، فعسى أن لا أروع بفقدان صداقته ،

وعسى أن يكون الأستاذ واسع الصدر فلا يحمل كلامي محملاً سيئاً ، فإن الإخلاص لبناء مجدنا الأدبي يدفع إلى تخليص البناء مما يضعضه أو يشوه جماله .

إن هذا البيت زلة كبرى من زلات شاعرنا الكبير غفا ساعة تفرغه لنظمه إدراك شاعرنا وذوقه غفوة ثقيلة ، وإلا فأى رجل يحمل في رأسه إدراكاً وفي نفسه شعوراً بجمال الألفاظ والكلمات والمعاني ، يحيى ابنته ليلة ميلادها بقوله : (جئت يا زهرة الشك) ؟ إن كنا نغتفر مثل هذه التحية من عامة الناس فهل ننزل الأستاذ منزلتهم ؟ إن الأستاذ أرفع من أن ننزله عن مكانته لنغتفر له زلته .

ثم أية ظلال أو أية موسيقى في هذا البيت الجاف الحاف ؟ ! إن البيت بكلماته في غاية من الثقل (شك . يقين . هبات . ليك الشك) ما هذه (الشكشكة) التي تقض المضاجع يا أستاذ ؟ .

لقد اجتمع في هذا البيت سوء المعنى ، وثقل اللفظ ، وفسولة الأداء . وفقدان الحياة . ثم يتبعه بقوله :

يا نجاتي مناي لو ضمن الدهر من الحادثات حسن نجاتك

فأنا بمعنى مبتدل ، إنها أمنية يتمناها كل أب لأبنائه ، ليس في الأمنية ومضة من ومضات الذهن الذي نعتقد أنه مشرق . وهذه الأمنية لا تحتاج إلى نظم الشعر وليته حينما

نظمها شعراً أداها أداءً حسناً ، إن الأمنية تتم بقوله :

« يانجاني مناي لو ضمن الدهر من الحادثات نجاتك »

فاقحم كلمة (حسن) ليتم الوزن .

وقاتل الله بيتاً لا ينبع من النفس ، فيتردى إلى الهاوية بإقحام الألفاظ والكلمات التي لم تخر مواضعها فيه ، فينقلب الحسن إلى قبح إن (حسناً) هنا ليست (حسناً) .

ولولا خشيتي من غضب الأستاذ لقلت : وقاتل الله شاعراً تضطره شهوة الشعر إلى نظم بيت كهذا ثم لا يعبأ بنشره على الناس ، ولكن لا أريد أن أقول ، وإنما أريد أن أقول للأستاذ : أرجوك أن تعرف وأنت سيد العارفين إن الشعر ليس هذياناً كهذيان المحموم ، وليس هورصف ألفاظ كما ترصف الحجارة ، وليس هو اتقان الأوزان ، وليس كلاماً عادياً لا يحرك نفساً ، ولا يثير شجناً ، ولا يلهب عاطفة. إن الشعر غناء الروح الإنسانية. إنه نفس تذوب في ألحانها . إنه هزة من هزات الوجود العنيفة . إنه روح جبار متمرّد يلهب العواطف ويذكي الإحساسات والمشاعر .

إن المخلصين للشعر ، لا يرضون الشعر وإن كان كالدر والجوهر لأنهم يقولون ليس هو للمباهاة والسمعة ، فما هو بالأثاث الفاخر ولا هو بالتحفة الخزفية الموهة

بالذهب المرصعة بالماس . إنما هو الوجدان الإنساني في أسمى
مراتبه ، وعنفوان عنفه ، واستمع إلى شاعرهم :

ما الشعر شيء كالتحرف
فدع الآليء والخزف
الشعر في كأس الزمما
ن فواد حر قد نـزف

* * * *

والشعر نفس فـنـذة
عشقت مطاولة القمم
فمضت تـذوب من الجوى
وغدت مداداً للقلم

أسمعت يا أستاذ؟ فهل (زهرة الشك) أقصد قصيدتك
من هذا النمط الرفيع؟؟ ثم اسمع للشاعر ، ماذا يريد أن
يكون الشاعر فمن كان كذلك عدوه شاعراً ، ومن لم يكن
كذلك اسقطوه من حساب الشعراء :

والشاعر المفتنُّ صوت للطبيعة والبشر
فهو الذي بلسانه وجنانه نطق الحجر

* * *

وهو الضياء لدى الدجى
كالنجم يستطع في الغسق
والضوء يرشف زيتــــه
حتى إذا جف احترق

* * *

روح يهيم بنشوة
عشق الجمال المطلقا
تخذ البيان جناحه
حتى يعيش محلقا

* * *

وهو البحار بغورها
من رامها يخشى الفرق
يرغى ويزبد صدره
أما سمو فإن نطق

* * *

وهو السماء وأفقــــه
يحوي الأهلة والشفق

يهب الحياة بغيثه
والويل منه إذا برق

* * *

سكب الفؤاد بلفظه
كالشمس تسكب ما التمع
لا يتغي ثمن الفؤاد
د فما الفؤاد من السلع

* * *

هكذا نريد الشعر وهكذا فليكن الشاعر . .

ومعذرة للقراء إذا لم نتمم معهم قراءة القصيدة . .
وأرجوهم إذا أرادوا أن يقرأوا الأستاذ عواد، فليقرأوه
في أشعاره الأخرى ، ولا يلحفوا عليه ، بقراءة قصيدته
هذه ، اغضاء وتسامحا، وأنا كفيل بأن الأستاذ سوف يعرض
عن نظم أمثال هذا الشعر الميت .

مع القمر

ما كنت أتعرض لهذه الشاعرية الناشئة لأنها شاعرية لما يكتمل نضجها بعد، ولكنني خشيت أن يفسر عدم تعرضي لها باستصغاري لشأنها وبالأخص لما كانت لها قصيدة في العدد الممتاز هذا، ونفياً لذلك أرى لزاماً علي أن أنوه بقصيدته :

(مع القمر) . . يقول الشاعر أحمد جمال مخاطباً القمر :

أيها اللاعب في حضن السماء

أيها الفائض فيها بالرواء

أيها الساكب في مد الفضاء

نورك الحالم حلم العقلاء

إن يد الشاعر الناشيء ترتجف بريشها، فيختل نظام الألوان في الصورة، وإذا اختل نظام الألوان لا تأتي الصورة بالفتنة المطلوبة، فالقمر لا يفيض بالرواء، وإنما الرواء من سمات الأغصان والقدود، ومن شأن القمر افاضته النور، ولا تنعت السماء - ليلاً أو نهاراً - بالرواء وإنما تنعت بالصفاء، وهو حينما يقول : « أيها اللاعب » تصور قمرأ يلعب، أما القمر الذي نعرفه فهو يسير في هدوء ووقار، ولم نره

مرة واحدة لعب كما تلعب النسائم مثلاً ، وهو إذ يسكب
نوره يسكبه في الفضاء وغير الفضاء ، ولفظة (مد) هنا
مقحمة ، لتكملة البيت وصحة الوزن ، وقد يغتفر مثل
هذا الاقتحام، إلا أن الكلمة ليست كلمة شعرية، وأحلام
العقلاء لا تتناسب مع نور القمر الحالم ولكنها بأحلام الشعراء
أليق .

وأنا نرجو للأستاذ أحمد جمال مستقبلاً شعرياً باهراً
وليس بينه وبين ذلك إلا يقظة الفكر ، وجودة الأداء ،
وصدق الإنفعال .

الجامعة العربية

وهذا ند للأستاذ أحمد جمال في الشاعرية وزميله في السن . ذلك هو الأستاذ القرشي ، ولالأستاذ القرشي شاعرية تماثل مع شاعرية الأستاذ جمال من حيث هي شاعرية تنبع من نفس كل منهما ، ولكنها تختلف طبيعة الشاعرية في كل منهما اختلاف محصولهما الثقافي ، وهذا بين في شعر القرشي وشعر جمال . ومن قرأ (الطلائع) ، و (البسمات) يظهر له الفرق بين الاثنين ، وبقدر ما ينقص جمال من ثروة في الألفاظ الشعرية المنتقاه بقدر ما تتوافر لدى القرشي ، فمحصوله فيها يضاهي محصول حسين عرب منها ، ثم له تشبيهات وصور شعرية جيدة .

وهو ذو نفس متفتحة وعين تبصر مواقع الجمال ، ولكن ما زالت قوته لا تستطيع نقل الجمال بسحره الأخاذ إلى القاريء ، ولا أن تعرضه العرض الخليق به ، ولكن ما زال يحاول مجتهداً ليصل إلى ما نريد منه .

ومن أمثال عدم قدرته على الأداء والعرض الكاملين ، قوله في قصيدته (الجامعة العربية) المنشورة في العدد الممتاز:

وهات جناك صب الولاء
بل تضمين اكبدأ لآخاء
أنه لن يعود عذب المرائى
وشدته خوافق الاقرباء

فمثل هذه التراكيب لا تعتبر تراكيب قوية ، وأقل ما
تنعت به الفتور وقربها من الركافة . .

ولكن الأمل موصول بالثقة في تفتح هذه الشاعرية عن
ألوان أخاذاة وتصوير مفعم بالجمال إن شاء الله .

* * *

القيت العدد الممتاز من يدي ، ونحيته جانباً فقد استصفيت
ما فيه من شعر وقلت كلمتي الموجزة العاجلة فيه .

وهي كلمة قد تدع (الابواز) (تبرطم) غيضاً ، وقد
تفتر بعض الشفاه بابتسامة صفراء أو مشرقة ، وقد تقذف
بعض الأفواه حمماً أصلى بنارها ، ولكن حينما أردت أن
أكتب واعتزمت أن أنشر ما أكتب لم أحفل بكل ذلك وإن
كانت رغبتى تمتد لأن أربح مدحاً من وراء هذه الكتابة فما
أرخصها من رغبة ، أو إن كنت أرغب في إثارة حفاظ
الناس شهوة في إثارة الحفاظ فإنني لمحمق ، أو كنت طالباً
من وراء ذلك شهرة فلتشل يد تحمل القلم ، ولا تريد من
حملة إلا هذه الرغبات الرخيصة ، ولكن الهدف المرموق

إصلاح ما يمكن إصلاحه والتوجيه الصحيح لناشئة البلاد ، وإقامة الموازين الفنية الصحيحة للشعر ، ورفع الغشاوة عن أعين القراء ليروا الحقائق الناصعة فلا يتأثروا بالدعايات المكذوبة ، ولا يؤخذوا ببريق الشهرة الأدبية التي نالها من لا يستحقها في غفوة الأفكار وغفلة العقول .

ولا رائد لنا من وراء تنبيه الأذهان إلى ذلك إلا الارتفاع بالمستوى الأدبي والعمل على تنمية الذوق الفني ، ليستطيع أدبنا أن يقف على قدمه صحيحاً معافي من أوبئة الأذواق السقيمة ، والأفكار المكلومة ، وأبخرة الرئوس الجوفاء المحمومة وليسير في طريقه مع آداب غيرنا قدما . أما إذا تركنا الحبل على الغارب ، وقد تركناه فعلا - مدة من الزمن - فما جنينا غير العيث والعبث من الأدباء والمتأديين وأدعياء الأدب المقحمين لانفسهم فيه . حتى خشينا أن نصاب في أدبنا بالنكسة فارهفنا سنان القلم . وهذه طليعة الحملة ، ونحن واثقون بضممان نجاحها في وقف العابثين بحرمة الأدب ، وسيكون هذا السنان مرهفا في وجه كل من لا يخلص للحياة الأدبية أو يجتريء عليها باستهتاره وسخفه .

السلام

لقد جرتنا - البلاد السعودية - بعددها الممتاز ، بعد أن استصفينا ما فيها إلى مطالعة بعض الآثار الحجازية واعطائها ما تستحقه من النقد لتأخذ مكانها في المجال الأدبي .

وها هو ديوان (الهوى والشباب) للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار يطالعني بغلافه الأصفر ، فأتناوله وإذا أولى قصائده بعنوان : (السلام) فقلت لعله يكون (سلام) الأبد بيني وبينك أيها الصديق العزيز وذلك ما أرجوه وآتمناه فلنقرأ :

أه لا أبصر الصوى	وانطوى الدرب وانذر
هاهنا ثم هاهنا	حفر خلفها حفر
والرياض التي زهت	قد عفت وانمحي الأثر
والشياطين عربدت	تنشر الذعر والخطر

هذا شعر حقا لا فضول فيه . الفاظ كالقوالب أفرغت فيها المعاني ا فراغاً محكما ، وأخذت أماكنها بحيث لو أخرجت كلمة لاختل المعنى ، ولو أردت ابدال كلمة بأخرى لم تجد اليق ولا أوفى من الكلمة الموجودة التي وضعها

الشاعر في يسر وسهولة لا أثر للتكلف ولالف ولا دوران
ولا بهلوانية ، كما نجد ذلك في نظم המשاعرين . هذا إلى
جانب الاشراف في الديباجة ، إن كل ذلك يغرينا على الاستزادة
من لذة القراءة فلنقرأ :

والدجى أغلق البصر	والعنا صار غيباً
عحي الطود والشجر	لا يرى مسلك الهدى
والردي زلزل البشر	والورى آده النوى
ها هي الحرب لا مفر	اي شيء نرى هنا ؟
كل ما بان واستتر	وهي حرب وقودها
من لظى الحرب في سقر	وبنو آدم غدوا
يلعب الناس بالشرر ؟	ليت شعري إلى متى
نجرع الصاب والكدر	ليت شعري إلى متى
اسمعوا عندي الخبر	قال صوت محبب
فقد النور ، واعتكر	أيها العالم الذي
ساعة السلم والظفر !	انتظر ساعة المنى
نشهد السلم في السحر	فانتظرنا ! وإذ بنا
يحمد الله والقدر	فهتفنا وكننا
روع الكون واستقر	قد غفا الشر بعلمنا

والأمامي طليقة
قد تراقصن بهجة
ضوعها فاح وانتشر
وتقاظن بالأكر
عن غوال من الدرر
وتبسمن للورى

أنا نقف هنا قليلا عند هذه الأبيات الثلاثة فبيت « والأمامي طليقة » حلو جميل ، فيه مبلغ إحساس الشاعر بالفرحة ، وكأن أمانية كانت حبيسة فانطلقت من عقابها فرحة بالسلام ، ورقصت بهجة . وهو تصوير جميل للأمامي المترقصة أمام متمنيها . لكن الأمامي ليس بها أكر ، وما عسى أن تكون أكر الأمامي ؟ . . . إلا إذا جسم خيال الشاعر أمانيه حينما استغرق في النشوة حتى رأى أن أمانيه قد استحالت إلى مخلوقات حية كالحسان في ملعب من ملاعب التنس بأوربا فهن يتقاظن أكر (الكاوتش) ولقد استغرق شاعرنا استغراقاً عنيفاً في نشوته حتى رأى أمانيه كالغانيات الفاتنات يبسمن عن غوال من الدرر .

بعد هذه الوقفة نستمر في القراءة فإن المتعة الفنية في أبيات العطار تغرينا بالاستمرار فيها :

وإذا الناس عن رضا
ويغنون للسلا
يرامون بالزهر
م الذي هل كالقمر
بالأناشيد والسور
شاعر ينظم الغرر
وتهادى أمامهم

لا أشك في أن هذا الشاعر هو العطار نفسه .

وحدا بالنشيد مسته لذب اللحن مبتكر ...
يا رفاقي تمتعوا بالسلام الذي ازدهر
فهو للكون بشره ماننا عنه مصطبر
واتركوا الأمس واذكروا يومكم واقطفوا الثمر

* * *

يا رفاقي الجمال والش هر والكأس والوتر
استلذوا بها فما في غد مطلع يسر
كل ما في غد أسي كل ما في غد كدر
النوى راصد الورى ماله عنه من مفسر

نفس شاعر يسكب شعوره بالفرحة في شعره فيحس قارئه معه ، أننا نريد شعراء من هذا النمط ، يسكبون نفوسهم فيما يقولون . . فأنت إذا قرأت فلا تقرأ كلاماً منظوماً ، ولكن تلمس حياة تنبض بالقوة، وترى نفساً صافية تظفر من الفرح فتظفر معها ، وتملاً قلبك بالنشوة إذا كانت منتشية ، وباللهفة إذ كانت متلهفة ، وتحس بدبيب الحسرة يتسرب إليك كما تسربت الحسرة إلى النفس الشاعرة في عنفوان نشوتها فاحست بها وصورتها ونقلتها إليك ، يقولها في أربعة الأبيات الأخيرة، وهذا هو الشاعر الصادق المخلص في شعره ، يدمجك في نفسه بسحره ،

الأخاذ ، وأدائه العذب ، وعاطفته الملتهبة ، فإذا الشاعر
وقارئه مندمجون في جو واحد ويحسون بإحساس واحد . .

بهذا الشعر وأمثاله نستطيع أن نقول : إن لدينا شعراً
وعندنا شعراء . . وكيف لا أشيد بشاعرية العطار ، وأنا كلما
أمعنت في ديوانه قراءة آمنت بشاعريته إيماناً ؟ اسمع يا
قارئ العزيز للعطار وهو يقول من قصيدة : « بل ربيع
العمر في هذا المكان » .

أيها الفردوس قد كنت لنا
منبع الفرحة في غض السنين
كلما جئناك رحبت بنا
وتلقيت هوانا بالحنين
كم ليال مثل أحلام العذارى
قد قضيناها معاً ضمماً ولثماً
وتلاعبنا ؛ خفاء وجهاراً
وتبادلنا حديث الحب نظماً
وشربنا من أغاني الشعر خمراً
هي أشهى من رحيق الخلد طعماً
ورقصنا فوق أعشابك بشراً
وجهلنا ما يسمي الناس هما

ألا تشعر يا قارئ العزيز بنشوة مثل نشوة العطار — إذا
كنت ممن يتذوقون الشعر؟؟ — هذه هي قدرة العطار وطاقته
الشعرية سكب إحساسه في شعره ، فجاء شعراً صادقاً ،
والعطار يصدق في كل شعره ، فهو لا يقول الشعر إلا إذا
هزه الشعر ، فيفيض من نفسه، وتواتيه الكلمات التي تحمل
ذلك الفيض . أحس بالألم من الحب الذي أشقاه فقال :

يا شقوة ما تكاد تطلقني

من نيرها أو يخف حملها

لثقلة ما أطيق وطأتها

مجنونة باليدين معوها

تعبث في مهجتي عواصفها

ترجها — رجة — فنذهلها

وينتهى للجنون محتدها

وفي مراعي السطا تنقلها

لا يكاد العطار ينفلت ساعة من شقوته في الحب ،
حتى تعاوده الشقوة بأعنف مما كانت ، وليس لهذه الحالة
الوجدانية المعذبة أحسن ولا أجمل من هذا التعبير :

يا شقوة ما تكاد تطلقني

من نيرها أو يخف حملها

نير ثقيل ، وهل أثقل من نير الحب؟ لا يخف محمله ولا يستشعر

المحب الصادق الانطلاق منه ، ولقد رزح العطار تحت ثقلها وهو الذي لا يطيق وطأتها، ولكنها مجنونة - هذه الشقوة - لا تحمل بطاقة العطار البدنية ، فهي على ما ترى فيه من ضعف البنية تحمل معولها يديها الاثنتين ولا تكتفي بيد واحدة لتكون الضربة بالمعول أقوى فعلا وأشد أثرا . . وانظر إلى كلمة « رجة » في البيت الثالث إنها حشو ، ولكنه حشو كحشو الديناميت الذي بدونه لا يكون ديناميتاً فيا للهول الذي يلقاه العطار من شقوة الحب ! لقد أعطاك العطار صورة رهيبة لما يلقاه الشاعر العاشق من شدة ومحنة وألم ، فلترب له . .

هذا هو الشعر الذي ينبض بالحياة وهذا هو الشاعر الصادق ، وعلى غرارهِ فليسر الشعراء .

الزمخشري

وهذا ديوان الأستاذ طاهر الزمخشري بجوارى فلتر
الزمخشري في شعره .

أهدى الزمخشري قصيدة للشاعر العربي الكبير الأستاذ
علي محمود طه بعنوان : (أنشودة الملاح) فلتر هدية
الزمخشري هل هي هدية ثمينة، أم هي هدية تافهة لا تستحق
أن تهدي ؟؟؟ يقول الزمخشري :

الدجى بحر وقايى سابع

وإلى أين سيمضي لست أدري؟

والنجوم الزهر فى عليائها

سفن للغيب بالأقدار تجرى

لا ندري مبلغ الصحة فى ذلك ، ولا نطن الزمخشري
اشتغل يعلم الفلك .

وحواشى الليل من ظلماتها

تملأ النفس بأهوال وذعر

وزماني مربد يجتاحني

بجحيم منه صال مكفهـر

الأليق بالحجيم أن يكون مستعراً لامكفهراً .

أذكر الماضي فأحسو لغدي

والغد المرجو مني قيد شبر

لعل مكان (أحنو) : أهفو ، وكنا نريد أن يبين لنا

ماذا يوئمل أن يكون للشاعر من غده الذي هو منه قيد شبر .

والأسى يجتث خطوى وأنا

بين آلامي ووهمي ضاع عمري

فمتى ترسو سفيني ؟ فلقد

طال مسراي وإني لست أدري

يا للحيرة التي ترين عليك يا زمخشري ! إنها حيرة

تدعو للرحمة ! ..

الدجى ببحر وقاي فلكه

وشراعي من نسيج الأبدية

والمجاديف بكف بضة

تلطم الموج بعزمات قوية

وصفير الريح ناي والصدى

يملاً الأجواء أنغاماً شجية

والسماء الصحو في زرقتها
مقلة ترقب دنيا البشرية
وأنا الملاح يجري زورقي
حاملا أشباح أيامي الشقية
وصدى الذكرى بنفسي مرجل
عاث حتى بالأماني الذهبية
فمتى ترسو سفيني إنني
حائر سار يريد الأبدية

لا يستقيم الحائر ومريد الأبدية ، لأن الحائر لا يعرف
ما يريد ، وقد قدم الشاعر لنا بأن شراعه من نسيج الأبدية ،
ثم يقول في هذا البيت : « حائر سار يريد الأبدية » فكأنه
يقول لنا يريد شراعه مع أن شراعه هو الذي يسيره .

خيال جميل ولكن الريشة مرتجفة في يده ،
وكان الأولى بالشاعر أن لا يسرع بهديته للأستاذ الكبير إلا
بعد إتقانها وتجميلها ، ولو لم تكن هدية لأغضينا عنها .
فإلى قصيدة أخرى لنستمع إلى الزمخشري وهو يقول :

خلوت أسأل نفسي عن لواعجها
وعن لوافح آلامي وعن إحني

فقال لي كبدي : بلوى تحرقني
 وقال لي الطرف : اشجان تورقني
 وقال لي جسدي : حزن يعزقني
 وقال لي القلب : بر كان يبددني
 كل شكا حالة نكراء غير فمي
 فلاذ بالصمت لم ينطق ولم يبن
 يخاف إن باح بالشكوى أوأخذه
 إذ لا تؤاخذ إلا عثرة اللسن
 فالصمت قيد إذا ما المرء لابسه
 أقام في مامن من سطوة الغبن
 ومطبق الفك فوق الفك في دعة
 ومرسل القول بالتهريج في محن
 يا أستاذ زمخشري : إن مرسل القول بالتهريج ليس في محن
 فقلت يا نفس ذوبى حسرة وأسى
 حتما سأصمت حتى ينقضي زمني

نعمة حزينه ، ودمعة حرى تتسلسل من إحساس الشاعر
 أبياتا فإذا أنت — على ما في الأبيات من مأخذ — تحس
 بإحساس الزمخشري ، لأنها دمعة صادقة لا يعتصر مخه

ولا يحمل نفسه أن تقول غير ما تحسن ، أما المآخذ فهي
غير ذات بال مثل قوله : « إذ لا تؤاخذ إلا عشرة اللسن »
فلا أظن أن اللسن بمعنى اللسان هنا كما يريد الزمخشري ،
ولكن اللسن معناها : كثير الكلام قوية .

إننا نجد الزمخشري عندما يبكي ، على حقيقته ، ونجد
شاعريته ، فياضة قوية . ومن ذا الذي لا يرثي للزمخشري
وهو يعتصر من الألم في هذه الأبيات :

هي الأوهام هاضتي وصبت
زعاف السم في صرف الزلال

وخير من الأوهام هنا « الآلام » .

فادمت مهجتي وكبت بخطوى
إلى حسك كأطراف النبال
ويلهين الأسي بشواظ نار
فأفزع وهي لا ترثي لحالي
صروف والزمان براحتيها
تضن علي حتى بالذبال

إننا نجد في هذه الأبيات نفثة من نفثات الشاعر لا
تصنع فيها ، لا محاولة منه في زخرفة شعره بألفاظ أو كلمات
منتقاة ، بل ترك نفسه على سجيتها ، فتحدثت عن ألمها ،

كيفما واتتها المعاني ، واختارت ماواتها من الكلمات ،
فجاء شعره حاراً صادقاً ، وهذا هو الجمال الفني والشعر .
والديوان مليء بهذه النفثات الصادقة . وأنغام الزمخشري
عذبة وإن كانت حزينة ولعل حزنها هو سر عذوبتها .
واسمع للزمخشري كيف ينبض قلبه بالشعر :

كان لي في ثورة البأس أخ
كان لي في غلس الوهم رفيق
فإذا ثارت بنفسى لـجـج
شع في أصداؤها منه بريق
وإذا عامت بنفسى موجة
كان كالساحل يرجوه الغريق
جرسه الرنان داو أبداً
واسع الخطوة في الكون الطليق
ها هو اليوم وقد فر فلا
عدت ألقى ما أسميه الرفيق
أترى ذاب ؟ فلا ألمسه
أين مني ذلك القلب الصديق ؟
أين مني عبقرى ملهم
بشقاواني وشجوي لا يضيق

ذلك القلب الذي عودني
كيف ألقى الخطب بالصمت العميق
ثابت الجأش طروباً مرحاً
وإلى اللذات في الدنيا سبق
لا أخاف البأس لا أخشى الردى
كل أيامي صبح وغبوق
ويحه ويلى إلا يا ويحه
ذاب أم فر ؟ ألا أين الصديق

أرأيت كيف يريك الزمخشري لهفته . « ويحه ، ويلى ،
ألا يا ويحه » كلمات لا شعورية ، والشعر هو أن يفقد
الإنسان نفسه فترى الانفعالات الصادقة تبرز في شعره
واضحة جلية .

إننا نحى الزمخشري ونصافحه ، لا لأنه صديق عزيز ،
بل لأن شاعر ينبع الشعر من نفسه . وعلى كاهله وكواهل
أمثاله نستطيع أن نبني مجدداً شعرياً عليه سمتنا وطابعنا .

إننا في مجال دراسة عاجلة . ولو كنا في مجال دراسة
مستفيضة لاستعرضنا كثيراً من شعر الزمخشري الذي يستحق
الدراسة . والعناية بنقده ، لأنه شعر صادق ، ولأن الزمخشري
شاعر لا يفتعل الشعر ، ولكنه يرسله شعراً حياً قوياً يهز
النفس . وسنوفيه حقه إن شاء الله في دراستنا للأدب الحجازي

حينما ندرسه الدراسة المستفيضة ، ونكتب عنه الكتابة التي
هو خليق بها كما وعدنا القراء إن شاء الله .

السباعي

وها هي (فكرة) . . تأليف الأستاذ أحمد السباعي بين يدي الآن وأنا لا أريد أن أنقدها كقصة . فان فن القصة ما زال يجبو في بلادنا . وهو في البلاد الشقيقة لم يبلغ الذروة . . ومن العنت أن نريد من (فكرة) السباعي قصة بلغت الكمال ومن الإجحاف أن ننكر قصته ونلغيها من حسابنا ، فهي على كل حالة قصة لم يحاول إنتاجها أحد غير السباعي ، — أقصد قصة كبيرة أشبه ما تكون بالرواية لأن السباعي زاول كتابة القصة الصغيرة — وإنه مجهود مشكور ولا يرضينا أن تقف محاولات الأستاذ السباعي عند هذا الحد ، بل نطلب منه أن يعاود محاولاته لعلنا نرى منه ما يشرف البلاد في هذه الناحية من المجال الأدبي .

أما الأستاذ السباعي في تعبيره فهو شاعر وإن لم يدع الشعر . شاعر وإن لم نسمع له بيتاً واحداً ، يترك نفسه على سجيتها في تعبيره فيأتي تعبيره شعراً مرسلًا محلقاً كأحسن ما يكون التحليق والرفرفة ، والجمال ، واسمع إلى السباعي وهو يرسل الشعر لإرسالاً :

- أحب الليل في هدوئه الغافي .
- والقمر تغشاه غمامة شفاقة .
- والأفق المترامي لا يحده البصر .
- أحب الجبال الشامخة كأنها تعبر عن كبرياء صامتة .
- والسهول المنبسطة كأنها مطرزة بالوشى .
- والمجاري الصافية يترقرق فيها ماء عذب .
- أحب البكور تشقشق فيه العصافير الغردة .
- وأحب الشمس في ضحوتها تظلني من سعيرها دوحه فينانة
- وأحب الأصيل تنعكس فيه الشمس أشعة ذهبية براقه .
- وأحب كل ما هو طبيعي في الحياة تصقله يد محترقة .
- وكل ما هو صحيح لم تزينه الصناعة المبهرجة .
- أحب الرأي مصدره النطق السليم .
- والقوة مبعثها الحق .
- والفضيلة يصدع بها رجل بريء من الشهوة والغرض .
- أحب في الحياة محمداً — صلى الله عليه وسلم — .
- لأن سيرته صورة من تعاليمه .
- لأن تعاليمه بيضاء نقيه لم يكدرها إلا أهواؤنا .
- أحبه لأنه كان قويا على نفسه قبل أن يكون على غيره .

صادقا في سره كما في علانيته .
عادلا بلا ميزة لأصفي أصيغائه ولا استثناء لأقربائه .
ليناً في غير ضعف .
رقيقاً دون تكسر .
فقيراً ما لانت قناته لجبار في الأرض .
غنياً ما شيع قط من طعام الدنيا .
عفا ما بر أهله بشيء من لذات الدنيا .

هذا نموذج من شعر السباعي المرسل ، وهو في كل نثره
شاعر صافي النفس قوي الأداء رقيق العبارة مرفرف
الروح .

إن هذا البيان المشرق ، الذي لا يحجب إشراقه شيء ،
هو الذي نريده لأدبنا والسباعي جدير بأن نضع يده في يده
متعاهدين على أن نسير قدماً لنبي لبلادنا مجداً أديباً خالداً .
فانه الأديب المطبوع ، الذي يسرنا أن نحياه ، ونبعث تحيتنا
له من ضفاف النيل إلى عروس تهامة معجبين .

الانصاري

أعرف الأستاذ عبد القدوس الانصاري ، ويعرفه الأدباء في بلادنا وهو الشخصية الوقور ذات الكلام الموزون الذي لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً في أداء المعنى الذي يريده ، وهو في كتابته مثله في كلامه ، مثله في شعره ، وهو رائد من رواد الأدب الصحيح الذي لا يأخذ بالبهرج ولا يؤخذ به ، ينفذ إلى الحقائق دون أن تخدعه التهاويل ولدى الآن كتابه : (بناء العلم في الحجاز الحديث) فلننظره لئرى الأستاذ الانصاري ، كما عهدناه ، أو اختلف مع الأيام ، وأول ما يطالعنا كتابه به عنوان : (عهد جديد) فلنقرأ بسم الله : « كان الفتى قد بلغ السادسة عشرة من عمره ، وكانت الأحلام المعسولة تتراقص أمامه ، كما تتراقص مياه الغدير الصافي ، للظمان في الفيافي الجرداء ، وكانت الحياة في نظره رؤى وأحلاماً فيها الكثير من الغموض والأظلام ، وقد أكسبته الحوادث والأحداث الجسام التي مرت قطعانها به وهو ناعم الأظفار مرونة محدودة ودقة نظر غير بعيدة الأهداف في الحياة والأحياء ، وكان الفتى خجولاً منطوياً على نفسه ، محباً للعزلة أنى وجد لها سبيلاً » .

هذا الأسلوب الهاديء المنساب في يسر وبسهولة ، وهذا التصوير الجميل الذي لا يزدحم بالألوان الزاهية ، وإنما هي على قدر وبمیزان ، هو أسلوب الأنصاري ، وهو أسلوب صحيح فصیح جميل العرض سليم الأداء . . . وإن كان لي أن أشبهه بشيء فإنما أشبهه بالنافورة التي ينبعث منها الماء بمیزان فتعطيك منظرأ جميلا كالشجرة المتهدلة الأغصان . . . وكما أن غير النافورة لا يستطيع أن يريك الماء في شكل الشجرة المتهدلة فليس في أدبائنا من يريك هذا الأسلوب القوي البارع إلا الأنصاري ، يكره التهويل ، ولكنه يحب الأناقة الموزونة التي لا تضايق صاحبها ولا تقعهده عن أخذ حربيته في حر كاته وسكناته ، ومع ذلك فهو أنيق . . . إن ما قلناه يصدق على كل ما يكتبه الأنصاري ، وإليك جملة من جمل الأنصاري الرشيقة في غير تكلف ، الأنيقة في غير إسراف :

« ومن الحق أن نقول : إن مروجي الإشاعات ، ومسممي الآفاق بها قد بدأوا عملهم في الظرف المناسب ، فكل الرياح مسعفة لرغباتهم ، فالمشروع في بداية أمره لما تستحكم قواه ، ولما تتماسك شجرته ، وغالب مدرسيه خفاف ضعاف في ميزان الهيئة الاجتماعية ، والطلبة كذلك صغار وغير كثار . »

صورة جميلة رشيقة أنيقة ، نعم هي أشبه بالكلام العادي لولا أنها ترتفع بأناقته ورشاقته وسلامة أدائها عن كل

كلام عادي ، ولا يجيد مثل هذا الأسلوب ، إلا أديب
متمكن من فنه يريد من قارئه أياً كان أن يفهمه ، ولكنه
لا ينحدر إليه بل يأخذ به رقيقاً فيرتفع معه القاريء وهو
لا يشعر أنه ارتفع إلا بعد أن يتذوق كلامه ، فيجد نفسه
في جو الأديب ، كراكب السفينة إن لم يلتفت إلى الشاطيء
لا يدر مقدار ابتعاده عنه .

ومن يرد أن يتحقق صحة ما ذهبنا إليه فليجرد نفسه من
كل شهوة ومن كل غرض ، ويقرأ الأنصاري في كتابه
(بناء العلم) أو في غيره من آثاره ، فسيجد ما ذهبنا إليه
ملموساً محسوساً .

وها هو الأنصاري يتكلم عن الشيخ محمد مرور الصبان ،
وهذا الرجل الكبير معروف لدى الناس جميعاً ، فلا يعمد
الأنصاري إلى التهويل ؛ ولكنه يتكلم في يسر وسهولة ،
وينساب انسياب الماء ، وكما يعرف الناس عن الشيخ محمد .

وليك نموذجاً مما قاله في مقاله عنه تحت عنوان (رجل)
في عدد المنهل الممتاز لعام ٦٥ (قلب كبير) .

« وسعة الصدر ، هذا الخلق العظيم من مميزات هذه
الشخصية ، فهو يستقبل الآمال بابتسام ، ويستقبل الآلام
بابتسام ، وهو في حركة دائبة على ضعف في جسمه ، يقوم
بالأعمال التي تنوء بها العصبية ، وإنما يقوم بها قلبه الكبير ،

وبه ينجزها في يسر وهدوء ومضاء عزيمة وفي دقة ملاحظة ونظر بعيد . ذلك دأبه في أعماله الرسمية ، وذلك دأبه في أعماله الوطنية التي لا تقل عنها أهمية ، وهو مع ذلك وقبل ذلك أديب قبل كل شيء ، يأنس إلى الديوان الشعري ، والكتاب التاريخي ، والمؤلف القديم ، والحديث ، ولا بد له من مطالعة تشرح صدره ، ولا بد له بعد ذلك ، ومع ذلك ، من قرص شيء من الشعر الذي تلهج به الطبيعة الشاعرة الحساسة الصموت ولا بد له من معالجة الكتابة الأدبية في شتى الموضوعات ، والوقت ضيق محدود ، ولكن (القلب الكبير) فيه من كل زعامة طرفة ، ففيه من سعد زغلول — مثلا — شجاعته وحسن قصده وصبره وأناته ولباقته وفصاحته وحسن إدارته لدولاب الأعمال والنهوض بجلائل الآمال ، وفيه من دماغ طلعت حرب اقتصادياته ، وعبقريته وطموحه وحماسه ، وفيه من شاعرية حافظ ابراهيم ووطنية وسمو معانيه ، وفيه من أسلوب مصطفى كامل روعته وتلهبه واشراقته وهكذا يكون الرجل وهكذا الرجلولة . »

صورة لسعادة الشيخ محمد سرور لا تهويل فيها ، ولكنها حقيقة الشيخ كما نعرفها ويعرفها الناس ، وصورة من التعبير الدقيق الجامع غير المتكلف للأستاذ الأنصاري .

أما الشيخ محمد سرور ، فهو شخصية فذة ، متعددة

النواحي ، قوية المواهب ، فهو إن كان من الأدباء فهو من الرعيل الأول الذين مهدوا طريق الأدب وعبدوه للسالكين في هذه البلاد ، بل هو أقوى شخصية في هذا الميدان ، وأي ميدان لم نر فيه الشيخ محمداً قوياً ؟ وما زال إلى يومنا هذا يفور الأدب شعراً أو نثراً في صدره ويتفجر من نفسه كما يتفجر الماء النмир من الشلال الثر ، فإذا لم نتكلم عنه في (مرصادنا) فإن المرصاد غير مهياً لهذه الشخصية الفذة ، وسنفردها مرصداً آخر لنؤدي الصورة الكاملة للنواحي المتعددة التي تمتاز بها شخصيته القوية المحيية . . . ويكفي أن نقول هنا بأنه عماد الأدب وكهف الأدباء ، لا في بلادنا وحدها . ولكن في البلاد العربية أجمع ، وإن من كان كذلك لا يتسع له هذا المجال في هذه الدراسة العاجلة الموجزة ، ومعدرة إلى القراء إذا لم نتكلم عن آثار الشيخ محمد ، فإن الأنوار القوية تمحي أثر النجوم مثل الشمس ، فإنها إن طلعت اختفت من حولها الأقمار ، فإلى مجال آخر ودراسة مستقلة إن شاء الله .

ولنعد إلى الأستاذ الأنصاري ولنقرأه في شعره .
هذا عنوان قصيدة للأنصاري نشرت في أحد أعداد
« المنهل » يقول الأنصاري :

« بداية شاعر ونهايته »

صقل البيان فكان في الشعر
وحي الربيع وبسمة الزهر
وحكت قصائده بروعتها
ذهب الأصيل ونسمة الفجر
الطير ترقص من قصائده
طرباً وتعرض عن صدى القمري
وسما إلى أوج السماء وقد
بهر الدراري شعره الدردي
ما زال في تحليقه غردا
يفزو الجمال بشعره السحري
طوراً يناغي الطير ساجحة
بسمائها تهفو إلى الوكر
ويزور أنا ساحة البدر
فيشع بين الأنجم الزهر

هو هو الأنصاري الذي يسير بقارته هادئاً في نظامن
وتؤدة يسير به خطوة خطوة حتى يسمو به دون أن يشعر
قارته بأنه سما وبعد، حتى إذا تحسس نفسه وجدها محلقة

مع الأنصاري في أجوائه ، فهو في هذه الأبيات يأخذ
الشاعر بيد القاريء ويريه بسمه الزهر ، ويمشي معه في ذهب
الأصيل حتى تترقق نسمة الفجر ، ويريه كيف ترقص
الأطيار ثم يسمو به إلى السماء ، ويسوح به ثم يهبطان سوياً
في الظهيرة ظهيرة ، الحياة التي لا ترحم الشاعر ، ويدعه
يلمس روعته من صدمة الحياة وهو سابح في أخيلته
الشعرية :

ما راعه إلا أن اختنقت
أنفاسه من شدة الذعر
هذي عواطفه لقد كتبت
وتصدعت وهنا على الصخر

ثم يفيق الشاعر من صدمته فيتبين أسبابها فيقول :

الشاعر الغريد أصمته
خبر الحياة وسيرها المزري
قد كان يحدو شعره أمل
واليوم حطمه أسى الخبر

ثم أن الشاعر الذي كان مخموراً بأطياف الشعر ، وصدمة
الحياة بواقعها المقيت ، يعرف الحياة على وجهها الصحيح
فينقلب إلى رجل حنكة وتجارب فيقول له :

ذي الدار قد ضاقت بما رحبت
ولذاك عدت جعبة الشر
من دأبها خدع المشوق بها
ويشوقها التنكيل بالحر

وإن كانت « جعبة » هنا لا تعجبني ، وإن كانت هي
كلمة أدت المعنى الذي يريده الشاعر إلا أنها في الشعر ثقيلة
الواقع على السمع .

أما البيت الذي يقول فيه :

من دأبها خدع المشوق بها
ويشوقها التنكيل بالحر

فمن أقوى الأبيات التي سمعتها في هذا المعنى .
وللأستاذ الأنصاري شعر كثير جيد . وقبل أن أفرغ
من الأنصاري أنقل للقراء شيئاً من موشحه الجميل الذي
يسير فيه على نمط الموشحات الأندلسية القديمة :

« وقفة شاعر بوادي العقيق »

وقف الشاعر في وادي العقيق
في أصيل كالعقيق الذهبي

وإذا الشاعر يهمل بعقيق
مسبل من ما طرات الحبيب

* * *

ما لذا الوادي البهيج الفاتن
قد بدا عطلا من الحلى البديع
أقفر آطامه من شادان
كان يوحى بهجة عند الطلوع
وخلت أرجاؤه من لاحن
يرسل اللحن كأطيار الربيع

* * *

جل حكم الله في دار العقوق
إذ براها عرضة للنوب
فخيال الشوم في لمع البروق
ونذير الرعب طي الرغب

وهو موشح طويل جميل ، من أراد أن يتمه فليرجع إلى
المنهل في سنته الثالثة على ما ذكر .

وما زال الأنصاري دائباً — بجانب إنتاجه الأدبي —

على تغذية الحركة الأدبية (بمنهله) العذب ، بكل ما ينميها ، فهو ما فتىء يعمل ليساهم في تحرير المنهل أدباء كبار من أمثال العقاد والمازني وقطب وطه حسين وغيرهم من أساتذة الأدب العربي وحاملي لوائه ، وهو بذلك يرينا فيه ناحية الصدق والإخلاص للأدب في هذه البلاد وبمثل هذه الخدمات ستجني الحركة الأدبية في بلادنا أحسن الثمار إن شاء الله . فسر يا أنصاري ولا يقعدنك ما تلقى من نصب . . فإن الله لا يضيع أجر العاملين .

حمزة شحاته

اعتنى أحد الناشرين الشباب بجمع ما وصل إليه من شعر العواد والقنديل وحمزة شحاته ، ويسرنا أن يكون في بلادنا ناشرون من أمثال الأستاذ عبد السلام الساسي ، وخصوصا إذا كان مستواهم الثقافي في مستوى ناشرنا هذا ولا لوم على الناشر إن قدم لنا بجانب الوردة الزكية وردة لا رائحة لها ، فما يطلب من الأديب الواعي غير ما يطلب من الناشر ، فالمفروض في الناشرين أنهم يسعون لغاية غير غاية الأديب .

وقد تكلمنا عن العواد ولم نجد في الشعراء الثلاثة من شعر العواد ما يتسامى عن مستوى (ليلة الشك) أما القنديل فكلما قرأنا له شعراً ازددنا به كفضلاً فهذه قصيدة في الشعراء الثلاثة تحت عنوان (دنيا الغد) يقول فيه :

أمانينا من الأيام وعد

ومن أيامنا صاب وشهد

والكتاب - على ما يقال - يقرأ من عنوانه ، فإذا كانت

أمانيه من الأيام في الشطر الأول وعداً فالأيام في الشطرة الثانية - ما معناها ؟ هل لها معنى غير الأيام حتى تكون أمانيه فيها صابا وشهداً ؟ ألم أقل لكم أن القنديل لا يحسن قول الشعر لأنه يتكلفه ولم تستجب نفسه له ، فهو يعني نفسه ويحملها ما لا طاقة لها به .

* * *

ولم يحسن الشاعر حينما زج بالقنديل بين شاعرين فحلين من شعرائنا ؟ فالأستاذ شحاته وهو أحدهم يسمو في شعره ويحلق ، وإنك حينما تقروءه تقف أمام شاعر فخم ضخم جزل الألفاظ متين التركيب متماسك الأداء تماسكا يذكرنا بشعر الفحول القدامى ، إن من يقرأ قصيدته (نهاية) يتذكر البحري وجريراً ، أدياً وشاعرية واستمع إليه وهو يقول :

أخير سبيليك التي تتجنب ؟

وأدنى حبيبك الذي لا تقرب ؟

فيا ليت لي منك التجنب والقلبي

وراءهما ود الفؤاد المغيب

فرب ابتسام دونه وغرة الحشا

وإعراضة فيها الحنان المحجب

وقبت الأسي لو أنصف الحب بيننا
لما بت أرضي في هواك وتغضب
ولكنه المقدار يعبث بالفتى
على وضح وهو البصير المدرب

إنك أمام حمزة ، أمام شاعر عريق في الشاعرية ثابت
القدم في لغته وأدائه وأفكاره وعواطفه ، وحمزة لا
يتضعض أمام الحب الجارف فاذا أراد أن يتكلم عن حبه ،
يهيء نفسه للكلام الذي يغلب عليه المنطق ولا يدع العواطف
تتحكم فيه ولكنه يتحكم فيها ومع ذلك لا يفقد كلامه
حرارة العاطفة، ونحن نرى هذا في كل شعره، وهذا مثال
لما ذهبنا إليه :

يا حبيبي يا ملتقى السحر والفتنة
يا غالي على أمر نفسي
لم كانت ولا أسومك لوما
قسمتي في هواك قسمة وكس
فقسمة الوكس هنا ، تريك حسرة الجبار المتماسك الذي
يجز فيه الوكس حزاً .

الأنى آثرت في حبك القا
هر عزي ذهبت تطلب نفسي ؟

أم لاني ضحية لا لم الصا

مت أطوي على المراجع حسي ؟

إن صمتك يا أستاذ وانطواءك على المراجع أبي إلا أن يظهر في شعرك بالرغم من جبروتك، إن حرارة العاطفة لا يطفى عليها برود العقل المفكر الذي هو ميسمك كما عرفناك ، أو على الأقل الذي تريد أن يكون ميسمك أمام الناس .

لاني بلوت الأستاذ شحاته عن كتب حينما جمعتنا البعثات تحت سقف واحد فعرفت عنه ما لم أكن أعرف من قبل ، إن شحاته من أدق الناس عاطفة ومن أعمهم قلبا، ولكن لا يريد أن يعرفه بذلك أحد فهو لذلك يجهد نفسه على أن لا يظهر منه غير القوة وعدم المبالاة بالعواطف والاحتفال بها ، ولكن إن خدع الناس بمظهر الأستاذ شحاته فان النافذ إلى قلبه لا يخدعه المظهر الخلاب ، وها هو شعره النابع من قلبه يوئيد ما لمستته فيه :

لست تدري نعم ولا أنا أدري

لم تهفو إلى لقائك روجي ؟

ولماذا أكون فيك كما تر

سف في السجن فكرة المكبوح ؟

أرأيت عاطفة الحب كيف تركت هذا الصامت الجبار
ينطق بالرغم منه ويحدثنا عن حالته فترثي له ؟ ومن ذا الذي
لا يرثي لمن يرسف في أغلال حبه كما ترسف فكرة المكبوح
في سجنها ؟ وكما يشكو الشعراء المغبونون من الحياة يشكو
معهم حمزة لأنه مغبون مثلهم ، وإن لم تصدق بأن حمزة
مغبون فاقراً :

رب نفس نالت مناها على العيب

ش وأخرى نصيها التسويف

وهي دنيا الشذوذ يرتفع الجأ

هل فيها ويستذل الحصيف

إن حمزة يرينا شعره صورة من احساسه الصادق في أداء
قوي عامر بالجزالة نابض بالحياة .

وهو من الرعيل الأول الذي لم يقف مجهوده عند تمهيد
الطريق ورفع الصخور ولكنه ما زال يمشي مشي المجد الذي
لا يقنع بالدون ، ولا يقف من الجهد ، ومثل حمزة في
شعره ونثره مفخرة لنا لولا سمة من سماته التي لا نحمدها
له وإن كان هو يحمدها لنفسه ، هذه السمة هي (اللأبالية)
التي تركه ينطوي على نفسه ، ولا يبعث باشعاعه القوي
الباهر إلى موطنه ومواطنيه ، وإن ميدانا لا يبرز فيه حمزة
نحس بفراغ مكانه فيه ، فإلى الميدان يا أستاذ ! . إن عتادك

موفور فلا تشح على الأدب بمجهودك فيه .

• • •

وبعد فهذا ما رصدناه ، في المكان النائي ، مما وصل إلى
أيدينا من أدب بلادنا ولو كان في المجال متسع - الآن -
لتكلمنا بصورة أوسع ، ولكن لدينا من الأسباب ما جعلنا
نستعجل في نشر هذا . وإننا سنوافي القراء بملحق لهذه
البحوث وستكون نظرتنا فيه إلى إنتاج كل من الأساتذة :
العامودي ، والسيد عبيد مدني ، وعدنان أسعد ، وعمر توفيق ،
وعبد الوهاب آشي ، وعبد الحميد عنبر ، وغيرهم ممن لهم
إنتاج يجب أن يغربل ليعطي كل من يحمل القلم حقه ، ولكل
من يلج ميدان الأدب مقامه ، وليعرف كل موضعه .

ونأمل أن نسير على هذا الطريق ، حتى تنتفي الخثالة
ويبقى ما بقي من آثارنا صافيا جميلا لا كدر فيه ولا غثاثة
تصرف عنه المتشوقون للأدب الحجازي الحديث في العالم
العربي .

فليعرف الأدباء والشعراء في بلادنا (أن وراء الشفة نقادة)
كما يقول زملاؤنا الحاريون .

الجزء الثانى

الكلمة الاولى

قالوا عن الأدب إنه مرآة الحياة ، ذلك لأن الأدب ينقل الحياة بواقعها عذباً أو مرأ إلى الأذهان والأفكار . إذاً فهو قول صحيح ، أو فيه الشيء الكثير من الصحة . وحملة هذه المرآة بالبدهة الأدباء ، إذاً فالأدباء يستطيعون نقل الحياة إلى الأذهان والأفكار والأجيال المتعاقبة بمرآتهم أو بمرآة الحياة التي يحملونها .

ولكن المعروف أن المرآة لا تكون لامعة شفافة تصلح لإعطاء صور الحياة على ما هي عليها في الواقع إلا إذا كانت معني بها من حاملها . أما إذا كان حاملها لا يعطونها من ذات نفوسهم ما يجعلها تحتفظ بصفاتها وشفافيتها حتى تصبح من الإهمال كحجر الرحي سوداء كالحمة ، فإن إلقاءها حينئذ يكون خيراً من الاحتفاظ بها لأنها لا تصلح للقيام بمهمتها .

والمفروض في أدبائنا أنهم غير مهمل المرآة التي يحملونها ، لتعكس ما يراد عكسه من صور الحياة ، ومن الزاوية المختارة . فلكل أديب زاويته التي تتفق مع نفسه وميوله ،

فالمرآة في أيديهم محتفظة بصفاتها ولمعانها أو هذا هو المظنون على أقل تقدير .

ولكن أيعلم الأديب أن مرآة الأدب التي يحملها تشف عن حقيقته قبل أن تشف عن أي حقيقة أخرى ؟ لأنها مرآة لا تقبل الخداع ولا التمويه ولا الالتواء . وهي تقبل أول ما تقبل على صاحبها وتبرزه لقارئه صورة طبق الأصل كعدسة المصور التي تنقل إلينا الصورة الشمسية ولا تبالي أن تبرز أي صورة أخرى بمنظرها الأصيل .

ولا تستطيع (الرتوش) الخارجية تغيير حقيقة الصورة أو طمس معالمها وملاحظها مهما كانت تلك (الرتوش) متقنة ومعنى بها . ولا يغيب عنا أن المبالغة في الاحتفال (بالرتوش) لا يدل إلا على مبلغ الإحساس بما في الصورة من قبح يراد ستره .

وقد يخدع التمويه والتهويل فرداً أو جماعة ، ولكن لن تكون تلك الجماعة أو ذلك الفرد من ذوي النظرة النافذة . وذلك الفرد أو تلك الجماعة لن تكون حجة على من يقيم الدليل على مبلغ ما في تلك الصورة من قبح سافر أو مستور . لأن الكلمة ممن ينظر إلى الحقائق تطيح بكل تهريج وإن بلغ ضجيجها عنان السماء .

هذه أشياء بدهية سقناها في كلمتنا الأولى لتكون بارزة

أمام أنظارنا ولثلا تغيب عنا عندما يستغرقنا النقد .

إن نظرنا إلى أدب بلادنا - في هذه الآونة - يجب أن تكون بعيدة عن روح المجاملة إلا لمن يراد تشجيعه وتوجيهه . لثلا نكون قساة على الناشئين . أما فيما عدا ذلك فعلينا أن نطرح من مقاييسنا كل مقياس يتجافى ومقاييس الأدب الصحيحة ، كما يجب أن لا نخدع بالرتوش ، وأن لا تلهينا الإعلانات الأمريكية عن حقائق الأشياء .

إن في الباعة من يعمد إلى تسليط الأضواء الخلابة على بضائع رديثة لخداع (الزبائن) وهؤلاء الباعة لا يستطيعون تصريف بضاعتهم إلا إذا استعانوا بما يشغل ملكة التمييز عند الراغب . و (الزبون) اليقظ لا يشتري بضاعته إلا بعد النقد والتحميص فلنتأس (بالزبون) اليقظ فيما يعرض علينا من الآثار ، ونحن الآن في مطلع الفجر . . . وقد مرت علينا مدة كافية من الليل نمنا فيها طويلا وقد آن لنا أن نصحو ، وأضواء النهار كفيلة بعدم مخادعتنا في التمييز بين الألوان الطبيعية والأصباغ الصناعية ، وفي وضوح النهار نستطيع أن نقدر كل ما يعرض علينا ، وأصبحنا بعد ثلاثين عاما أصحاب وعي مبصر فلا تجوز علينا لعبة الحوارة والالتواءات البهلوانية ولن تسرق عقولنا ، ولسنا من السذاجة بحيث نحسب البيضة كتكوتا ، وأنف الإنسان قناة يسيل منها الماء ، وإذا كانت ألعاب الحوارة تسرق

الانتباه ساعة من نهار فإن هذه الساعة لن تصعدهم إلى
مكان أعلى من مكان الحواة ولا بأس من أن نقول لهم :
إنكم حواة پارعون . وإذا فهمت هذا أيها القاريء -
وهو مفهوم لك بغير شك فسوف لا نختلف أنا وأنت بعد
إلقاء نظرة فاحصة على كل ما يعرض علينا من نتاج أدبي
وتقويمه بقيمته الصحيحة . نعم سوف لا نختلف على النتيجة ،
وعلى هذا المنهج سأسير والحق رائدي ، فهل لك أن
تسير معي ؟ هيا وعلى بركة الله .

المقدمة التي لا بد منها

... كان لمرصادنا الأول (فرقة) صعق منها الذين وهنت اعصابهم حتى أصبحت لا تطيق كلمة الحق والصدق ، واستنامت نفوسهم للمدح والإطراء حتى اطمأنت لذلك ، وقد ظن هؤلاء أو توهموا أن الضعف والزيف لا ينكشفان ، وفاتهم أن الضعف والزيف لا يصلحان أساساً لشيء ، وليس مثل القوة والصحة ثباتاً ودواماً ، وقد ينخدع بعض البله بالعملة الزائفة ، ولكن الخديعة لا تلبث أن تنكشف حتى على البله أنفسهم ولا يمضي طويل وقت حتى يكون البله أول الناقلين على من خدعهم وغشهم واستغواهم ، وقد يكون في هؤلاء الذين نتهمهم بالبلاهة متباهين يسيرون مع المزيفين إلى آخر الشوط ؛ ثم يكونون حرباً على من كان يظن أن زيفه انطلى عليهم ، وأقل ما يناله منهم سخرية لاذعة تدعه يتلفت يمناً ويسرة وخلفاً وأماماً لعله يجد من بينهم فرجة ينفذ منها إلى حيث يأمن سخريتهم اللاذعة وتهكمهم المر الأليم .

ونبهت هذه الفرقة بعض النفوس فاستيقظت من سباتها وهي تلعن السدور والغفلة اللذين سببا لها هذا الانزعاج

بعد أن كانت أستاذيتهم الممتازة تغط في نوم عميق . . .
وفجع قوم وتفجع لهم آخرون ، وذهب هؤلاء وهؤلاء
يصرخون من الرعب المفاجيء ويقذفون - من أثر الحمى
المفاجئة حمى الفجاعة التي انتابتهم - الشتائم على كل
من تسبب لهم في الخلاص من الوهدة التي تردوا فيها إلى
الأذقان .

ونحن لا تسوينا قذائف الشتم والسباب من جماعة
المفجوعين والمتفجعين بقدر ما تسرنا اليقظة التي انتابتهم بعد
الهجوع الطويل .

ولو كنا نضرب في الهواء - كما كان يصنع (دون
كيتشوت) - لما كان كل ذلك . . . وسنغتفر كما يغفر
الكرماء للثمامين شتائمهم لأننا نعرف أنها صادرة منهم
وهم في ذهول المفاجأة . وسوف لا يتخذون - كما نظن -
السباب والشتم سلاحاً لأنهم يعرفون وإن كانوا لا يعرفون
- فنعرفهم - طلباً للثواب من الله ومن الله فقط أن الشتم
من أسلحة السفهاء وما كان ولن يكون من أسلحة الأدباء
والمتقفين ، ولمن يتصدرون لقيادة الفكر في المجتمع . والذين
يختارون هذه الأسلحة القدرة في الدفاع عن أنفسهم ليس
مجالهم الميدان الأدبي بحال من الأحوال .

وإذا راق لأحد أن يصر على الشتم والسباب ، فقد أخرج
نفسه من حيث يشعر أو لا يشعر من زمرة الكرام الكاتبين ..

ولا نبيح لأنفسنا بوجه من الوجوه الهبوط إلى مقابلته بالمثل
ونصر على أن نكون محلّقين في أجوائنا وليتردوا ما شاء لهم
التردي في حماّتهم إلى أن يتجلى لهم حقيقة التردّي والانحطاط
: . فمن تجلت له فسيعود إلينا تائباً نادماً على ما فرط منه ..
أو لا تتجلى فلا يعود . وهناك يحق لنا أن نتمثل بقول القائل :

إذا ذهب () بأمر عمرو

فلا رجعت ولا رجع ()

أما الذين اتهمونا بعدم الدقة والتزاهة في مرصادنا الأول
فنقول لهم ولمن على شاكلتهم : إنكم ما زلتم لا تحسنون
القراءة فضلاً عن الفهم . . وإلى أن يتوافر لكم ذلك أمد
طويل . ونحن ننظركم إلى ذلك الأمد . فإذا أحسنتم القراءة
ثم أحسنتم فهم ما تقرأون وتكونت لديكم ملكة تبيّنون بها مبلغ
الصحة في أحكامكم التي تصدرونها في قضايا الذوق والفن
فمنذئذ تكونون أهلاً للأخذ والعطاء في المناقشات الأدبية .
فلا تتعجلوا شيئاً جعلنا لكم فيه فسحة وستجدون هذا التشجيع
والعون ما عرفتم أنفسكم ، إلى أن نرى لكم أجنحة تستطيعون
التحليق بها في هذه الأجواء . بارك الله فيكم ونمى مدارككم
وأحسن لكم المستقبل والعاقبة .

* * *

بقي علينا هؤلاء الذين قالوا لنا لقد أغفلت من حسابك

ثروة كبيرة من الشعر والنثر لهؤلاء المنقودين
- في المرصاد الأول - وحكمت عليهم ببضعة
أبيات أو بقصيدة واحدة غير مراعاة الظروف التي أحاطت
بهم ساعة نظمها . . وردنا على هؤلاء سيكون حكاية تروى
فقد حكى أن طبيبا كشف على مريض وبعد أن شخص الداء
قال له أجباء هذا المريض - بلغة أصحابنا - إن مريضنا
كان صحيح البنية قويا شديدا العضل متينه ، فهلا أعدت
النظر إلى ما كان عليه من عنفوان وقوة . . كيف أيها
الطبيب تحكم على مريضنا بالضعف والهزال ؟ وكيف تصفه
بالضعف والانحلال ؟ ونحن نشهد أنه كان . وكان . وله .
وله . . وعمل . . وصنع !!! فما زاد الطبيب على الابتسام
لأقوالهم وعمد إلى مشرطه واستأصل ما يجب عليه استئصاله
من مريضهم غير عابئ بما قالوا وما يقولون . . فإن أخطأ
هذا الطبيب فما نحن بأقل خطأ منه ، وإذا مات المريض فليس
الذنب ذنب المبضع ، ولا ذنب الطبيب . . ولكنه ذنب
البنية الضعيفة والمرض المستشري . . وإن استعاد المريض
قوته وعنفوانه أفلا يستحق الطبيب شيئا من الشكر كاعتراف
بالجميل ؟؟ .

. . . للقارئ أن يحكم . . وإذا منينا بقراء لا يستطيعون
أن يتبينوا مواقع الخطأ من الصواب فلعلنا لا نفتقد قراء
يحسنون التحدث بالحكايات فليروا لهم قصة هذا الطبيب

وهذا المريض . وما قال أحياء المريض وأصحابه فقد صنعنا هذه الحكاية مثلاً . فبضرب المثال يتضح الإشكال . كما قيل وكما يقال . لقد تناولت من البريد عدة رسائل على أثر صدور المرصاد الأول وأن ورود مثل هذه الرسائل إلى على بعد الشقة بيني وبين مرسلها آية على ما توقعته من النجاح حينما قلت في مرصادي الأول : « إنه طلائع الحملة وإنما واثقون من نجاحها » .

لقد نجح المرصاد ولله الحمد في أداء واجبه ، وأحدث الأثر المطلوب ، وشغل حيزاً كبيراً في ذهن كل أديب وسوف لا يجد كل حامل للقلم عندما يعمد إلى الكتابة الأدبية شعراً ونثراً إلا أن يضع في حسابه النقد ، وأن وراءه مرصادا يرصد عليه كلماته . فيحاسب نفسه قبل أن يتعرض لمحاسبتنا ، وذلك هو الهدف الذي نرمي إليه . . والغاية التي نهذف إليها أن يحسن كل عمله ، قبل عرضه على الناس ولا يضير هذه الحقيقة جحودها وإنكارها — إن قدر لها الجحود والإنكار — ولا يهمني ذلك ما تركت أثرها المطلوب في الأذهان .

إن الرسائل التي وصلت إلي متنوعة فبعضها نقد لي ، والبعض رمي لي بالتناول على المقامات ، فأضحكني ذلك نعم أضحكني فرية التناول على المقامات . . لأن المرصاد رسالة نقدية تداولتها الأيدي وتناولها القراء . بل هي المؤلف

الوحيد الذي قوبل بلهفة شديدة من القراء . وكان الرواج الذي حازه رواجاً منقطع النظير . لم يحظ به مؤلف غيره كما أخبرني ذلك الصديق الكريم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري . وكان مما أخبرني به أن المرصاد لو طبع أضعاف أضعاف العدد الذي طبع لنفد، لأن الطلبات انهالت عليه بصورة لم يسبق لها مثل ، هذا في بلادنا ، أما في البلاد الشقيقة فقد قوبل بحفاوة كبيرة على صغر حجمه وتواضع بحوثه من عدت صحف . ولست في مجال الاستشهاد بتقريظه الآن، ولكني بسبيل التذليل على أنه مؤلف أدبي بحث لا يخرج عن الأدب بحال من الأحوال . فارتأيت أن أستشهد بما قالته جريدة واحدة من الجرائد التي تصدر بمصر وهي جريدة المقطم فقد نشرت هذه الجريدة في عددها الصادر يوم الثلاثاء ١٣ شوال سنة ١٣٧٠ هـ تحت عنوان (المرصاد) « في البلاد السعودية اليوم نهضة أدبية ينبغي الالتفات إليها ففيها أدباء بارزون صاروا يتوفرون على الكتابة والترجمة والنشر ، حتى أصبحت المكتبة السعودية تتضخم يوماً بعد يوم بالمؤلفات النفيسة التي يخرجها هؤلاء المؤلفون . ويصاحب حركة الكتابة حركة نقد طيبة . والنقد من أهم مقومات الكتابة ، ومن أكبر دواعي الإصلاح والتجديد . ولهذا استقر رأي الأستاذ إبراهيم هاشم فلاحي على إصدار سلسلة من المصنفات في انتقاد الأدب السعودي المعاصر .

وكان أول كتاب له هو (المصباح) الذي انتقد فيه الثمار الأدبية لكل من الأساتذة: ضياء الدين رجب، وحسن فقي ، وحسين سرحان ، وحسين عرب، وحسن عواد، وأحمد جمال، وحسن عبد الله القرشي ، وأحمد عبد الغفور عطار ، وطاهر زمخشري ، وأحمد السباعي ، وعبد القدوس الأنصاري ، وحمزة شحاته . ويتميز نقد الأستاذ فلالي بالعين المبصرة اللامحة ، والذوق الفني المرفه ، وحب العدالة في النقد حتى يصيب الكاتب بذلك مرماه . ومتى كان للكاتب ذوق وفن خط لنفسه اتجاها . ومتى وضع لنفسه موازين سليمة للنقد استطاع أن يؤدي رسالته على الوجه الصحيح « هذا ما كتبه المقطم فليقتنع به من أحب الاقتناع عن بينة تأتيه ممن ليس له فيما يكتب أي موثر من موثراتنا الداخلية وأني أزهد الناس في الشهرة كما يعرف ذلك من عرفني ، وما كنت لأستشهد بهذا الذي كتبه الأستاذ وديع فلسطين في المقطم لولا أنني اضطررت له اضطراراً على كثرة ما كتب في صحف مصر ومجلاتها عن أثر هذا القلم وآثاره المتواضعة في الأدب والنقد الأدبي ، لأن المقصود ليس هو شهرة الأفراد وإنما هي بلادنا وسمعتها في هذا الميدان وكل ميدان . . إنني من الذين يؤمنون ببلادهم أكثر مما يؤمنون بأنفسهم فمن بالله أنا ومن أنت ومن هم ؟ إن كل شيء عندي وعندك إن كنت مثلي بلادنا

فهي وحدها التي يجب أن تخلد في فم الزمان . . فإن كنا
نعمل فلها . كما عمل لها الآباء والأجداد .

* * *

أما ما ناله المنقودون من وظائف فمرد ذلك مواهب
وكفاءات أخرى ليست من النثر والشعر في شيء ، وتلك
أشياء ليست من أعمال الناقد الأدبي وإنما هي من أعمال
المؤرخ وليست من موضوع كتابتنا هذه .
إننا ننقد الأدب ونؤرخ له ، ولكتابة تاريخ الأشخاص مجال
آخر . حينذا لو تهيأت له الظروف والأسباب . وإننا
ستعرض لنقد أناس أمثالهم - بل ربما فاقوهم قيمة ومقاما
في مجال الوظيفة والجاه والوجاهة - من الناحية
الأدبية فقط . لأن المجال الأدبي مضطرب الأقلام والأذواق
والاراء فليفهم هذا المتحدثون الذين رمونا بالتناول على
المقامات ، والتعرض للشخصيات . . وليضيفوا إلى فهمهم
إضافة أخرى وهي أن الأدب ما كان ولن يكون قط
تابعا في موازيتة واعتباراته موازين الوظيفة واعتباراتها
وليس من الضروري أن يكون عمالقة الوظائف عمالقة في
الأدب . ولا يقلل ذلك من شأنهم كموظفين قادرين على
أعباء أكبر الوظائف وأرقاها وقد سن ذلك ووضعه وعرفه
تمام المعرفة عبد الملك بن مروان قبل مئات السنين حينما
سأل خالد بن سلمة المخزومي عن أخطب الناس ، فقال أخطب

الناس أنا يا أمير المؤمنين . قال عبد الملك : ثم من ؟ . قال اخيفش
ثقيف - يعني الحجاج - قال : ثم من ؟ قال : سيد جذام -
يعني روح بن زنباع - قال ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين . قال
ويحك جعلتني رابع أربعة ؟ قال : نعم هو ما سمعت : فهل قلل
ذلك من قيمة عبد الملك ؟ كلا بل أضاف إلى عظمته عظمة
الإعتراف بذلك .

كما أنه ليس من الضروري أن يكون عمالقة الأدب عمالقة
في الوظائف ليتسنى لهم الكلام في الأدب وفي نقده . وتلك مسألة
مفهومة وإنما عمدنا إلى ذكرها ليفهمها من لا يرتقي بفهمه
إليها .

ونوع من الرسائل وصلني وهو أكثرها يحمل مدحاً
وإطراء واستزادة لهذا النوع من النقد ونقول لهؤلاء الأساتذة
لقد أخرجتكم تواضعنا ولا يسعني إلا أن أصدع بأمرهم فيها
بنا إلى النقد أيها المعجبون أو أيها (المحرشون) .

نهر وجر

للأستاذ السيد عدنان أسعد

وعدت القراء في مرصادي الأول أن أكتب عن الأستاذ السيد عدنان أسعد ، والأستاذ محمد سعيد العامودي ، والأستاذ السيد عبيد مدني، والأستاذ عبد الوهاب آشي ، والأستاذ عبد الحميد عنبر . وسأفي إن شاء الله بما وعدت ، ما توفرت لي مادة الكتابة والحصول عليها .

وسوف لا أقف عند حد من ذكرتهم . وسأتعرض لنقد ما يصل إلى يدي من إنتاج كل أديب في بلادنا المترامية الأطراف الزاخرة بالأدباء والشعراء . فإننا في دور البناء . ورائدنا جميعاً أن يكون بناؤنا سليماً متيناً . ليقف ثابتاً شامخاً يطاول الزمن ، ويساير الحياة وينادم الخلود، ولا يتسنى لنا ذلك إلا باليقظة التي تدعنا ننبذ كل مادة تسبب الوهن وتكون مجلبة للضعف والتأخر .

وسننبذ من بناثنا كل ما يعيبه ويشوه جماله ، وكما قلت سيكون هذا القلم سناناً مرهفاً لاقتلاع كل مغشوش وزائف

ولقائه في عرض الصحراء .

• • •

ويدي الآن كتاب « خمر وجمر » للأستاذ عدنان أسعد وهو شاب حجازي يعرفه قراء الرسالة بمصر والمنهل بمكة أديباً وشاعراً وناقداً وهو من شبابنا الواهين أنفسهم لخدمة العلم والأدب وباكورة مؤلفاته هذا المؤلف الصغير الذي جمع فيه نبذاً من تجاربه الأدبية .

وقد لا يهتدي القاريء إلى فهم ما يقصده الأستاذ عدنان من أقواله المرسله إرسال المتصوفة والحكماء فيضيق بالكتاب وبمؤلفه . وقد لا تعجب طريقته في الكتاب جمهرة القراء . ولكنها تروق الذين تلذهم الأقوال على هذا النمط .

ولاني أنقل إلى القراء نموذجاً من أقواله التي حشد بها كتيبه الصغير . قال :

« قالوا الشمس والقمر عقربا الساعة . قلت والنجوم ثوانيتها »

وهي لفته ذهنية بارعة .

« يا من دعوت الله فلم يستجب هل تطهرت قبل الدعاء

وغسلت قلبك بصابون الإيمان ؟ » .

« الشاعر في قصره ملك الخزاني » .

« قالوا لكل شاعر ليلي فأين ليلاك؟ قلت : اسألوا الليالي » .

«سألت متصوفاً متطرفاً لم لا تحتذي؟ قال : خلقت حافياً
بلا نعل ! قلت : ولكنك خلقت عارياً بلا صوف فتصامم».

وللأستاذ عدنان أسعد في كتابه بجانب مرسلاته الثرية
التي قدمت منها الآن نموذجاً مرسلات شعرية . وهي وإن
كانت بأسلوب الشعر إلا أنها مثل مرسلاته الثرية لا تلذ
القارئ كثيراً ، وإنما هي طريقة للأستاذ عدنان لم يسلكها
غيره من أدبائنا ، لذلك لا نجد مندوحة من عرض بعضها
في مرصادنا هذا إن لم يكن لتقدمها فلتدليل عليها قال :

طلب المستحيل

يا ليتني كنت في نار وفي حطب

يا ليتني في عداد الناس لم أكن

بل ليتني ما وهبت الدفء في رحم

وما عرفت قواق الأم واللبن

وقال :

المرأة والمساواة

إني سمعت عجيبة تدعوا لحق صاحبه

وتقول كيف لنائب حق ، وليس لنائبه؟

سبحان من تحت الرجا ل وثج در الحالبه . . .

للكل نوع واجب والحر يعرف واجبه

وقال :

مسكين هذا المنبوذ

نبذوه في ثوب العراء مقفلاً

ياليتهم باتوا بثوب عراء

نبذوه منهوك الإهاب وجلدهم

كالحمل يرضخ من ثقل كساء

حرموه..من خرق الحياة وألبسوا

أولادهم خبزاً وثوب غلاء

تركوه في الدنيا صريع غوائل

يوم القيامة ويلهم بجزاء

ونحن نرى أن الأستاذ عدنان يريد أن ينحو في شعره ونثره نحو فيه مشابهة لشعراء الحكماء أو حكماء الشعراء . وهو نحو طيب لا بأس أن يسلكه شاعر من شعرائنا ولكننا نجد ضعفاً وركاكة في أدائه ، ولعل مرجع هذا الضعف والركاكة عدم مطاوعة الأداء له ، كما يجب أن يكون . ثم هو كثير التأثير بقراءته لآثار الفلاسفة والمتصوفة وقد ظهر هذا التأثير واضحاً جلياً في أثره .

والذي نريده من الأستاذ عدنان وهو أحد خريجي دار المعلمين ، بحوث أدبية أو علمية ممتعة مفيدة ، وإذا أراد إلا أن

يسلك طريق النثر والشعر على هذا النمط فنود أن نرى
شخصيته واضحة جلية متحررة من كل التأثيرات التي
ما زالت مستحوذة عليه ، والأستاذ عدنان جدير بتحقيق
الأمم ، ولن يعجزه ذلك إذا أصر وصمم .

عبد الله خطيب

هنا هب ۱۱۱

هنا نفس تنصهر في بوتقة آلامه لتستحيل شعراً !!!

هنا شعلة تضيء لنا . ولكنها تحترق !!!

هنا قلب يعتصر . ويحيل شغافه موسيقى للقلوب والأرواح

هنا كتلة من الأعصاب المرهفة ، والأحاسيس الرفيعة ،

والعواطف الملتهبة .

هنا عبد الله خطيب ، وإذا قلت عبد الله خطيب فإنما

أعني كل ما قدمته لك يا قارئ العزيز من نعوت وصفات ۱۱

اسمع لعبد الله خطيب وهو يذيب نفسه في هذه القطعة

الشعرية :

سئمت حياتي من مراوغة الناس

وحطمت آمالي على صخرة اليأس

وأنست وخزات الضمير كأنها

قذائف تلقى في قرارة إحساسي

وما كنت في سوق الصفافة تاجراً
أبيع وأشري العمر بيعة فلاس
وما بعت أفكارى لأجل زخارف
ينمقها وهم الخيال لإيناسي ..
وما ضقت ذرعا بالوجود وإنما
على مريض مني أعيش مع الناس
وكنت إذا كان الزمان معاندي
جلست بعيداً بين كتي وقرطاسي
همومي متاع الذهن لابل طموحه
إلى المثل الأعلى لأقدس نبراس
عفا الله عن قوم يظل ضعيفهم
طريد أسى يسقى المرارة في الكاس

وحرام علينا أن نحاسب من يذيب نفسه ونقول له إن
الكتب هي القرطاس فما معنى جمعهما ، في قولك :
« جلست بعيداً بين كتي وقرطاسي » . إن للشاعر قلباً
إنسانياً كبيراً، وهل أكبر إنسانية ممن يطلب العفو لقوم ظل
ضعيفهم طريد الأسى والمرارة ؟ وهل نؤاخذ هذا الذي
يطلب العفو لمن ظلموا الضعيف ، على جمع كلمتين بمعنى
واحد يجب أن نكون إنسانيين معه . لا تتلمس

قارئي الكريم عند عبد الله الخطيب الشكليات ولكن تلمس
عنده الجوهر والروح .

وعبد الله الخطيب مقل في شعره وفي نثره وإذا أردت
سر إقلاله فالتمسه في قوله وهو يخاطب الطير :

قلت للطير وهو في القيد يرسفُ

لم لا تشتهي الغناء وتعزف ؟

لم لا تملأ المسامع شدواً ..

لم عن عالم الهناء تعزف ؟

أي حاليك ؟ ثورة الصمت تقسو

بك أم بهجة الأغاريد أشرف ؟

أنضوب في الحس يا طير أم هوّ

مت ياساً تهويمة المتخوف ؟

فأجاب السجين إنك والطفل شب

سيهان لابل أنت عندي أطرف

أنا في عالم السدود مسجي

بين قضباني الصغيرة أزحف

أنت تبغى الحياة فناً جميلاً

وهي رغم الجمال تقسو وتعنف

أين حريبي التي كنت أرحا
ها إذا رحى في السماء أرفرف ؟
ذهبت تلکم الأغنيات مع الريح
كما يذهب الصباح المقوف

أعلمت يا قارئى سر إقلال الخطيب في الشعر ؟ لعلك
علمت أنه مثل طيره الذي سمعت المساجلة بينهما في هذه
المقطوعة الجميلة ، التي تنبض حياة وألما وصمتاً هو
كالصراخ . ويتشبه عبد الله خطيب في صمته بالنجم الذي
وصفه لنا في قصيدته الجمال حيث يقول من شعره المنثور :

في صفاء الجو والصوت مخيم
يتراءى الليل كالقلب مهوم
غير نجم خافق لا يتبرم ...
ينظر الأفق ولا يتكلم ...

ليتك يا عبد الله لم تشبه بهذا الكواكب السماوي الصامت
وليتك كنت شبيهاً بكواكب الأرض التي لا يسعها إلا أن
أن تتكلم ولكن ما نفع لیت ؟ يا عبد الله .

هذه هي الومضات التي نريدها لشعرنا . إنها ومضات
خالديات ، ولكننا لا نتعشقها ولا نعطيها ما تستحق من
التدبر والتقدير . ارفعوا أيها القراء عن أعينكم الغشاء وتلمحوا
النور فمن مثل هذا الشعر يكون البناء .

محمد سعيد عامودي

النضوج في التفكير، والاستقامة في الخلق، والوقار في السمات، والوضوح في البيان تلك هي شمائل الأستاذ العامودي. والعامودي من أدياء الرعيل الأول في بلادنا. ولكنه لم يتخل عن رسالته الأدبية كما تخلى عنها بعض زملائه وبقي مخلصاً لرسالة الأدب، ماضياً في سبيلها حتى الآن.

وذلك دليل أصالته الأدبية وقد عرفت له هذه الميزة فأسندت له القوامة على تحرير مجلة الحج، فنهض نهوضاً واضحاً ملموساً لا ينكره إلا مكابر لا يقيم وزناً لجهود المجاهدين. وما زال العامودي يطالعنا بنتاجه في مجلة الحج وفي غيرها من صحف بلادنا القليلة والتي نأمل أن تكثر حتى يكون لبلادنا صحافة تليق بمكانها كبلاد تتجه إليها وجوه المسلمين وأرواحهم في مشارق الأرض ومغاربها لقد قال سمو الأمير عبد الله الفيصل ذات مرة: «إن صحافتنا كالثوب القصير على الجسم الكبير، وهذا صحيح»

• • •

لقد كان العامودي في مطلع حياته الأدبية شاعراً وناثراً

أما الآن فقد اقتصر على النقد ولم نعد نرى له إنتاجاً شعرياً .
ولقد رغبت إليه أن يتحفني بشعر جديد ، إن كان لديه
شيء من ذلك لينظر إليه المرصاد بنظرته ، ويزنه بميزانه
ويضعه في موضعه الجدير به من شعر بلادنا فكان جوابه لي أنه لم يعد
يعني بالشعر- كما كان يعني به سابقاً- ذلك لأنه كفر بالشعر ،
ولأن العصر الذي نعيش فيه لا يعني بالشعر ، ولا يقيم له
وزناً فهو عصر عقل ومادة ، وما هو عصر روح وعاطفة .
ولما ألححت عليه أحالي على وحي الصحراء . أما ما أنتجه
من شعر بعد ذلك ، فقد أهمله بين أوراقه وأن الجو الذي
امتاز به طقس بلادنا يمنعه من أن يجمع بينه وبين حرارة العاطفة
وأن جلبة العصر الذي نحن فيه لم تدع له وقتاً يتفرغ فيه للبحث
عن أشعار أصبحت في زوايا إهماله ومجاهل نسيانه ، ولكن
للأستاذ العامودي ما أراد ، فذلك يتعلق بخاصة نفسه
وليس لنا أن نتدخل في الخصوصيات .

ولكن نريد أن نسأله : هل النفس الشاعرة تستطيع أن
تتخلى عن الشعر سواء كانت مؤمنة به أو كافرة ؟ . إن
عصر المادة والعقل يا أستاذ عامودي لا يستطيع أن ينتزع
من النفوس خواصها ، والكفر بالشيء لا يمنع وجوده . . .
فكفر الإنسانية كلها بالشعر لا يستطيع أن يجرد النفوس
الآدمية من عواطفها وانفعالاتها ، إلا إذا خلق الله نفوساً
لا تحس ولا تشعر . وإلا إذا خلق الله رءوساً لا تعي ولا
تفكر ، وإلا إذا خلق الله أجساماً بغير قلوب تخفق ، وبغير

أرواح ترفرف ، وإلا إذا خلق الله إنساناً مجرداً من الآمال
والأمانى والأحلام ، والأخيلة .

إن خلق الله لم يتبدل منذ خلق آدم عليه السلام وسيبقى هذا
الخلق كما هو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وما دام
هذا الخلق يحمل كل هذه الخصائص ، فلا بد له من قول
الشعر ، كما أن لكل مخلوق له معدة لا بد له
من الطعام والشراب ، وكل مخلوق يحن إلى المأوى
لا بد من اتخاذ سكن يأوي إليه ، وكل مخلوق يحس بلمحة
البرد والحر لا بد له من ثياب تقيه البرد وأخرى تقيه الحر ..
وكل إنسان تهفو نفسه للجمال لا بد له أن يتغنى به ، إن
ملكة الكلام من خصائص الإنسانية يا أستاذ عامودي التي
تفردت بها دون غيرها من مخلوقات الله ، انحصرت في
شيتين اثنتين لا ثالث لهما هي النثر والشعر .. وما دامت
هي قادرة على النطق بهما فلن تتخلى عن أحدهما دون الآخر
إننا إذا نظرنا إلى الإنسانية نجدها لم تكتف بالنثر والشعر ،
فراحت تتخاطب بأشياء كثيرة لأن لديها معاني قد لا يقوم
الشعر والنثر بأدائها . فتكلمت بالموسيقى ، وتكلمت بالرسم ،
وتكلمت بالتصوير ، وتكلمت بالرقص وبأشياء أخرى
كثيرة .. وذلك دليل على أنها في حاجة إلى التعبير بما هو
أكثر من الشعر والنثر ، فكيف يتسنى لها ترك الشعر وهو
أداة جميلة من أدوات التعبير التي اختص بها الله عباده

لك أن تقول يا أستاذ إن جلبة المادة وهيمنة العقل المجرد على الحياة أصمما آذان الانسانية عن سماع الشعر فلم تعد تصغي له الإصغاء الواجب ، وتستطيع أن تقول إن الصراع الأرضي العنيف ران على القلوب بقسوته ومآسيه حتى أصبحت لا تتلفت للأصوات الإيقاعية الموزونة ، وتستطيع أن تقول إن الإنسانية التي احترقت في أتون النار والحديد والبارود لا يمكن أن تغريها القلوب الشاعرة المحترقة في أتون الألم والحرمان على الاستماع لأناتها ، وتستطيع أن تقول إن الأنفاس الجهنمية التي تتنفس بها فوهات المدافع اجترفت في طريقها أنفاس الشعر والشعراء . تستطيع أن تقول هذا وما هو أكثر من هذا، ولكن ليس معنى هذا كله أن النفس الشاعرة تجردت من شاعريتها، بل ربما حالة الإنسانية هذه أدعى إلى إثارة الانفعالات فيها . . وما الشاعرية ؟ إنها إنفعال نفسي متدفق قاهر يحمل على قول الشعر حملاً ، وإن الإنسانية على كل ما حل بها لم تنزل محتفظة في سيرها العنيف المرهق بقلوب ونفوس وأرواح تهفو إلى ظلال الشعر ، وترى فيه نفسها ، وتتنسم في واحات الشعر المنتثرة في صحراء الحياة القاسية نسيم الراحة ، وتجد في أفياء الشعر الوارفة برداً وسلاماً، وترى فيه متنفساً بنفس عنها — ولو ساعة من نهار — ما هي فيه من أزمات الصراع الخائفة .

وأخيراً تستطيع أن تقول إنني اتكلم كلاماً شعرياً ، لا يتفق مع المنطق السائد في لغة التفاهم بين الأكثرية الغالبة من أبناء الدنيا في عصرنا الحديث ، ولكنك لا تستطيع أن تنكر أن هناك أقلية تعيش للشعر، وإن أقلية تقابلها لا تلهيها الحياة عن استماع الشعر . . . ويكفي الشعر رسالة بالغة أن يمنحوا على الأقليات ويتجاوب معها . . . لا بل يكفي الشعر فخراً أن الكافرين به يتماقونه ليثير في الشباب حب الموت للدفاع عن الحوزة، وليثير في الكهول حب التضحية لنوال الخلود ، ويثير في الشيخ رجوعه إلى صباه .

ولنعد إليك - يا أستاذ عامودي - ذكريات الشعر - بالنظر إلى شعرك - منتملين بقول الشاعر : « رب ذكرى قربت من نزحا » فدل ذكريات نفسك الشاعرة تردك إلى الشعر فتعود إلى قيثارتك وتسمعنا من ألحانك ألحاناً جديدة . إن الأستاذ العامودي شاعر يعرف قيمة الشعر . ومن تقديره للشعر قوله :

الشعر فن جميل	لدى الطباع الجميلة
إني أراه «دواماً	سر الحياة النبيلة . .
لكنه بات يشكو	ذوي النفوس العليلة
هم صبروه مهاناً	يحيا حياة ذليلة . .

أرأيت يا قارئ الكريم مبلغ معرفة العامودي لقيمة الشعر . إنه عند العامودي فن جميل وإنه سر الحياة النبيلة ولكن

العامودي يستمع للشعر التابع من قلبه فيراه يشكو النفوس
العليلة التي صيرته مهاناً ذليلاً . . فلا يدعه يتنسم نسيم
الحياة لئلا يحيا حياة ذليلة لا تليق به . وإنه لاعتزاز بالشعر
إلى أبعد حدود الاعتزاز ، ولكنه اعتزاز متطرف أدى إلى
وأده . . وكان في إمكان العامودي أن يعمل للشعر عملاً
ينجيه عن طريق المهانة ، ويدعه يحيا حياة كريمة كما يريد
العامودي ، حياة تحارب الذل والهوان ولا ترضى بظلالهما .
ويقول العامودي :

أما الحياة فإني لست أفهمها

إلا غناء ، وألحانا ، وأشجانا

أرى الزهور وقد أضحت أرائكها

تبدو فتشدو عليها الطير نحنانا

وأسمع الصارخ الباكي يذكرني

عهداً من الحب فيه (كان ما كان)

يومي وأمسي مجال للترنم والذ

كرى وهذا غدي أيضاً لقد أنا

إن العامودي لا يفهم الحياة إلا غناء وألحانا وأشجانا ،
ومعنى هذا أن العامودي لا يفهم الحياة إلا شعراً ، فإذا كانت
غير شعر فتستعصى على فهمه . . معنى واضح ، ووضوح المعاني
والأفكار كما بينا في صدر كلامنا من شمائل العامودي ،

فما معنى كفره بالشعر بعد هذا الإيمان الكامل به ؟ قد أجاب
العامودي على هذا السؤال في شعره الذي مررنا، فكفره بالشعر
أناه من شكوى الشعر من ذوي النفوس العليلة .

هم صبروه مهانا - يحيا حياة ذليلة

ولا يريد لشعره أن يهان، فوأده في نفسه حرصاً عليه من
الإهانة لا كفرأ به، ولعل العامودي خانه التعبير حينما قال
لنا إنه كفر بالشعر :

لا تقولوا لمن يتاجر في مـ

ـدته ، كيف أنت فيه تتاجر

لا تقولوا له : لقد جئت ذنبا

هو ذنب من الذنوب الكبائر

حسبكم منه فعله فهو درس

لأولى الأنفس الشريفة ظاهر

حسبكم أنه بغير ضمير

حينما الناس يذكرون الضمائر

وهذه رباعية من رباعيات العامودي . . . لا. لأنها ليست
رباعية لأنها أنة قلب يتحرق على ما وصلت إليه الأنفس
من الحطة حتى أصبحت تتاجر بالمبدأ ، كما يتاجر التجار
بالسلع وراء الريح . والمتاجرة بالمباديء أحط أنواع التجارة .

لأن المبدأ لا يقوم بقيمة مهما كانت تلك القيمة مغرية، إنه فوق المال وفوق الجاه ، لكن كم في الألف من النفوس التي تعرف قيمة المبادئ وتعتر بها ؟ ولا تساوم فيها ؟ ولذلك فهو ينصح بأن لا تقول لمن يتاجر بمبدأه إنك أتيت بكبيرة من الكبائر، إن من يتاجر بمبدأه لا يبالي الذنوب، صغائر كانت أو كبائر، لأن ميت الضمير، فاقد الإحساس سلب الكرامة والشرف . فإذا ذكرت الضمائر بين الناس ورفعت لها . . . موازين القسط شالت كفة ميزانه، وسقط من عداد الأشراف الذين لا يعرفون لأنفسهم قيمتها .

حسبكم أنه بغير ضمير

حينما الناس يذكرون الضمائر

معاني واضحة في بيان واضح ، لا لبس فيها ولا دوران . الحق أني أميل إلى الشعر الواضح وأمجد صاحبه . ذلك لأن المعاني كامنة مخبوءة في النفوس، وميزة الشاعر في بيانها وتوضيحها بأسلوبه الغنائي المقفى الموزون ، والعامودي لم يفقد هذه الميزة ، ونحن إذا نظرنا إلى الشعراء الخالدين في كل أمة لا نجدهم خالدين إلا لأنهم أوضحوا المعاني العميقة واقتنصوا الشوارد منها وقدموها للناس في بيان واضح مشرق لا يجهد الأذهان ولا يرهق العقول ، بل ينعشها ويبعث فيها النشاط والحركة والحياة إلى جانب المتعة بإيقاعها ورنه أجراسها ولكن :

قد يضيع الحديث عند أناس

لا يكادون يفهمون الحديثاً

إنما الصمت حكمة بين قوم

لوئتهم عقولهم تلويثاً ..

هم يرون الخبيث شيئاً جميلاً

ويرون الجمال شيئاً خبيثاً

عش غيباً ، وكن جماداً وللرا

حة يا صاح فاسع سعياً حثيثاً

إنها نصيحة خليقة لمن يعيش بين أناس يرون الخبيث شيئاً جميلاً والجمال شيئاً خبيثاً .. ولكن هل في إمكان الذكي أن يستحيل غيباً وفي إمكان الإنسان أن ينسخط إلى جماد .؟؟ يعرف العامودي أن ذلك غير ممكن . إذاً أفلا أقل من التغابي لمن أراد سعياً وراء الراحة . ولكن من يسعى إلى الراحة ؟ بهذه (الوصفة) التي يصفها العامودي الساخر . لا يسعى لها إلا من طلب التردّي والانحطاط . وأراد أن يبذل خلق الله ، ويستبدل بالنعمة النقمة ، وبالخير الشر وبالأعلى الأدنى ، وبالمقدرة العجز . يفهم هذا من قول العامودي الجاد حينما يصرخ في الشباب صرخته الرجذانية المتحمسة :

يا شباب الحجاز ما عاش من يد
 نرم نوما فايقظوا النواما
 عاجز في الحياة من يطلب الرا
 حة فيها ويبتغيها دواما
 ساحة المجد لايفوز بها غـ
 ير الذي يسبق الجموع التحاما
 فاعملوا وابذلوا الجهود على أن
 تحفظوا أيها الشباب الوثاما
 نظموا السير وأفهموا الناس طرا
 أننا أمة تحب النظاما ..
 واملأونا تباها وارشفونا
 من رحيق الفخار جاما فجاما

هذا نموذج من شعر العامودي الشاعر قاله منذ أكثر من
 عشرين سنة تقريبا . فإن كان لنا أن نأسف على شيء فإننا
 على هذه الشعرية ذات الأحلام الذهبية التي وأدها العامودي
 ولم يتركها تسير مع مثيلاتها في الطريق ، وأن مثل هذا
 الشعر لا يمكن أن يهان أو يحيا حياة ذليلة يربأ العامودي
 بشعره أن يحياها ، أما همزتي الابتداء التي جاءتا في (افهموا)

وفي (ارشفونا) على أن تقرأ كهزمة الوصل فإننا نغتفرها
للضرورة الشعرية .

ولعلنا أثرنا في نفس العامودي الشعرية المدفونة تحت
أطباق اليأس ، ولعل هذه الشعرية الموءودة تنفض عنها
الغبار وتمزق أكفان الموت وتلبس لبسة الأحياء ، وتسير
مع الركب فإنه ليعز علينا أن يفتقد موكب الشعر في بلادنا
شاعراً مثل العامودي ، ويعز علينا ألا نجد لهذه الشعرية
الثرّة التي لا يمكن أن تنضب غير ما طالعتنا به من شعر في
مطلع حياتها .

ويؤلمنا ألا ننعم بصوت شاعر عرك الحياة ، وعانى ما
عانى من تجاربها ، نريد يا أستاذ عامودي أن نستمع إلى
تجاربك الشعرية فلا تبخل علينا بها .

شعراء الحجاز في العصر الحديث

وأخيراً أتخفنا الناشر النشيط الأستاذ عبد السلام الساسي بمجموعة من شعر جمهرة من شعرائنا . . في كتاب أسماه : (شعراء الحجاز في العصر الحديث) . فإذا تعرضنا لنقد ما فيه من شعر ، فإن الواجب يدعوني - قبل أن أدير القلم للنقد - أن أشكر الساسي لأنه أتاح لنا بكتابه هذا فرصة طيبة ، ووضع في أيدينا مادة وافرة لو لم يقدمها لنا الأستاذ عبد السلام الساسي لأعياننا الحصول عليها بمثل هذه السهولة . . ومن غير الساسي لها . ؟؟ فشكراً . . شكراً .

لقد أهدى الساسي مجموعته هذه لأبرز رجل من رجالنا وأبعدهم صوتاً ، وأحفلهم بمناحي العظمة . ذلك هو معالي الشيخ محمد سرور الصبان . وقد أسماه الساسي الوزير الأديب . . ونحن نسميه : « باني النهضة الأدبية في بلادنا »^(١) لأنه أول من حمل شعلة الأدب في هذا البلد المقدس . . وأول من بذر بذور الكتابة الفنية شعراً أو نثراً . . والذي أعرفه . أنه أول من أنشأ في بلادنا مكتبة أدبية ، وكان مكانها

(١) وبهذا التسمية أهديته كتابي المسمى «مع الشيطان» اعترافاً بالجميل .

في القشاشية منذ خمس وثلاثين سنة تقريباً . كما أذكر نه أول من ألف في الأدب الحديث وطبع ونشر . ومن مؤلفاته : (المعرض ، وأدب الحجاز) . . ومما أذكره أيضاً أنه أول من نشط في تزويد المكتبة العربية في البلاد السعودية . . بكل إنتاج قيم ينتجه الكتاب المحدثون في الشرق العربي تأليفاً أو ترجمة . . لينهل منها الأدباء وشداة الأدب ما يهبوهم للإنتاج الأدبي في أساليبه العصرية . . ثم تشجيعه لكل أديب استطاع أن يحمل القلم ويكتب به شيئاً يقال له أدب . . ثم بتأسيس شركة الطبع والنشر التي كانت تصدر صوت الحجاز ، ثم بافتتاحه قاعة المحاضرات بدار الإسعاف الخيري بمكة . . ثم بأخذه بأيد الأدباء وتوظيفهم في مختلف الوظائف لترقية أساليب التحرير في المعاملات الحكومية ، وإن ما ناله من ثقة ولاة الأمور مكنه من إنشاء كثير من المشاريع النافعة ، وقد عرف له ولاة الأمور ذوقه الفني ، وميله إلى الأدب ، فجعلوا إليه الإشراف على كل ما يمت إلى الأدب بصلة ، وكان من توجيهه أن أخذت الحركة الأدبية في النمو والازدهار حتى أصبح لدينا محصول أدبي لا بأس به . . وأخيراً كان له الإشراف على الإذاعة السعودية . وقد خطت هذه الإذاعة بإشرافه خطوات واسعة وهي في طريقها إلى خطوات أوسع بفضل الله ثم بمجهوده ، وبما امتاز به من ذوق فني رفيع . . كما خطت على يديه جريدة

البلاد السعودية خطواتها الملموسة .. الأمر الذي أرضى
ولاية أمورنا عن كل ذلك . فباركوا هذه الجهود .

وسوف يسطر تاريخ الأدب والفن في هذه البلاد عمل
العاملين على رفعتهم وازدهاره بما وسعه من اعتراف بالجميل ..
لقد أهدى الأستاذ الساسي كتابه لباني الحركة الأدبية ..
فلنر ما في هذه الهدية من ثمين ورخيص .. وناضح وفج
ولنحقد فيها طويلا لتبين قيمة هذه الهدية ..

لقد قدم الأستاذ الساسي كل شاعر بزفة مجلجلة ،
وجلالنا عرائسه بين الضجيج والجلبة ولكن هذه الزفة ،
لا تؤثر على أعصابنا ... فليس المقصود من العرس ..
إلا العروس المجلوة . أما الزفة فلا يستفيد منها غير الذين
لا يعينهم أمر المزفوفة في شيء .. وكل غرامهم ، أنهم
دعوا إلى حفلة حافلة بما لذ وطاب ، من الطعام والشراب ..
 واجتماع الأهل والأصحاب ، في أفخم الثياب .. أما نحن
فلا يعيننا إلا مبلغ ما في هذه العرائس المجلوة - القصائد
والمقطوعات - من جمال أو قبح ، لنضع كل عروس
في مكانها اللائق بها ، بحسب ما فيها من دقائق الفن الصحيح ،
واعطاءها حقها دون ما بخس أو إسراف ... ولا نريد أن
نجعل مقاييسنا في ذلك مقاييس مستوردة من الخارج ،
فحسبنا الموازين المحلية الآن .. لثلا يتهمنا الناس بالعنت
والإعنات .. والميزان الذي سأقدم به في وزن هذا المحصول

الشعري لحصه الأستاذ حمزة شحاته في قوله . . لما سألته عن رأيه في الشعر : « هو آخر ما وصل إليه البيان المترف » . ونحسه الأستاذ عبد الله عبد الجبار لما سألته نفس السؤال بقوله : « هو روح يناجي روحا ، ووجدان يخاطب وجدانا » .

فرايت كلا من القولين متمما للآخر . . فإن أراداه الأستاذ حمزة أسلوباً ، فالأسلوب القوي لا يتأتى إلا للروح القوي . وإن أراداه الأستاذ عبد الله روحا ، فإن الروح يتبدى في الأسلوب تبدي الماء في الغصن الغض الناضر . . نعم قد يكون الشاعر ، روحا فياضاً ولكن أدوات البيان لم تستكمل لديه . . ولكن مع ذلك فإن الروح تبدو جلية واضحة في شعره ، والأمثال على ذلك كثيرة . . وقد تكون الأدوات البيانية مستكملة عند شاعر ، ولكن انبثاقاته الروحية لا تتأتى له كلما عمد إلى مناجاتها واستنزائها فيستعيض عن ذلك بالصنعة المجودة واختيار الأماكن الملائمة للألفاظ والكلمات ، ومع ذلك فإن الناقد يدرك أن الشاعر أتقن صنعته فلا يبخره حقه لأنه لم يخرج عن عداد الشعراء ولم يشذ شعره عن موكب الشعر . . أما الذي لا يحسن إلا التفاعيل ، ورصف الألفاظ - كيفما اتفق - وليس لديه من المؤهلات ما يسلكه في نظام الشعر والشعراء . . إلا الوزن والقافية . . فسيوفى أيضاً حقه ليعرف موضعه فلا يتعداه . . ولن

يشفع له أنه نظم المعلقة الطوال أو أن له من الأوراق أكداً
تطاول الجبال . . ولن يخرج الشاعر من نمط الشعراء ندره
ما قال ، ولو كان بيتاً واحداً يدل على ما في نفسه من إصالة
وجمال .

ذلك هو الميزان الذي نسير على ضوئه في نقد هذه المجموعة
. . هو ميزان محلي كما ترون تسقط أمامه دعوى الإجحاف
بشعر شعرائنا حتى إذا اشتدت سواعدنا في مزاوله الشعر وقويت
دعائنا ، نستطيع أن نحملهم على الوزن بميزان أدق . .
لأننا نأمل أن يكون لبلادنا شعراء يخلقون في آفاق أرحب
من هذه الآفاق . ويشاركون الشعراء العالمين في أجوائهم
البعيدة . . تلك الأجواء . . التي تتراقص فيها المعاني
الإنسانية بمظاهرها الرائعة الأخاذة . . وأنا نرجيء ذلك
الميزان الدقيق . . لذلك اليوم المنتظر ، الذي نرى فيه شعراءنا
يساهمون بشعرهم في الحضارة الإنسانية العامة . . وما ذلك
على الله بعزير .

حمزة شحاته

مقدمة كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث بقلم الأستاذ حمزة شحاته . . ويسرني جداً أن يبرز هذا الأديب الذي اعتبره الأديب الأول من عزلته ، ويرفع عنه ستار الإنطواء على نفسه ويقذف (بلا أبايته) إلى حيث يقذف بها . . فإننا قد سئمناها ، وأنكرناها عليه . . فحيهلاً بك أبا عرب . . وستكون أول من يتعرض له قلبي بالنقد . وإن في طبعك حب التحدي إذا حملك عليه إنسان . . أي إنسان . وها أنا أحرك فيك الكامن في طبعك لعل أدبنا يجد في بروزك رجحاً ولو كان ذلك الريح على حسابي .

إن مقدمتك - يا أستاذ حمزة - مقدمة من لا يعييه الأدب في أروع صوره ، وأحسن لبسته ، ولا يجلس به العجز عن أسمی غاياته ولا يعتوره الكلال لتناول أعلى قممه ، والصعود إلى أبعد أمدائه. ولقد عرفتك زخار البديهة ، فضلاً عن التأيي والروية ، فياضاً بأحسن ما يفيض الشعر والنثر على قلم أديب . وإن لك من سعة الاطلاع وتنوع أنواع الثقافة ما يجعلك في مصاف أشهر الأدباء

وأكثرهم إنتاجاً لو كنت تعنى بأدبك وبنشر آثارك المطمورة
في أدراج المكاتب . . المبددة في أيدي الأصحاب . . وإن
في إنتاجك المطبوع والمخطوط - الذي تمكنت من الاطلاع
عليه - على ندرته لمحات العبقريّة ونفحات الخلود . .
ولكنك ضننت بفنك على بلدك ومواطنيك ، حتى لكأن
مجدها الأدبي لا يعينك . . وهذا ما نؤاخذك عليه لأنك
أثرت الراحة على النصب . . والعافية على جرائر الفكر . .
إنك يا أستاذ حمزة لست ملك نفسك حتى لا نؤاخذك ولكنك
ملك بلادك في كل ما جباك الله به من فكر وأدب ، وذكاء
وقدرة على الإنتاج ، إنك اجترأت على هذا الحق الذي في
عنقك ، لمواطنيك ، وهضمته ، فهل لك أن تعود إلى حياة
الفكر وتعيد الحق إلى نصابه ؟ فما عرفتك ظلاماً ، ولا
عهدتك هضاماً للحقوق .

نعم إنك كتبت كثيراً ونشرت كثيراً ، ولكن كان ذلك
حينما كان الأدب همساً والصوت خافتاً ونحن نريدك الآن
حينما ارتفع صوت الأدب ، وجلجل في الآفاق ، وتعدى
الحدود ، وصارت موجات الأثير خواده . . وأصبحت
بلادنا المقدسة في حاجة لأن تسمع العالم ما يسترعى نظره ،
ويستثير اهتمامه . . ويوجهه إلى القبلة الحقّة بعد أن انصرف
عنها ، إن بلادنا الحبيبة تريد أصواتاً جهيرة ، وأقلاماً
قوية ، وأدباً حياً . . وأنت من كل أولئك في المكان الذي

لا ينكر . . . والمترلة التي لا تجحد . . . فاملاً مكانك ولا تدعنا
نحس بخلوه منك . . .

* * *

لقد قلت في مقدمتك - بعد أن أوضحت أن الشعر
أسلوب : « إن من شعراء هذه المجموعة من لا يفخر الحجاز
بهم وبيته . بل كل بلد عربي . وهم السرحان ، وعواد ،
وقنديل ، وحسين عرب ، وأشباههم في معظم السمات
وفي بعضها دون جملتها » .

ولم يتبين لنا نموذجاً من أسلوب من ذكرتهم لنطبق القاعدة
التي بنيت عليها حكمك ، وكان الواجب يقتضيك ذلك .
أما لإرسال الكلام على عواهنه دون ما استشهاد أو تدليل ،
فذلك ما لا نقبله منك ، ومنك بالذات على الأخص .

ثم قلت : « ومنهم مستحق الرثاء ، ومنهم مستوجب
التعزير حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء
الذي ظنه شعراً ، فأفسد به جو هذه المجموعة الرقيق حتى
أوشك أن يتحول إلى جو مظاهرة من المظاهرات التي يغلب
عليه عنصر الرعاع والدهماء » .

ولم تبين لنا مستحق الرثاء بشعره ومستوجب التعزير على
شعره .

وبتعميتك هذه كان الأوجب أن تعمي على القاريء
كذلك أسماء من هم في رأيك يفخر الحجاز بهم وبتيه . .
ونترك القاريء يتبين كل أولئك من آثارهم . . أما أنك
تذكر أسماء أربعة ، فذلك ما لا يرضاه منك العاقلون
من القراء وبالأخص وأنت تقول : « وإني لأعرف - كما
يعرف أي عاقل من القراء - فما يعنيني غيرهم - أن الجيد
إعلان ذاته » . . فكيف ساغ لك - بعد هذا القول - أن
تذكر أسماء من ذكرت أسماءهم إلا أن يكون إعلانا
عنهم . . ونحن لا نحجر عليك الإعلان عن من تريد ولكنك لم
ترض لنفسك أن تكون « قارع جرس أو حامل طبله ،
أو سمساراً » . . وبذكرك من ذكرت لم تترك الحق الذي
أعطيته للقاريء في مقدمتك حين قلت : « وما على القاريء
الآن وهذا هو الحق لا غير - إلا أن يخوض المعركة وحده
فيسأل نفسه أو يسأل سواه وله الخيرة - ما هو نصيب كل
شاعر في هذه المجموعة من قصة الأسلوب والديباجة هذه
إشراقاً ، وقوة ، ومتانة تركيب ، وما هي قدرته ؟ » .

إن من ذكرتهم لبيتية الحجاز والبلاد العربية بأساليبهم
ليسوا من شعراء الأسلوب والديباجة في كل شعرهم . .
وليكونوا شعراء في أي شيء آخر إلا هذه إذا أردنا التعميم -
كما هو حكمك - فالعواد كما نعرفه لا يعني بالأسلوب . .
وهل ترى الشاعر الآخر الذي يقول :

واستنطقت وجنتيه الراح ناعسة
في مقلتيه وفي الألحاظ تأتلق
واستحلفت ناظريه الكأس سائلة
أين التي لحياتي روحها الطلق

ويقول :

وي كأن الدنيا الفضاء حوا
لي على رحبها سراديب أفعى
وفوادي تتناشه في فم الغيرة
حياتها الشديدة فرعا
والأصيل الطروب يمرح في البحر
بأضوائه في الموج تسمى
لقلت حالة المحل تقلى
في لظى الغيرة القديرة صنعا

أقول هل ترى قائل هذه الأبيات وغيرها من الأبيات التي لا تعرف لها أسلوبا ولا تعرف لها في العربية الفصحى مكانا ، وبغض النظر عن الشعر وما ينبغي له أن يكون ، هل تراه يا أستاذنا الكبير من الشعراء الذين تفخر بهم البلاد العربية وتتيه ؟ . أو هل ترى أنه يسلك بهذا الأسلوب في سلك شعراء الأسلوب والديباجة ؟؟ نترك لك علامات

الاستفهام واقفة حتى تجيب عليها .

أما حسين عرب وحسين سرحان - في هذه المجموعة -
فإنهما يتأرجحان بين الأسلوب الضحل والأسلوب المشرق
الناصع . . وربما كانا الشاعرين اللذين مهما كان أسلوبهما
متأرجحا فإننا لا نستطيع إلا أن نعترف لهما بالإصالة
في الشعر والشاعرية الثرة بانفعالاتهما وسأدلك على كل ما
أقول عندما أصل إليهما . . وأكتفي الآن بأن أقول لك
يا أستاذ حمزة . . كيف فاتك ذلك وأنت الحصيف
اللماح ؟؟ (١) .

(١) بعد كتابة ما كتبت عن المقدمة اطلمت على إعلان في أحد أعداد جريدة
البلاد السعودية بإمضاء الأستاذ حمزة شحاته ، ومفاد الإعلان أن المقدمة
ليست بقلمه فدار بخلدي أن الموضوع لا يعتمدى أن يكون مؤامرة معقودة
بين السامي والشحاته باتباع هذه الخطة لترويج الكتاب وهي طريقة مبتكرة في
الإعلان عندنا ، لكنها طريقة معروفة في خارج بلادنا وهي طريقة الإعلانات
بالأسلوب الأمريكي ، فإن لم يكن هذا الذي دار بخلدي صحيحا ، فإني
كتبت ما كتبت وأنا معتقد أن المقدمة بقلم الأستاذ حمزة ، فوجهت هذا إليه
وعلى كل فإن كان يعتبر كلامي الذي جاء في المقدمة موجها إليه ، فليعتبره
كذلك ، وليكتف صانع المقدمة بمناقشة ماجاء فيها من أفكار وآراء كائنا
من كان . فإن نسبة المقدمة للأستاذ حمزه أولغيره لا يغير من الحقائق الفنية شيئا .

محمد سرور صبان الشاعر

لقد سبق أن بينا في صدر كتابنا هذا أن هذا الرجل الكبير
باني الحركة الأدبية، وهو أول من حمل شعلة الأدب الحديث
في هذا البلد المقدس . . وهو قبل أن يكون رجلاً كبيراً
كان وما زال أديباً كبيراً وشاعراً صادق الشعور . . وما
كان ليحمل شعلة الأدب لو لم يكن كذلك فهو على ما أنفق
من مال وجهد على الأدب والأدباء . . فقد أمد الأدب بآثار
من شعره ونثره وما هو من الذين يرون أن الأدب ملهامة
يتلهم بها الناس في ساعات فراغهم . . ولكنه من الذين
يرون أن الأدب روح الأمة . . لما له من الأثر العميق في
نهوضها وتقدمها ، فبذل له من ذات نفسه الشيء الكثير ،
ولم يبخل عليه بمجهود من طاقته في كل مجال .

* * *

وإن للأستاذ محمد سرور الشاعر ، في كتاب (شعراء
الحجاز في العصر الحديث) . . أثراً أديبياً . . والنقد الفني
إذ ينظر إلى هذا الأثر فإنما ينظر إليه بعين النقد ، والنقد
فقط ، لأن الميزان فيه ميزان الذوق والفن . . فهو للفكرة

وصياغتها ، وللروح وأشواقها ، وللقلب وانفعالاته وللذهن
وانبثاقاته ثم لا يعنيه بعد ذلك شيء . . . ولقد أخذت على نفسي
أن انقد ما يصادفني من آثار أدبائنا وشعرائنا ، فإذا صادفني
أثر لصاحب الأيادي البيض على النهضة الأدبية ، فقد أجد
شيئاً من الحرج يقف بقلمني عن الانطلاق . . . ولكن تبينت
أن ذلك وهم لا ظل له من الحقيقة ، فأحب أن يزول هذا
الوهم من كل ذهن قد يعلق به ما علق بذهني منه ، ذلك
أن محمد سرور يحب أن يرى نتيجة جهوده التي بذلها للأدب ،
لأن غايته أن يكون لبلادنا أدب يساير الحركات الأدبية عند
غيرنا ممن سبقونا وبرزوا علينا . . . ومن يعرف الشيخ محمد
كأديب وكشاعر يعرف أن مثل هذا الحرج المتوهم لا مكان
له لأن لمحمد سرور نفساً صافية سمحة ، وآفاقاً عالية رحبة ،
وقلباً كالبحر لا يضيق بشيء . . . فلينطلق القلم على سجيته . .
وليصدق في نقده وليؤدي ما عليه من واجبات حيال الفن
الأدبي في بصر نافذ وإخلاص لا تشوبه شائبة . . فلنسر أنا
وأنت يا قارئ العزيز إلى أمدائه لنعرف أين مكانه ؟ ولا
أحسبه إلا مجلياً . فلتر مبلغ الصحة من هذا الحسبان . .
ولك أن تردني إلى المحجة إذا رأيتني أنثى عنها ، وأول ما
يطالعنا من شعر الشيخ محمد سرور قصيدة (يا ليل ص ١٣)
من كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث وقد قال :

يا ليل صمتك راحة للموجعين أسا وكربا

خفت من آلامهم ووسعتهم رفقا وحبا
أو ماترى حدث الزما ن أمضهم عسفاً وغلبا

مناجاة هادئة ذات وقع موسيقي لذيذ يتمثل في قافيتها ..
وانسياب وسلاسة يدلان على الصفاء والانطلاق اللذين لا
يتعثران في شيء ويستمر على ذلك فيقول :

يا ليل إن بسم الخ — لي وسادر هوا ولعبا
فبجنبه يبكي الش — جى وربما لم يأت ذنبا
هذا ينعم باله — وأخوه يصلى النار غضبا

وهنا يجب أن نقف وقفة قصيرة قبل أن نتم القصيدة .
إن مطلع القصيدة يرينا أن الشاعر كان قلق النفس ضيق
الصدر بحلابة الحياة وضوضاء النهار فلما جاء الليل وسكن الناس
إلى مضاجعهم وصمت الكون ، وجد الشاعر راحته في
سكون الليل وهدوئه فاتخذ منه سميرا ونجيا ، وكأنه أراد
من الليل أن ينصت له بدليل أنه لم يستنطقه في ما مر بنا من
أبيات ، بل قال له إن صمتك راحة المومنين ، ثم سمح
ليل بأن يروي أخباره لغيره فماذا قال له ؟ قال :

يا ليل فارو محدثا أخبارنا غبا فغبنا
فلنا بذلك حاجة إن تقضها فرجت كربا
وابدا حديثك بالأولى عالوا من الآلام وصبا
فحسى بهم نأسوا وعل لنا بذلك منه طبا

ويستقيم المعنى لو أن الشاعر قال لليل أرو لي أخبار أمثالي لعل
 أتأسى بهم وأجد في أحاديث ما نالهم من كرب وآلام
 طبا لدائي الذي يشابه أدواءهم ، لأنه يريد التأسي و فعسى
 بهم تأسو ، ثم يقول :

باليل ما للبدر يمـ	رح في السما شرقا وغربا
يبدو فيضحك ساخرا	منا وطورا قد نخبا ...
يعلو على متن السحا	ب يسوقها سربا فسربا
أتراه يعبث كالوليد	يد فليس يخشى بعد عتبا

إن إحساس الشاعر بلغ حدا من الإرهاف يجعله لا
 يحتمل حركة القمر الهادئة . . وشعور الشاعر بحركة القمر
 شعور دقيق جداً ، فهو في خلوته بالليل يضيق بكل من
 يعكر صفو تلك الحلوة . لقد بلغ الشاعر القمة في دقة الشعور
 وإرهاف الحس ، ولقد صور له ذلك الإرهاف البالغ في الحس
 والشعور أن القمر كالطفل العايب في جلبة وصخب
 واستهتار لا يبالي ما يصنع ولا يخشى العتب على ما يصنع .
 إن الناس لا يحسون بسير القمر ، لأنه — كما يبدو لهم — يسير
 وتبدأ لا يحدث جلبة ولا ضوضاء ، فإذا رأى الشاعر في حر كته
 جلبة وضوضاء كضوضاء الطفل فإنه يرينا أبلغ ما تبلغه
 النفوس المرهفة من الشعور الحساس المرهف ، وهي درجة
 من الإرهاف لم يصل إليها أحد من شعرائنا غير الشيخ محمد

سرور ، وبعد أن يبين لنا الشاعر ضيقه وبرمه بحركة القمر
يعود لليل فيقول له :

يا ليل! حزنك دائم أدعوك للسوى فتأني
يا ليل! هل لك موطن مثلي قضى قتلا ونهبا؟
يا ليل! مالك مطرقا؟ أبدا فقد أمضيت حقا

لم ينطلق الليل بل كان يستمع للشاعر في صمت وإطراق .
حتى ضاق الشاعر بذلك ، فقال له : مالك مطرقا هذا الإطراق
الطويل . . ويستمر في توجيه الأسئلة إليه :

يا ليل! هل ذقت الغرام م واوعه أو كنت صبيا؟

هل أنت عاشق شفق الغرام وشفتك اللوعة فألهتك عن
حديثي وشكاتي ؟ ولكن الليل استمر في صمته . ولم تحمله
دعابة الشاعر على الكلام . فقال له :

سرتي وسرك غامض فدع الخلائق منك غضبي

لقد غضب الشاعر من صمت الليل ، كما غضب الناس
من صمت الشاعر ، وعدم إباحته بما في قلبه ، فلتكن
الخلائق منك يا ليلي غضبي كما هي غضبي مني .
ولكن الشاعر يعاود مناجاة الليل فيقول له :

يا ليل! ما شأن الغزاة سيرها تيهها وعجبا؟!

وهنا نريد أن نقف وقفة صغيرة لنقول للشاعر : ما شأن الغزاة هنا الآن ؟ .

ولكن لا يفوتنا أنها أحاسيس مختلفة تضطرب في نفس الشاعر ، فلا يملك لها رداً أو ينساق إلى التعبير عنها ، ولعل منظر النجوم المنتشرة في السماء له ارتباط وثيق في ذهن الشاعر بالشمس . . . ولذلك تحدث عن الشمس ، لأنه رأى في النجوم بنات الشمس وقد طردتهن فضمنهن الليل إليه وآواهن عنده ، والقصيدة على ما يبدو فيها من عدم الترابط بين المعاني والأفكار والأحاسيس ، إلا أنها قصيدة سلسلة رقيقة ، وهي في سلاستها ورقتها حارة فوارة تدل على شاعرية أصيلة ، لا غبار عليها ، وإذا وضعنا في اعتبارنا سن الشاعر حينما قال القصيدة . عرفنا أية عبقرية كامنة في هذه النفس ! .

وتبدو لنا أطوار شاعرية الشيخ محمد في شعره واضحة ، فهي تنتقل من حسن إلى أحسن كلما تقدمت به السن ، مع حرارة العاطفة وصدقها في كل شعر قاله بعد هذه القصيدة .

من ذلك حينما مات صديق الشاعر ، عمر أفندي شاكر لما هوت به الطيارة في ميدان القتال ، عاب الناس على عمر شاكر ركوبه الطيارة وقالوا : إنه دخل في عمل لا يحسنه ، فهو رجل قلم ، وما هو من رجال الحرب وأبطال الميدان ، ولا إخال الشيخ محمد إلا أنه ابتسم كما هي عادته لقولهم

والشيخ محمد يتسم في أخرج المواقف ، ولكل ابتسامة
تشرق على شفثيه معنى . ومعنى ابتسامته هنا مفسرة في
الآبيات التي قالها رثاء لصديقه :

لا يلام الفتي إذا ما تسامى
ثم أمسى على الصعيد ركاما
هكذا الروح للسّموات تعلو
« مثلما الأرض تجذب الأجساما »

* * *

ليس بدعا على الشجاع إذا أة
دم يبغى له السماك مقاما
وامتطى أصعب المراكب حتى
جرعته الأقدار موتا زواما
كفراش يحوم حول هـيب
أجل ساقه إليه فحاما ..

* * *

أيها الراحل العزيز سلام
من بلاد تقدس الأعلاما

من عيون قد أطلقت صيب الدم
مع وفاء ، وأرسلته سجاما
من قلوب تفيض حبا وعطفا
خيم الحزن عندها وأقاما
زعم البعض أن فعلك هذا
غير مجد ، ورجحوا الإحجاما..

ثم قالوا : علامَ يدخل فيما
ليس يعنيه إنه يتعمى
يا لرب اليراع ؟ قد أخذ السية
ف وخاض الوغى مثيراً قتاما

* * *

إنه حلف دفر ودواة
إنه كاتب يجيد الكلاما
لا يطبق الوقوف في ساحة الحر
ب ونيرانها تزيد ضراما
ويحه ! أنه غوى تردي
فسقاه الحمام جاما فجاما

* * *

أيها اللاتم الفرور ! رويدا
فمهور العلا تكون عظاما
قد يكون الأديب قائد جيش
فترى فيه باسلا مقداما
ويكون الجندي خدن يراع
فيحي قصورنا والحياما

تلك هي النفس الشاعرة تذوب في هذه القصيدة رثاء
صادقا نابعا من الوفاء الذي يحمله الشاعر لصديقه . . وهو
يرد على عائبي صديقه رداً عنيفاً ، وهو في عنفه منطوق
معقول في صدق وحرارة . يقول لهم : إن النفس العظيمة
لا يقف بها العظم عند حد ، فقد يكون الأديب قائد حرب ،
وكما يحسن الصول بالقلم يحسن الصول بالسيف إذا ما دعاه
داعي الذب عن الحوزة والذيادة عن الحياض . . وهو إذ
يقول هذا ما أتى ببدع من القول . وإنما هو يبنه الأذهان
الغافلة والنفوس الجاهلة إلى هذه الحقيقة . « قد يكون الأديب
قائد جيش » فأبو فراس الحمداني والمنتبي وعنترة وأمرؤ
القيس ، وكثيرون غير هؤلاء من الشعراء والأدباء قادوا
الجيوش ، وخاضوا المعارك . أفيكون بدعا على هذا الأديب
أن ركب الطائرة ؟ أما الموت فهو نهاية كل حي ، وأشرف
الموت ما كان في ميدان الجهاد ، ولكن هذه الحقائق لا

يعرفها كل الناس ، وإن من طلب العلى لا يستعظم المهر .

أيها اللائم الغرور ! رويداً

فمهور العلى تكون عظاماً

إن هذه القصيدة ليست أحاسيس مختلفة ، وإنما هو إحساس واحد ينتظم معانيها من أولها إلى آخرها ، وهي على ما فيها من إحساس حزين غامر ، منظمة المعاني ، مشرقة الأسلوب ، سهلة التعبير ، وتلك سيماء الشاعر الأصيل المالك لأمر نفسه ، المستكمل لأدوات الشعر ، حتى لا ينقصه منها شيء .

وللشاعر قصيدة بعنوان (عاطفة نفس ص ١٦) ، ونحن إذا قرأنا هذه القصيدة لا نجد أنفسنا أمام أوزان وقوافي ، ولكننا نجد أنفسنا أمام مرآة تكشف لنا بانطباعاتها الطبع الشعري ، والصدر العامر بالأمنيات المثالية التي يتمناها ، لا لنفسه ، ولكن لشيء آخر ستكشف لنا عنه القصيدة ، فلنقرأها :

جل الأسى وتتابعت زفراتي

ودنا المشيب فقلت حان مماتي

فكرت أتمس الخلاص بجيلة ،

أين المفر من القضاء الآتي ؟ !!

يا أيها القدر ! المواتي إنني
بادي الضنى ، هلا ترى نظراتي ؟
امن علي بساعة أقضي بها
حق البلاد ، وخذ ربيع حياتي
إن كان في الأجل المقدر فسحة
أولا ، فإنك نافذ الرميات
مالي إليك وسيلة أرجو بها
نيل المرام فجدت بالعبرات

يا الله . رفقا بهذه النفس التي أعبتها الوسائل وضافت
بها الحيل لتحقيق أمانيتها ، فجادت بالعبرات الحرى ،
رفقا ياربني بنفس تسيل دمعاً . . من الألم ، ثم ترجع هذه
النفس فتطرد اليأس والقنوط عنها

ويحي ! أيعترض القنوط عزيمتي
والجزم من طبعي ومن عاداتي
والدهر طوعي ، والزمان مصادقي
والصبر درعي ، والثبات قناتي

إن كان الصبر والثبات من صفات الشاعر وهي من
صفاته حقاً ، فإن الدهر ليس طوعاً في يده ، والزمان ليس

صديقا له ، وإلا فما معنى البكاء السابق ؟؟ إلا إذا كان
متنبئا لنفسه - في ذلك الوقت - بأن الدهر سيكون في يوم
ما طوعه والزمان صديقه .

ولقد أكر على الخطوب فتشنى

جزعا أمام مهندي وشبانى

ومن هذا البيت يظهر لنا أن الزمان ليس صديقا له ،
لأن الصديق لا يرمي صديقه بالخطوب .

وتمر بي شتى الحوادث خشعا

ويصيبها خور حبال ثباتى

لكنني فرد ولست بأمة

من لي بمن يصغى لصوت شكاتى ؟

من لي بشعب نابغ مستيقظ

يسعى لهدم ردائل العادات ؟

من لي بشعب عالم متنور

ثبت الجنان وصادق العزمات ؟

من لي بشعب باسل متحمس

حتى تقوم بأعظم النهضات ؟

من لي بشعب لا بكل ، ولا يني

يسعى إلى العليا بكل ثبات ؟

نعم من له بكل ذلك ، حتى يصل إلى تحقيق مثله وأمانيه؟
إن شعبنا نابغ ولكن نبوغه مدفون في غفلته ونومه ، وشعبنا
جاهل غير عالم وإن ثبوت الجنان وصدق العزيمة لا ينفعان
إذا لم يدهما علم ونور لمعرفة القيم والتضحية في سبيلها .
والبسالة والتحمس لا تستثار إلا إذا عين الهدف . والأهداف
العالية لا ترى بالعين التي رانت عليها غشاوة الجهل ولذلك
فهو يقول :

إن البلاد بأهلها فجهلهم

تشقى ، وتلقى أعظم النكبات

وإذا توحدت الجهود لخيرها

سعدت ، ونالت أعظم الدرجات

إن بكاء الشاعر في مطلع القصيدة ما كان بكاء على نفسه ،
وأمانيه لم تكن إلا أماني قلب يشعر وينفطر ألماً لحالة موطنه
وأمة وبلادته، والإحساس بالألم يشتد عنفاً كلما كانت
ذهنية الشاعر ذهنية واعية تشعر بنفسها لا على أنها نفس
تسعد كما تسعد نفوس الأطفال بالألعاب والحلوى ، ولكنها
تشعر بنفسها كجزء من الوطن الذي تنتسب إليه ومن المجتمع
الذي يحتويها ، فسعادتها لا تكون سعادة تامة إلا إذا سعد

من حولها وما حولها . ومن هذا النوع نفس الشيخ محمد سرور
.. وها هو يقول : من قصيدة أخرى في (ص ١٧) تحت
عنوان وطن

أنا لا أزال شقي جبك هائما في كل وادي
زعم العواذل أنني أسلو وأجنح للرقاد

وصحيح أن الشاعر وسم بهذا وقد قيل عنه : إنه سلا
مثله وجنح إلى النوم عنها ، ولكن الشاعر يقول :
كذبوا ، وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فوادي

إنه يرى وطنه بمنزلة فواده ، وهو الذي يشيع فيه الحياة
بنبضه ومن يرى وطنه كفواده لا ينام عنه أو يغفله من
حسابه .

ولسوف أصبر للمصائب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعا بالعز ما بين البلاد

إن التزعة التي يتزع إليها الشيخ محمد في شعره ليست
تدور حول الشاعر ، وتقف به عند هذا الحد ، ولكنها نزعة
وطنية فهو في بكائه ومناجاته للقمر وفي رثائه لصديقه .
ذو نفس متلهفة الإحساس والإحساس بأي شيء ؟ بوطنه
وبأتمته ، وإننا لنراه الوحيد بين شعرائنا ذابت نفسه في وطنه
أو ذاب وطنه في نفسه حتى صار كل منهما ممتزجا بالآخر

امتزاجا لا يمكن افتراقهما بحال من الأحوال .

إن هذه العاطفة الصادقة ، والانفعالات النفسية العنيفة التي تبدو في شعر الشيخ محمد ، تدلنا على أن للشيخ محمد شخصيتين متباينتين . فهو في أعماله الأخرى يبدو رجلا هادئا وديعا بعيدا عن كل انفعال ، وإن من يعرف الشيخ محمد في شعره ولا يعرفه في عمله فهو يجهل الشيخ محمد جهلا تاما ، ومن عرفه في عمله ولم يعرفه في شعره فقد جهله أيضا ، ولم يعرفه معرفة صحيحة ، وإن دلنا ذلك على شيء فإنما يدلنا على أن الشيخ محمد قد ملك أمر نفسه ، وذلك لا يتأتى إلا لذي عقل راسخ وذهنية واعية يستطيعان أن يتغلبا على العواطف والانفعالات ويخفيها إخفاء تاما في المواقف التي يحمد فيها الإخفاء ، ويدعاها تنطلق كما تشاء أو كما يشاء لها الانطلاق في المجالات التي يجمل فيها إخفاء العقل الواعي إلا بالقدر المطلوب . . وبذلك استطاع أن يظفر بالحسينين كليهما دون أن تفلت منه واحدة ، وإن كان لي أن أقول شيئا بعد الذي قلته ، فهو أننا كنا نرجو أن نظفر بأكثر من هذا المحصول الشعري من هذه الشاعرية الفذة . . ومن يدري فلعل في الإخفاء شعراً كثيراً لم نطلع عليه ؟ ولعل المستقبل القريب يكشف لنا عنه !!! .

محمد حسن عواد

الأستاذ محمد حسن عواد شاعر من الرعيل الأول السابقين لقول الشعر ، ولقد نفث بأفكاره في شعر بلادنا روح الشباب والقوة ، بعد أن كان الشعر عندنا ملهة يتلهى به الناس كما يتلهون بالألعاب لتزجية الفراغ ، وتقضية الوقت ، وإن كانت له في ذلك الوقت المكانة الأولى بين الشعراء ، فلأن الناس كانوا حديثي عهد بالحديد ودعاة التجديد . . ولا ننكر أنه دفع بأفكاره الجريئة زمرة من الشباب إلى سلوك الميدان الشعري الخليق بالنهضة الأدبية .

لقد تمرد الأستاذ العواد على الأساليب القديمة في الشعر والنثر ، وكان لتمرده هذا رجة في الأذهان ، مما جعل شهرته تستطير إلى حد كبير في بلادنا ، والروح الثائر المتمرد في العواد على كل قديم ما زال عامرا بثورته وتمرده ، ولكننا يجب أن نتساءل . هل كان ذلك التمرد ، وتلك الثورة مصبوين في القوالب الشعرية الرفيعة ؟ وأستطيع أن أجيب على ذلك بما أراه وأعتقده ، ولا عليّ بعد إبداء الرأي أن ينتقم على أحباؤه - وأنا منهم أو يسر مني أعداؤه - وأنا لست منهم . وقبل أن أبدي رأيي أحب

أن أكشف عن الدواعي التي تحملني على حبه . لقد كان الأستاذ العواد صديقي ، حينما كنت بمكة وما زلت روابط الصداقة بيننا - لم تنفصم عراها على البعد - والصداقة من أهم بواعث الحب والاحترام ، هذه مسألة ، ومسألة أخرى أنه - كان وما زال - يشجع شداة الأدب وعشاقه من الناشئين ، وهي خصلة محمودة تحبب فيه النفوس ، ولقد اختصني بتشجيعه حينما كنت محتاجا للتشجيع ، وحينما قبض عني غيره نفسه وقلمه ، وأول ما شجعني به هو تقدمته الحميلة لباكورة مؤلفاتي (رجالات الحجاز) وهذا سبب آخر من أسباب حبي له . قلت هذا قبل إبداء رأيي في أدبه ، لثلا يتهمني أحد بعدائه أو التنكر لحميله الذي أسداه إلي ، ومن دواعي حبي إعجابي بتمرده على الأساليب البالية ، في وقت كان التمرد عليها يعتبر جريرة وذنبا . .

إن أسلوب الأستاذ عواد في نثره أسلوب عربي جميل ، ولا أغالي إذا عددته من الأساليب الرفيعة ، وهو كذلك في كل ما يكتب ، وإن كنت أخالفه كثيرا في بعض أفكاره ، فإن ذلك لا يجعل أسلوبه في نظري مشوبا بما ينقصه أو ينزله عن المكانة الرفيعة .

أما في شعره : فإن أسلوبه يتأرجح ، فتارة تقرأ له أسلوبا شعريا يهز النفس ويستولى على المشاعر ، وأحسن ما يتمثل ذلك الأسلوب الطلي الرائع في قصيدته المعنونة بعنوان

(جندي الديمقراطية) والتي مطلعها :

من بليغ القول ملهمه عزمة المنطق لا فمه

فهذه القصيدة من القصائد الفريدة أسلوباً ، وفكرة ،
خفيفة على النفس بجرسها العذب ، وموسيقاها اللطيفة ،
وقافيتها الرقيقة الجميلة ، وقد نشرت جزءاً منها في مجلة
الرسالة كنموذج لأدبنا الحجازي الرفيع بين النماذج التي بحثت
نشرها لبعض شعرائنا ، وتقرأ له بعض القصائد فلا تجد فيها
تلك النغمة الساحرة .

ومن هذه القصائد ما هو منشور في هذا الكتاب . . ولا
أدري ، أهي من اختيار الساسي ؟ أم من اختيار الشاعر
نفسه ؟ فان كانت من اختيار الشاعر فما أنصف نفسه ، ويعد
اختياره هذا ظلماً لشاعريته ، وإجحافاً بها . . وهو الذي
ترك بهذا الاختيار مجالاً لقلم الناقد ، وإن كانت من اختيار
الساسبي ، فقد دلل لنا الساسبي بهذا الاختيار على أن ذوقه
الأدبي ، أو ذوقه الشعري ليس في المكان الذي يبيح له أن
يختار شعراً يعرضه على الناس .

إن قصيدة « أنا والليل » لا تلمس فيها أثر القلب الشاعر ،
وليس فيها أي أثر من آثار الانفعالات النفسية التي اتخذت
من الشعر متنفساً لها .

وكل الذي نلمسه ذهن مكتظ بكتب وأسماء للفلاسفة

والشعراء وأرباب النحل والمذاهب . وليت ذلك كان في
صياغه حسنة ، أو أسلوب قوي بارع . . اقرأ معي :

يا ليل إني قائل فاسمع

هذا زرادشت ، وماني . معي

فهل تعي ، ماقلت ، أولا تعي ؟

قد شوها حسنك لي يا ظلام

فهل ترى ياليل أني لا أنام ؟

أو لا ترى ، لاريب أنت الغرير

ألا ترى - يا قارثي العزيز - أن هذه الاستفهامات كلها
لا حاجة إليها ، لأن المعنى من الواضح بحيث لا يحتاج
إلى مثل كل هذه الاستفسارات ، وما هو المعنى أليس هو
أن زرادشت وماني مع الأستاذ عواد ؟ وأنهما - يعني
زرادشت وماني - قد شوها حسن الظلام . ألا تعرف
أيها القاريء أن ماني وزرادشت لا يريان في الظلام حسنا ،
فليسما هما في حاجة لتشويبه ؟ ثم ألا ترى أن الشطر الأخير
بمعناه وقافيته يشعرك بهوة هبط فيها نفس الشاعر فجاءت
(كالمطب) ؟ . أترك ذلك لك يا قارثي العزيز . . فأصدر
حكمتك وأنت على بينة من أمرك ، ولا أفرض عليك حكمتي . .
فلعلنا نتفق ، أو نحن متفقان سلفا ، ولنمش في القصيدة الآن :

يا ليل ! هذا ما روى الأقدمون

ولا ندري ما الذي رواه الأقدمون ، لأن الأستاذ عواد لم يبين لنا روايتهم اعتماداً على فطنة القاريء الفطن ، أما القاريء البليد - مثلي - فليس هو في حساب الشاعر ، وإذا أردت أن أنفي عن نفسي البلادة فأقول ربما قصد العواد برواية الأقدمين قوله (قد شوها حسنك لي يا ظلام) ولكن لا . لا أظن إلا أنني ما زلت بليداً . لأن العواد يقول بعد الشرطة الأولى من المقطع الثاني :

عن شرك الهائل ، والمحدثون

فهل تعي يا ليل ! ما ينطقون ؟

لا . لا تعي أنت ، ولم تدر ما

يخطر ، ما في أذهانهم ملهما

أنت لعمري كائن لا يحير !

لم يبين العواد ما رواه الأقدمون والمحدثون ، لأن الليل كائن لا يحير وهو يوبخ الليل . . ونحمد الله على أن توبيخه انصب على الليل ، والليل لا يبالي بتوبيخ الشعراء ، لأنه كائن لا يحير ، وبقي على القراء أن يسألوا قائلين : نرجو من الأستاذ أن يتكرم علينا ببيضاء شاف على السؤال الكافي .
ماذا روى الأقدمون والمحدثون ؟؟ .

ذ قيعاني فيك . وذا مكتبي

قاعة الأستاذ عواد ومكتبه — في الليل . لقد اتخذ الشاعر
من الليل ظرف مكان . عظيم ! ثم . ثم .
وخير ما سطر ذو مذهب

هيه ثم .. ثم

من كاتب أو شاعر مطرب

هيه وحده .. وحده ثم ثم

أو فيلسوف محدث ، أو قديم

من ملئ في الفكر ، أو مستقيم

أو ناصح أمته ، أو نذير

إنه عرض كامل لما في مكتبة الأستاذ عواد التي — مكانها
في الليل مضافا إليها القاعة — ما علينا من هذا ، فلقد علمنا
ما أستاذ عواد ما في مكتبك من كتب بخ بخ . ما شاء الله .
ما شاء الله إنها مكتبة عامرة بأهمات كتب الأدب والفلسفة
والشعراء ، والنصحاء ، ومستقیمی الأفكار والمتلوين في
تفكيرهم ، فإذا رآك الأستاذ عواد تعجب ، وتبخبخ
لمكتبته القيمة ، وما احتشد فيها من فلاسفة وكتاب و . الخ
قال لك :

لكنهم عني في معزل
فأوح لي يا ليل ! أو غن لي
أو نح عن قلبي نار السعير

وكيف يستقيم للأستاذ عواد هذا المنطق ؟ إنه يقول : إن
الليل لا يعي ما رواه الأقدمون ، لأنه كائن لا يحير فمن
أين لهذا الكائن الذي لا يحير أن يوحى له ، أو ينحى عن
قلبه نار السعير ؟

إنه يطلب من الليل أن يغني ، وهذا هو الشطط في
المطالب ، أو قل : هي اللخبطة من الطالب .

إن هذا يا أستاذ ليس من الشعر في شيء ، ولا يمت إليه
في شيء ، أستغفر الله ! إنه يمت إليه بالوزن والقافية ، ثم
تأتيك أيها القاريء . . في بقية القصيدة ألفاظ الغموض ،
والفيوض ، والمركز ، والمنخفض ، والمستوفر ، ومستين ،
واطلحتم . . وتطالعك أبيات يستعيد منها الشعر بالله العلي
العظيم ، كقوله في مخاطبة الليل :

وأنا الذي صورت حولك هذه الصور الكبار . .

ولم يذكر لنا منها ولاصورة ، كبيرة . . ولاصغيرة .
وخلقت أفكار التشاؤم فيك تلتذع الفؤاد

ولا نريد أن نقول للأستاذ عواد : إن الليل - الكائن
الذي لا يحير - ليس له فؤاد . . ولم يكن له ذهن يحمل
أفكارا ، سواء كانت تلك الأفكار تشاؤم أم تفاؤل ؟ لأنه
أدرى بهذا منا ثم يقول :

وتطيل ليلك بالسهاد ، فلا (قرار) ولا (رقاد)

وهنا يجب أن نقول للأستاذ عواد (حيلك) لقد توهمت
يا أستاذ فالرقاد والسهاد أو (القرار) كما يقول . من شوئونا
نحن ، أما الليل ، فلا يدري عنها شيئا ، وسؤال بسيط أوجهه
للأستاذ ، كيف يكون ليل الليل ؟ .

والليل في عينيك أهول ما تصور شاعر
والنجم في حلك الدجنة بالأشعة عائر . . .

إن هذا ، وهذا ، وهاتيك ، وتلكم من المعاني غير
مستقيم . . والأبيات ، والشطرات ، والمختارات من
شعرك . . في هذا الكتاب يذهب بجمال الحياة لا بجمال
الشعر فقط . إنك تخاطب الليل ، ثم تقول له : « والليل
في عينيك . . » وتقول له : « وتطيل ليلك » . . أنا لا
أستطيع أن أتصور ليل الليل ، ولا أستطيع أن أتصور ليل
يتخذ ظرف مكان توضع فيه القاعة والمكتبة . . ولا أستطيع
أن أتصور . . أن هذا الليل الذي هو ظرف مكان له فؤاد
وله عينان . . ثم إذا تصورت كل هذا - في ليل العواد !

فلا نستطيع أن أتصور بعد ذلك أنه كائن لا يحير .

وتصديده (في مطلع العام الجديد) من هذا النمط أيضا وهو نخط لا يرضي الشعر في أسلوبه الرفيع ولا في أسلوبه البتة ، وإن كان هذا الشعر يصيب الناس بالدهشة قبل عشرين سنة ، فهو ما زال يصيبهم بالدهشة حتى الآن . مع الفارق بين الدهشتين . . .

• • •

إننا نلمح شيئا من الانسياب والرقرة في نفس العواد إذا قرأنا قصيدته (ذكرى) على أنها غير سليمة من المآخذ في بعض أبياتها كقوله :

وذكاء خلعت فضى ثوبها وماست بالذهب

فلفظة المذهب في آخر البيت هي التي أتت بكلمة (فضى) في وسط البيت للمقابلة . وقوله :

حيث لا أملك (من) تملك (من) نفسي ونفسك مهرب

ولعل (من) الأولى (ما) فهو يريد أن يقول لا يملك ما يملكه حبيبه من نفسه ، والمعنى أنه لو ملك من نفسه ما ملكه حبيبه منها بجانب امتلاك الحبيب لأمر نفسه لاستطاع أن يهرب من حبه ، ولكنه لا يملك ذلك ، فما استقام له التركيب إلا كما قال ، وذلك دليل عدم عناية الأستاذ عواد

بالأسلوب الشعري الذي تفتح له النفوس .

وعلى كل فإننا لا نريد أن نوجه الأستاذ الكبير للشعر
الصحيح ولكننا ندعه يوجه نفسه بنفسه . . فهو يقول :

لا ينير العيش إلا شاعر حي وشعر ساطع

فهو يرى فيما نقدناه من شعره شعرا ساطعا ؟ . . نحن
يا أستاذ عواد معك في نظرتنا للشعر . . فإن لم يكن ساطعا —
كما تقول — رددناه ، ولا نتقبل منه إلا ما كان ساطعا وهاجا
لينير لنا طرائق العيش . . وأخيرا عفا الله عن الساسي فقد
قدم لك شعرا لا سطوع فيه . . فمعدرة إذا لم نصفق لك ،
فإن الرائد لا يخدع أهله . .

أحمد الغزاوي

لقد اكتظت معدة الأستاذ الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي من موائد الإطراء التي تقدم له كلما نفحتنا شاعريته (بغزاوية عصماء) ولا بد أنه غثيان النفس من دسامة الثناء المتواصل على شاعريته الثرة الغزيرة التي لا ينضب لها معين .

فلنقدم له شيئا من المشهيات والمهضومات قبل أن نقدم له أي شيء آخر ، فإنه خليق بها الآن ، ويعسر علينا أن نمد له أيدينا بهذا النوع من المشهيات النقدية وهو في المكان المرموق والصيت المجلجل . ولكن لا بأس فسوف لا نعدم حيلة ، فسرفعها إليه ونستعين في رفعها بأن نضعها على خوان مرتفع القوائم لتكون في متناوله .

لك يا سيدي الأستاذ قصيدة بعنوان (ولي وطن أفديه بروحي) ولا ننكر عليك حبك لوطنك وافتدائه بروحك فهذا شأن أمثالك من المجاهدين في رقعة الوطن ، ولقد جاهدت جهادا طويلا في رفع صرح بلادنا وأقمت له مجداً غزاوياً سوف لا يجحده التاريخ ، ولكن لا نحب أن يواخذك التاريخ في هذه القصيدة ، فإن هذا الأسلوب الذي نظمت به

قصيدتك هذه تنكره عليك شاعريتك قبل أن ينكرها عليك
قلم الناقد . أسلوب لا يشجع القاريء على قراءتها فضلا عن
استلهاهم معانيها السامية لقد قلت لافض فوك :

صليل البيض تقرع بالذكور

وصدع الجوف في سمت النسور

وخوض الموج في لجج البحور

أحب إلي من قيل وقال

أما الشطر الأول على وضوح معناه - وعلى الأقل عندي -
فيه إشارة غير لطيفة تلك الإشارة هي (مقارعة البيض
بالذكور) ، ولا يليق منك كشاعر ذواقة أن يصدر منكم
ذلك ومنكم بالذات ، لأنكم قدوة الناشئة من شدة الشعر ،
والشعر ذوق ، والشطر الثاني وإن كان أيضا مفهوما عندي في
غاية الوضوح إلا أن المدرسة الشعرية الحديثة تنكر لهذه
الوعورة اللفظية التي تتعر فيها المعاني تعثر المدني المرفه في
وعور الصحراء ، وتأتي الطامة بعد هذه المشقة في صدع
الجوف وخوض الموج . . « أحب إلي من قيل وقال » فكأنني
أفطرت في رمضان . هوة كالهواية أعاذنا الله منها . ثم
تقول :

ولي أجل تحامنه العوادي

تغلغل فيه ديني واعتقادي

وغايته الشهادة في الجهاد

إذ الرعيده هاب من الضال

فما هي تلك العوادي التي تحامت أجلك يا سيدي !!
إن العوادي حمانا الله وإياك منها لا تتحامي أحدا عزيزا
كان أو حقيراً فالناس عندها سواء ، وإن حمى الله آجالنا
من العوادي والعاديات فليس معنى ذلك أن العوادي تحامتنا
ولكن الله هو الذي حمانا منها وتغلغل دينك واعتقادك في
أجلك غير صحيح ، إن الدين والاعتقاد يتغلغلان في القلوب
لا في الآجال ، وهل سمعت أو قرأت أحداً يقول ذلك ؟
فقلدته يا سيدي أو هو من مخترعاتك ؟ إن كنت مخترعا
فأخترع شيئاً معقولاً ، وإن كنت مقلدا فتبين مواضع قلمك
قبل أن تقلد يا أستاذ ، وغاية أجلك أم غايتك أنت الشهادة
في الجهاد ؟؟ .

أما النشيد القومي ، فلم أر فيه إلا رصفا في الكلمات
وإتقانا في الميزان . كل الذي ينقصه فقدان الموسيقى ،
نريد موسيقى النفس الشاعرة في أناشيدنا يا أستاذ ، الموسيقى
التي تنبعث من النفس فتهمز السامعين .

ولنتقل إلى مناقشتك في (خواطر عيد) .

فاضت بك الروح ، أم أفضى بك البدن

سيان ما عف منك السر والعلن

عرفنا أن الأستاذ أو الشخص المجرد من خيال الأستاذ
 حصل له فيضان روحي - خير إن شاء الله - أما (أفضى
 بك البدن) فإفشاء البدن لا يكون إلا من أحد السبيلين !!
 ونحن نستغرب لقول الأستاذ وهو يقول (سيان) فالفيضان
 الروحي والإفشاء البدني لا صلة لهما ببعض ، فالإفشاء البدني
 يعكر مزاج الشاعر ويعكن عليه . . وفي حالة هذا الإفشاء
 لا يستجيب الشعر ولا يتأتى لأحد قوله . . وعلى كل فإن
 المعنى غير مفهوم بالمرّة ، مع أني حريص على تفهم ما يقوله
 الأستاذ الغزاوي .

قلب ترف به الذكرى محلقة

فوق (الأناسي) بالأملاك يقترن

لا اعتراض لي إلا على هذين القوسين اللتين حصرتا فيهما
 كلمة الأناسي فما معنى ذلك ؟ لترك علامة الإستفسار
 هنا قائمة حيث هي ، ولنستمر في قراءة القصيدة :

لم يلهه زخرف الدنيا وزينتها
 ولا المسرات في أعقابها الحزن
 لجت به الأزمات السود واندفعت
 كاليم تفرق من أمواجه السفن
 ما أن تفشت به الأحداث راجفة
 إلا وكان لها من بطشها جنن

كانه وربى الفردوس مسبحه
أخو جناحين يدنو نحوه الفن
ودونه الأرض تشوي في مباذها
وطي أثوابها الآثام والـدرن

لقد جاء هذا البيت الأخير كالسد في مجرى النهر
المتسلسل، فشاب سلساله بالكدورة بعد الصفاء، إن الشيء
لا يتأتى إلا بالنار وإذا رأى الشاعر مباذل الأرض نارا
تشوي بها الأرض فهل في النار ما يجعلها أو بعضها تتكشف
عن شيء كما يقول في البيت الذي يليه :

إذا تكشف منها بعضها ابتدرت

إلى الحجاب وأودى بها الشجن

وكيف هذا الذي يتكشف عن النار يبتدر إلى الحجاب ؟
صدقني أني لم أفهم هذا البيت فلنترك المعنى في قلب الشاعر
ونترك بجوارها علامة الاستفهام قائمة بجوار أختها السابقة .

أفضت طويلا وفي الأجيال باقية

من الحياء وفي أخلاقهم سنن

وبطبيعة الحال يترتب على عدم فهم البيت الذي سبق
هذا البيت عدم فهم هذا البيت أيضاً وهي نتيجة منطقية

لا بد منها ، فمن هي التي أفضت طويلا ؟ والسنن والحياة
من أخلاق من ؟؟ .

حتى إذا هي أنصوها براقعها

دارت عليهم بكأس صفوها المحن

لقد أذكرني البراقع بأم البراقع وحكاية أم البراقع كانت
تحكى لتخويف الأطفال . فمعدرة إلى الأستاذ الغزاوي إذا
هربت من هذا البيت خوفا ورعبا ، تاركا فهم معانيه ،
وإن كانت من العبقریات الحسان .

بني العروبة والإسلام قاطبة

إيان ما نزحوا أو أين ما قطنوا

يهنيكم العيد عيد الفطر أحسبه

مراكب المجد فيها حظنا الحسن

إن حسابان العيد بالمراكب ، تجديد وابتكار ويعمن
الأستاذ في ابتكاراته العجيبة الغريبة واختراعاته المدهشة
فيجعل للمراكب أطلالا ودمناً وذرى، فيقول حفظه الله
وأبقاه نبأً فياضاً للاختراعات والابتدعات المدهشات
العجيبات الغريبات المضحكات المميتات .

كأنما أنا منها في ذرى شعف

وقدتها مست الأطلال والدمن

أرايتم - يا خلق الله - أحداً يشبه العيد بالمراكب .
ويجعل لهذه المراكب ذرى كذرى ذي شعف تتهامس فيها
الأطلال والدمن أعوذ بالله الحي القيوم !! إن هذيان المحموم
لا يصل إلى مثل هذا ، ثم يقال لنا استمعوا خواطر العيد .
وأية خواطر هذه التي لا نجد فيها إلا أم البراقع وإلا المراكب
ذات الأطلال والشعاف أرجوك أيها القاريء أن تقرأ باقي
هذه الخواطر ، ثم أرجوك وألحف عليك بالر جاء أن تفهمني
معنى قوله :

كأنما هم وقد ضاقت سرائرهم

من السجود جباه زانها الشغن

وخذ بالك من ضاقت سرائرهم من السجود ، ثم خذ
بالك من المصلين بالجباه التي زانها الشغن ولا أحوجك لمراجعة
المنجد لتعرف ما معنى الشغن ، فقد كفيتك مؤونة ذلك
فالشغن كما يقول المنجد « هو ما تنثر من الورق أو العشب
بعد يبسه » . ولا أدري كيف تكون الصورة التي شبه بها
المصلين الذين ضاقت صدورهم من السجود؟ ومع كل فأنها
لن تكون صورة جميلة ، ولعله أراد أن يشوه صورة
المصلين بعد أن وصمهم بالضيق والتبرم بالسجود، أو لعله
لم يرد ذلك وإنما أراد مدح المصلين ، أو أنه لم يرد مدحا
ولا ذما ، وإنما الذي أراده النظم كيفما اتفق وكيفما كان
وهذا ما نرجحه بدليل ما يأتي :

عالت بهم مشيلات ما لهم قبل
بمثلها وخطوب حصدها الفطن
من كل فاتحة عمياء مطبقة
كأنما زجرها بالوعد محتجن
لا يملكون لهم نفعا ولا ضررا
إلا بما شئت والدنيا هي الفتن

ومن استطاع أن يفهمها اعتبره ممن يجلون الطلاسم، وهو
اعتبار له قيمته عند علماء الآثار القديمة . . . ومن يستهويهم
البحث عن آثار العصر الحجري .

يا أستاذ غزاوي أرجوك أن تترك الأعياد وما توحيه من
خواطر في النفوس الشاعرة فإننا لا نود لخواطرِكَ أن تبرز
في موكب الشعر ، حتى ولو أنضت عنها براقعها .

إن موكب الشعر الحجازي في العصر الحديث لا يفخر
بخواطرِكَ إذا كانت على هذا النمط .

إن من آثارك التي لا بأس بها قصيدة (على بساط الريح)
فهي غرة ما نشر لك في كتاب شعراء العصر الحديث ، ولو
كان لي حق التصرف ، أو حرية الاختيار لما اخترت لك في
في هذه المجموعة إلا هذه الأبيات الشعرية ، وما شاكلها من
أمثالها ، نعم لأنها من الأبيات التي استقامت أسلوبا ومعنى ،

فأسلوبها لا بأس به ومعانيها واضحة .. يقرأها القاريء
ولا يجد ما يصدمه إلا كلمة (الغمير) وكلمة (الديموم)
ويقلل ذلك من أثرها . إنك تقول مخاطباً سمو الأمير فيصل
بمناسبة قدومه من جدة إلى الطائف جواً على أول طائرة
سعودية بقيادة أول طائر سعودي ..

أقبلت والشعب توريه لواعجه

إلى لقاءك ، وطوراً كان يوربها

يرنو إلى الأفق والأبصار شاخصة

والشمس تختال في أبراد هاتيها

حتى أطلت بك الهيفاء مائسة

على (الغمير) تهادي في تشنها

تنقض كالنسر في الديموم هادئة

تداعب الطير باسم الله مجريها

كأنما وهي تفرى الجو مطبقة

إحدى سهامك لو لم تطلع فيها ...

مار فرفت بك يا مولاي عن كذب

طيارة من حديد ظلت تزجيها

لكنما هي - قول الحق - أفئدة

البعد ينشرها والقرب يطويها

حطت بموكبك العالي تشايحه
وتسبق الريح حتى لا تباريها
وآية أنها لم تلف خافقة
بين الصدور إلى أن عاد مشجيتها

ولا أغمطك حقلك فيما نشر لك في (كتاب شعراء الحجاز
في العصر الحديث) فقد وجدت بعض أبيات جيدة منثرة في
قصيدة (تحية العرض العسكري) مثل قولك فيها :

إنما المجد أيها الشعب حقا
أن يربي على الكفاح الوليد
وقولك :

إنما الجيش للبلاد سياج
وبه المجد كل مجد يعود
ومحال حياة شعب إذا ما
أذهلته عن البنود برود

إن في مثل هذه الأبيات نرى ومضات الشعر الصحيح
في شاعرية الغزوي ، وهذه الومضات المتألقة ، هي التي
تجعلنا نصفق تصفيقا حادا إعجابا لشاعريته . . ولكن هذه
الومضات . لا تطالعنا إلا بين الفينة والفينة وبعد فترات

استجمام طويلة .. وعلنا الآن عرفنا موضع الغزاوي
وأجلسناه فيه ، فليتبوأ مكانه الجدير به على ضوء ما قدم بيده
من شعره في هذه المجموعة مختاراً غير مكره، ولعل مكانه
يتعدى هذا المكان عندما تناح دراسة شعره الكثير الوافر في
فرصة أخرى .. فلنؤخر ذلك لميقاته ..

الآشي

لقد ملأ الأستاذ عبد الوهاب آشي صوت الحجاز حينما كان مهيمنا عليها شعراً ونثراً من نتاجه . وله في (أدب الحجاز) صولات وجولات وكان التوفيق حليفه في أغلبها ، وهذا الأستاذ نعه من الأوائل السابقين إلى تعبيد الطريق وتمهيده حتى تركوه صالحاً لسلوك غيرهم فيه .

لكنه عاد ففتر نشاطه برهة من الزمان ولعل لفتوره سبباً من الأسباب القاهرة لأننا لا نراه الآن يعاود نشاطه الأدبي مرة أخرى وصرنا نرى له في البلاد السعودية والمنهل والحج والمدينة - بين الفينة والفينة - نتاجاً من الشعر والنثر وها هو يساهم في (كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث) بشيء من نتاجه .

يمتاز الأستاذ الآشي بالجزالة وقوة الأداء في نثره ، وأنا حينما أصدر هذا الحكم على نثره فإنما أصدر لاني قرأت له نثراً كثيراً فما رأيتُهُ إلا قويا جزلاً .

ولكنه في شعره يختلف اختلافاً بينا ولعل حرصه على قيود الشعر هي التي تعوقه عن الوصول إلى المستوى الذي

يريده لنفسه ويريده له أصدقائه ومحبوه .

إن الأستاذ (عبد الوهاب) يحرص على التمسك بالقواعد والأصول اللغوية والعروضية فمتى ما صحت عنده الكلمة أو القاعدة فلا سبيل إلى زحزحته عن الصحيح الرشيق الأنيق ، ولذلك نجد شعره مرسوما بسمه لا تقول إنها سمة الحمود ولكنها سمة خالية من التموجات الشعرية التي لا تتجلى إلا في الكلمات الرشيقة الأنيقة إذا جاءت في موضعها . وإليك مثلا قصيدته (الحجاز مستقر الوحي والطبيعة الحرساء) فأول ما يطالعنا العنوان ، فالحجاز ليس هو مستقر الوحي ولكنه مهبط الوحي . . والوحي إذا كان جبريل . . فجبريل مستقره السماء لا الحجاز . وإذا كان الوحي القرآن ، فالقرآن مستقر في قلوب المؤمنين به في كل العالم الإسلامي . . ولنذهب إلى القصيدة :

دعاني أساجل أحرارها وقوما لنقفو آثارها

فدعاني هنا صحيحة بمعنى اتركاني ولكنها ليست مشرقة في مكانها وخلياني - مثلا - أخف على السمع من دعاني . وقد تأتي خفيفة على السمع إذا كان معناها من الدعوة يقول : دعاني حبيبي لتقبيله أو ما شاكل ذلك . . ثم كيف يستقيم تركه والقيام معه في آن واحد ، فهو في الوقت الذي يطلب أن يتركاه يطلب إليهما أن يقوما معه . . . ولا أريد أن أتبع القصيدة بيتا بيتا ولكن أريد أن أقول للأستاذ الآشي

وهو كما عرفته يجب الدقة في كل شيء ، فلماذا يترك
الدقة في الشعر: ألم تقرريا أستاذ أن الطبيعة خرساء ، إذا فما
معنى مساجلة الوحوش للأطيار في قولك :

تنائف تموج فيها الوحوش

تساجل في الدوح أطيارها

هذا تقرير بأن الطبيعة في بلادنا ليست خرساء ، ما دامت
فيها طيور ووحوش تتساجل، وإن كانت هذه المساجلة لم
تعقد بالمرّة بين هذين النوعين المتنافرين في تاريخ بلادنا
الطويل . ثم تقول :

إذا الليل أرخى ستائره

أرتك الكواكب أنوارها

وهذه ميزه لا تختص بها الكواكب في بلادنا، بل في كل
إقليم إذا جاء الليل أنارت الكواكب . . إنه كقولك إذا
عطش الإنسان شرب، وإذا جاع أكل، وهذا ما أردته من
انعدام التموجات الشعرية في شعر الأستاذ الآشي . ثم تقول :

بلاد سمت بالأولى عرفوا

طريق المعالي ومضمارها

كبار النفوس قصيرو المرا

م شهدوا الحياة وأسرارها

إن الأولى الذين عرفوا طريق المعالي ومضمارها، وهم كما
تصفهم كبار النفوس، كيف يكونون قصيروا المرام؟
إن مرامهم كان بعيدا وبعيدا جداً فكيف تصفه بالقصر، أو
لعل في البيت غلظة مطبعية حرفت الكلمة الأصلية التي
توافق كبار النفوس، لأننا ننزه الأستاذ الآشي من مثل هذا
التباين بين الكبر في النفس والقصر في المرام، وفي القصيدة
هذا البيت :

بلاد أضاءت سوافها

ورثنا أساها وتذكارها

فالسوالف - كما يتبادر إلى ذهن القاريء: الشعر نازلا
إلى الصدغين، ولكن لا يريد الأستاذ طبعا هذا المعنى، وإنما
يريد بالسوالف ما سلف لبلادنا من أعمال المحبة والبطولة
فعبّر عن هذه الأعمال بالسوالف على رأي الحارثيين (السوالف
ترد المخالف) وهو تعبير جميل في المجتمعات الحاروية
ولكنه في الشعر لا يرتاح إليه الذوق الشعري .

وإذا كان لبلادنا ماض مضى فإننا ورثنا تذكاره، أما
الأسى فهو وليد الذكرى وليس هو من مورثاتنا القديمة . .

أما قصيدته - يا رعاة الحسن - فلم تهش لها نفسي . .
ذلك لأن طبعي ينفر من كل شعر لا ألمس فيه حرارة
العاطفة، ولا أجد فيه إلا ألفاظا وكلمات مرصوفة ليكمل

وزن البيت فإي جمال في قصيدة تطالعك بمثل هذه الاعجاز
الخواصة .

نار وجد واشتياق وحنين
وأرثني رقة تغري ولين . .

فالوجد والاشتياق والحنين تغني عن كل أولئك كلمة
واحدة، وما هي الرقة؟ أليست هي اللين. ؟ وكذلك فيما يلي
الذل والهون والميثاق المتين والحب الضنين، ويلاحظ أن الحب
الضنين هو وصف المعشوقة .

ومع كل هذا فإن الأستاذ الآشي إذا انفعلت نفسه انفعالا
قوياً ربما يتأق له قول الشعر الصحيح ، ولكن ذلك لا يسلكه
الشعراء الممتازين ، ويكفيه أن يكون كاتباً ممتازاً ، فالممتازون
في الشعر والنثر قليلون في كل زمان وكل مكان ، وكذلك
الممتازون في الكتابة قلة نادرة هي على ندرتها محترمة، أفلا
يكفيه أن يكون من الأقلية المحترمة بين الكتاب النثرين؟؟

العامودي أيضاً

بعد أن كتبت ما كتبه عن الأستاذ محمد سعيد العامودي ارتأيت مع الأستاذ عبد الله عبد الجبار أن نستثير نفسية العامودي لعله يقول شعراً ، أو يبعث لنا شعراً من آثاره الشعرية الجديدة ، فاسترناها بطريقة خاصة وكانت طريقتنا منتجة ، وليعفنا القاريء من شرح تلك الطريقة التي سلكتناها مع لأستاذ العامودي فإن ذلك سر المهنة - كما يقال - وقد كانت النتيجة . . أن بعث لي الأستاذ العامودي ببعض رباعياته القوية النابضة بالحياة . . فكانت حجة لي عليه ، لأنني ازددت إيماناً بأن الشاعر لا تستطيع نفسه إلا أن تنبجس بالشعر آمن به الناس أم كفروا ، وآمن هو نفسه بالشعر أم كفر به ، ولا يستطيع إيمان الشاعر بالشعر ولا كفره به أن يقفه عن قول الشعر أو يحكم على نفسه بعدم قوله . . لأن ذلك ليس في طوقه ، كما أنه ليس في طوق أي حي ألا ينتسم الهواء .

وما الشعر في النفس الشاعرة؟؟ أليس هو ظاهرة طبيعية كأي ظاهرة طبيعية أخرى؟ وهل في مقدور الإنسان عدم

الاستجابة لمطالب الطبيعة فيه.؟ والشاعر حينما يتفجر الشعر في نفسه لا يستطيع رده كالشلال حينما ينحدر لا نستطيع لمنعه رداً ،
وكالمزنة إذا امتلأت بالغيث لا تستطيع إلا أن ترسل قطرها
وابلا أو طلاً ، وما على السحابة أن كانت سحابة صيف عما قليل
تقشع أو كانت سحابة شتاء لا يكف مدرارها ما دامت
لا تبخل بمجهودها .

لقد أكثرت في ضرب الأمثال وسرد التشابه ، وما كنت
لأكثر من ذلك لولا أنني رأيت أن ممن يدخلون أنفسهم في
زمرة الشعراء يحملونها على قول الشعر دون أن يدعوهم
أبلون إلى مملكته ، ومنهم من يهتف أبلون بهم داعياً لهم
بدخول مملكته فيقعدهم الخجل ، أو التكاثر ، أو التواضع
الذي تستحيل فضيلته إلى رذيلة . إن الشعراء إذا لم يستجيبوا
لدعوة أبلولو فإنهم يدعون للمزيفين أماكنهم ، وجلس
المزيفين في تلك الأماكن يشوه جمال تلك المملكة الحاملة
السابحة في مسابح النور . . التائهة في مجالي الجمال . . إننا
لا نريد قبحاً بعد اليوم يشوه جمال مملكة أبلولو الجميلة في
بلادنا النقية الناهضة . إننا في عصر يتنكر للانزواء والانطواء ،
كما يتنكر للضعف والقبح ، ذلك لأن العهد الذي نحن فيه
لا يضيق بالمواهب والعبقريات . بل يرحب بها ويفسح لها
المجال .

ولقد أبانت بلادنا عن مكنوناتها المدخرة من الأزل فإذا

مكتوناتها الطبيعية كنوز و ثراء . فلماذا لا تبين النفوس
الإنسانية عما يكمن فيها من إشعاع و ضياء ؟ وما إشعاع
النفوس و ضياؤها ؟ أليس هو التعبير عما يجب أن يكون !!

لم يمتنا إلا الجمود فهيا

حاربوه بالهدم يا شعراء

أتمو أنتمو — وليس سواكم —

جيشنا حين تشعل الهياج

حاربوه بقسوة فهو خصم

لا يحايي . . بل حية رقطاء

حاربوه بحكمة ودهاء ..

إنما آية الحروب الدهاء

* * *

يا من يظن القوافي كل غايتها

مدح و هجو لأفراد و آحاد (١)

الشعر قبارة نحاو برقتها

لأي ترنيمة أو أي إنشاد

(١) ونهس همسة صغيرة في أذن العامودي فنقول له : إن الأفراد
والآحاد بمعنى واحد ولا نحب أن نواخذك على هذا ، ولكن يجب أن
تنتبه مرة أخرى يا أستاذ .

لكنه ليس قيّداً للعقول وليـ
س بالخطابات تلقي فوق أعواد
الشعر إحساس منشيه ، وصورته
والشعر فيه حياة الصادح الشادي

* * *

كم ذا يحدثنا الزمان وسيره
وتجيء - يتلو بعضها - أبنائه
أن الذي زعم الحياة سعادة
كذبت مزاعمه وخاب رجاؤه
ليس الحياة سوى عناء دائم
والمرء فيها مستمر داؤه ..
والصفو للإنسان ظل زائل
ومن المحال دوامه وبقاؤه

* * *

ليس العقيدة في اللسان وإنما
ثوى العقيدة في الجنان وتسكن

يا من يحاول في غرور مطبق
قهر النفوس لما يقول وبلعن
ويريد إلغاء العقول من الورى
كيما بما هو يرثيه يؤمنوا
قدبوت بالفشل المربع، وعدت بال
خزي الشنيع لدى النهى.. هل تظن؟

* * *

هذه الرباعيات يا قارئ العزيز من الرباعيات التي بعث
إلي بها الأستاذ العامودي بعد الحيلة والجهد ، وهي كما ترى
رباعيات من الشعر الرفيع الذي تستوقفك نغمته موقف
المكبر لقاتلها ، المعجب بشاعريته ، وبعد الآن أوجه الخطاب
للأستاذ العامودي . . وأقول له : لعل فيما كتبنا عنك ما
يحملك - ولو مكرها - على أن لا تتخلف عن مملكة أبو لو..
فإن مثل هذه الرباعيات - وإن قيلت قبل أكثر من عشر
سنوات - لا تلقى في سلة المهملات . . وإنما يجب أن
تكون في الرباعيات المدويات . . والأبيات المشهورات
والحلجات المعلّات، فإنها خير من المعلقات المشهورات .
وعليك السلام والرحمة والبركات وإننا منتظرون من شعرك
ما هو آت .

الاستاذان : عبدالله عبد الجبار ، والقرشي

لما أرهفت سنان القلم لنقد الآثار الأدبية الحديثة ..
وتصحيح الموازين الخاطئة ، ليعرف كل أديب موضعه ..
بعد أن أجهت الموازين المغرضة ببعض الأدباء فلم تفهم
حقهم .. وأعطت البعض الآخر فوق حقوقهم .. لم يغب
عن علمي ما سيقابلني من عنت وإعنات كما أنه لم يغب
عن علمي ما سيقابلني - من جهة أخرى - من مشايعة
وتأزير .. وقد حدث ما توقعته .. ولكن لم يخرجني عما
ارتسمته لنفسي هذا ولا ذاك .. فسلكت طريقي .. مؤمناً
بأن الحق أحق أن يتبع .. وها هو الجزء الثاني من المرصاد ..
في أيدي القراء ... وللقراء رأيهم .. فيما يقرأون .. على
أن الحججة هي القول الفصل .. والحجة الدامغة لا تتأني
إلا بالفهم الجيد ، والذوق الأدبي السليم .. وإني أرحب
بكل رد ولا أضييق بأي مؤاخذة ما دام الرائد هو الأرتفاع
بأدب بلادنا عن كل هذر .. والبعد به عن كل لغو وتفاهة .
... أما من أكلمه في المشرق ويكلمني في المغرب ،
وأحدثه عن شيء ويحدثني عن شيء آخر ، فإن ذلك لا أعني

بالرد عليه ، حتى يستقيم له المنطق ، ويخرج بنفسه عن الخط الأعوج .

ولقد نظرت ردوداً على مرصادي الأول بعضها في الصحف . . . وبعضها في مكاتبات خاصة . . . أما ما كان منها مستحقاً للرد ، فقد رددت على بعضها - في كتابة خاصة - كما شاء أصحابها ، ومن الردود التي تستحق المناقشة رد كتبه الأستاذ القرشي في مجلة المنهل الغراء . وسوف يكون ردي عليه في المرصاد الثالث إن شاء الله تعالى . . . أما بعض ما وصلني من الردود نأت بأصحابها عن طريق التسامي . . . والبعد عما هو بين في نقدي فلم يكن له عندي غير الإهمال كأني شيء تافه لا يقوم له وزن في الأعمال الخالدة . . . وبعض الردود نوهت عنها في مقدمة هذا المرصاد وسوف لا تخفى على القاريء . . . لا لأنها تستحق الرد . . . بل لأنها نشرت علانية . . . ووجدت مع الأسف الشديد - من يحتفل بها . . . وأيضاً لحقيقة ثانية ، هذه الحقيقة هي أن يعلم كاتبوها وقارئوها ومن خلفهم أن هذا القلم لا يسكت - إن سكت - عجزاً ، ولكنه يسكت أحياناً - أو هو يسكت في أغلب الأحيان - ترفعاً وتعالياً . . . وجنفاً عما لا يفيد واتجاهاً إلى ما يفيد . . . فليس هو متهافتاً على نوال شهرة ولا راغباً فيما يرغبون منها . . . ولا يحركه للكتابة إلا هدف من الأهداف السامية ، تلك الأهداف التي

هي من أجلها كرم الله القلم وكرم حامله . .

• • •

بعد انتهائي من هذا الجزء من المرصاد ، اطلع عليه الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، فراق له أن يعلق عليه . . ولما كان من طبعي عدم الضيق بالمناقشة ، لم أر فيما راق الأستاذ عبد الله عبد الجبار ما يمنعني من ذلك فلما رأى موافقتي - وأظنه كان لا يتوقعها - تباطأ في التعليق عليه ، فألحفت عليه . . وأمام إلحافي قال لي : ربما اشتد عليك . فلم يكن جوابي له إلا قبول ما أراد وبرحابة صدر ، على أن يكون لي حق المناقشة ، وأن يكون رحب الصدر لتقبل ماستجره المناقشة فيما بعد ، والأستاذ عبد الله يمتاز بهذه الخليقة ، خليقة الرحابة وسعة الأفق . . وعدم الضيق بالنقد ، ما كان الرائد خدمة الأدب والارتفاع به ، ليبلغ الأدب في بلادنا المكانة التي يريد لها المخلصون ، ولقد رحب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بذلك ، وقام بإخراج المرصاد ، ومرصاد المرصاد مع بعضها ولعل ذلك ، يرضي المعنيين بالأدب في بلادنا ، وما التوفيق إلا من عند الله .

لقد اطلعت بطبيعة الحال على ما كتبه الأستاذ عبد الله ، وسوف يكون ردي عليه في الجزء الثالث من المرصاد إن

(٥) لقد أنجزت الجزء الثاني منذ ثلاث سنين من المرصاد بناء على تعجل القراء له . وأخذ أصوله الأستاذ الأنصارى ليقوم بطبعه مثل الجزء الأول . وبقى لديه مدة عام ثم فاجأني برده مصحوباً باعتذاره عن عدم طبعه لأسباب لم يذكرها ، وبقى عندي هذه المدة الطويلة حتى أتيج لي طبعه الآن ، فمعلومة للقراء عن هذا التأخير وإن لم يكن لي يد في تأخيريه ، ولعل الظروف تساعد على إصدار الجزء الثالث من سلسلة المرصاد قريباً .

الجزء الثالث

الكلمة الاولى

لقد قذفت بلادنا كثير أمن الركام بدعوى الأدب والشعر ، ولكن الركام إذا زخرت به الطرقات لا يصل إلى مرتبة البناية الصالحة التي يستفيد منها الناس ، بل إن الركام يسبب للسائرين المتاعب ، ويعوقهم عن السير الحثيث للوصول للهدف . نعم قد يتكون من الركام مبان أنيقة غالية ولكنها لا تعدو أن تكون مداخن للحمامات ، والأفران ، والمعامل والمصانع ، وهي على أناقتها وارتفاعها ليست صالحة إلا لتصريف الدخان وتبديده في الهواء لئلا يؤذي الناس وأعلى مدخنة وأنقها في المدينة ، لا تساوي كوخا نظيفا صالحا للسكنى في قرية .

وكما نجد في عالم المباني مداخن ومساكن ، نجد في عالم الأدب والشعر ما يضارع تلك الحالة ، وقد أسقط التاريخ كثيراً من الأدباء المداخن ، لأن أدبهم لم يكن إلا دخانا يتبدد في الهواء ولا يمكن أن يستريح له الناس لأنه إذا تكاثف يخنق الأنفاس .

وسيسقط التاريخ مستقبلاً أكثر ممن أسقطهم في الماضي

كلما تقدم الوعي وعرفت حقيقة الأدب ورسالته .

وسوف لا يخلد التاريخ إلا حملة المشاعل الذين ينيرون الطريق ، ويبعدون عنه الركام حتى لا يعوق السائرين عن السير الخيث .

إن الأدب يصب لعنته على كل من لا يخلص له ، أما الخلود والتكريم فلا يهبهما إلا للمخلصين .

بقي أن يعرف الأديب المخلص أنه كالجندي في المعركة إن لم يكن له زاد وعتاد فسيسقط صريعا في الميدان ، وزاد الأديب وعتاده اطلاق واسع ، وثقافات متنوعة وشجاعة في الحق ، ونتاج حي متحرك .

أما الذي لا يعرف من الأدب إلا إدارة القلم على الورق بالكلام دون أن يثير في فكر القاريء أفكاراً ، وفي نفسه خواطر ، وفي مشاعره هزة ، ودون أن يضيف إلى الحياة جدة ونماء ، فذلك من الذين يبندهم الأدب ، ولا يسمح لهم بالدنو إلى حرمة المقدس .

وقد انقضى أيضا العهد الذي كان فيه الأدب أداة من أدوات الترف التي لا يقتنيها إلا المترفون ليجملوا مجالسهم بالأدباء وآثارهم ، كما يجملونها بالتحف والتماثيل .

نعم : لقد انقضى عهد الوليد ، وعهد هارون الرشيد . ولو بعث اليوم جرير ، والأخطل ، والفرزدق ، وأبو تمام

وبشار ، وأبو العتاهية ، وأبو نواس وغيرهم لقلنا لهم :
أديروا وجوهكم للجماهير لتناولوا لقمة العيش بعرق الجبين ! .
أو عودوا إلى مراقدكم إن لم تسمعوا لأنفسكم بالسخرية
والتهزيء ؟ ! .

فالجمهور اليوم قادر على أن يفهمكم ، وقادر على تقدير
مواهبكم ، وقادر على أن يعطيكم لقمة أشرف من اللقمة التي
كان يمن بها عليكم الوليد وهارون .

ويخيل إلي أنهم سوف لا يرضون بالحياة بيننا ، وسيعودون
إلى مراقدهم راضين .

إننا نعيش في عصر العقاد ، وطه حسين ، والزيات ،
وهيكل ، والحوماني ، والجواهري ، وإيليا ، والسحرتي ،
وخفاجة ، وكامل أمين وغيرهم من الأدباء والشعراء الذين
أخلصوا لرسالة الأدب ، فاحتفى بهم الأدب ، وأصعدهم
إلى مجالس الخالدين ، وكان جزاؤهم من الأدب أعلى
وأخلد وأكرم من جوائز الوليد ، وهارون الرشيد ، وذلك
هو جزاء المخلصين .

* * *

المقدمة

حينما صدر المرصاد الأول ، قيل إني وضعت الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، في مكان أعلى من مكانهما . وكان هذا القول لا يستند إلى شيء بالمرّة لأن المتحدثين بذلك لم يؤيدوه بأي برهان ، وإلقاء القول على عواهنه لا يكلف عناء ولا جهداً .

وحينما صدر المرصاد الثاني ، قيل إني رفعت الأستاذ عبد الله الخطيب أكثر من اللازم وناققت للأستاذ محمد سرور الصبان .

وهؤلاء القوالون لا يستحقون المواقظة ولكنهم يستحقون الإشفاق ، لأنهم حينما يقولون مثل هذه الأقاويل يدللون على أنهم لا يقرعون ، أو يقرعون ولكنهم لا يفهمون ، أو يفهمون ولكنهم لا يقتنعون ، أو يقتنعون ولكنهم يكابرون لأنهم مغرضون ، فكلما حاولت مناقشتهم فيما يقولون تئاءبوا ، وإذا طلبت منهم أن يضعوا أصابعي على مكان النفاق تصاموا ، وإذا قلت لهم لِمَ لم تجهروا بما تقولون ؟ جبنوا ، وإذا قلت لهم إن كان الجهر يوقعكم في حرج

فاهمسوا في أذني ، ولكم على أن لا أبوح بما تهمسون ،
أحجموا ، وإذا قلت لهم إنني لا أملك أمكنة شاغرة أضع
فيها من أريد ، وأهبط بمن أريد، ضحكوا أو تضحكوا ،
وإذا قلت لهم هاتوا كلمة مما قلتها في الأستاذ محمد سرور
صبان غير صحيحة، وضعوا رؤوسهم بين أكفهم وعصروها
عصراً شديداً ، فإذا هي لا تساعدهم إلا بجمرة الحجّل ، أو
بجمرة الخزي ، أو بجمرة تكون نتيجة ضغطهم رؤوسهم
بأكفهم .

فمن كانوا لا يستطيعون أن يكذبوني فيما قلته عن محمد
سرور صبان وأثره في تاريخ بلادنا الأدبي ، ثم لا يستطيعون
الهمس بما يرتأون ، ثم تحمر وجوههم خجلاً أو غضباً أو
لأي شيء آخر ، ثم يبحثون عن الكلام فلا يجدونه ، وعن
الحجة فتشيع بوجهها عنهم . أيستحق هؤلاء المواخذة؟ -
كلا - إذاً فليغل الرجل في صدورهم ما شاء له الغليان
وليجف الريق في حلوقهم ما شاء له الجفاف ، ما دام هذا
الغليان وهذا الجفاف لا يجلبان ضرراً على أحد ولا يؤديان
نفعاً لأحد .

والآن أقول لمن يعي : إنني لا أملك أن أرفع أحداً ، ولا
أملك أن أخفض أحداً ، ولكني أبين مكان كل واحد ممن
أكتب عنه ، كما يستبين لي من أثره الذي أقرؤه ، فقد
وضع كل أديب نفسه في الموضوع الذي وصل إليه بجده ،

وعرقه ، وسهره ، ونور عينيه .

ثم إن لكل أديب لساناً في فمه ، وقلماً بين أنامله ،
وفكراً يعمر رأسه ، ومشاعر تعتلج في صدره ، وتلك هي
أسلحة الأديب ، وبها يستطيع أن يذب عن نفسه وعن أثره
إذا أراد أحد أن ينزله من موضعه ، ولم أقم نفسي مدافعاً عن
الأدباء فمن يجد في نفسه جرأة ولديه من الإمكانيات ما
يستطيع بها زحزحة أديب عن مكانه الذي وصل إليه فليتقدم
لذلك وليقابل من يريد منازلته وجها لوجه ، أما أن يتحدث
عنه انتقاصاً وجحوداً وإنكاراً لمن لا يستحق الانتقاص
والجحود والإنكار ، ويوجه حديثه إلي في شبه حملة ، فإذا
انبريت له تخاذل وانزوى ، فإن ذلك ليس من الأدب ولا
من الجرأة الأدبية في شيء . إن الشجاعة الأدبية لا تستورد
من الخارج ولا تلتقط من أفواه الناس ، ولكنها تنبع من
النفس ، فمن وجد في نفسه ذلك النبع الكريم ، فلا يخف
من شيء .

هذا العطار أمامكم وقد نشأ على الصراع الأدبي وله فيه
الجولات الخالدات .

وهذا هو الأنصاري وهو في متناول أيديكم ، فلماذا
تجمون عن منزلته ؟ أظنكم تجمون عنه لأن صحافتنا
سجلت له وقائع أدبية مازال دويها في الآذان ، وتعرفون أنه
دائماً متحضر للصراع وللدفاع عن نفسه .

وهذا هو الخطيب يصارع الحياة ، وهو مستعد لمصارعة
أبنائها . ولا أقول شيئاً عن عداهم . هاجموهم أيها
المنكرون على ما قلته فيهم ، هاجموهم وزحزحوهم عن
أماكنهم الأدبية التي تبوأوها إن كنتم حقاً ترون أنهم غير
خليقين بها ، ولكم عليّ أن لا أدافع عنهم ، ولا أحرك
قلمي بشيء إلا أن يكون ذلك الشيء تصحيحاً لخطأ ، أو
جلاء لغامض ، أو تعديلاً لفهم مغلوط ، وإذا انتصرتم
فسوف يصفق لكم الجمهور تصفيقاً يرضي غروركم ،
وسأكون من أول المصفقين ، ولكن احرصوا على أن يكون
التصفيق لكم لا عليكم !! .

• • •

أما الأستاذ القرشي حينما رد عليّ على مرصدي الأول في
مجلة المنهل ، فقد أثبت أنه قرأ شيئاً كثيراً من شعراء
المعاصرين ، وأنا أهنته على ذلك ، وكل ما أرجوه منه أن
يهضم ما يقرأ ، ويتفهم ما يحفظ ، لتكون مقارناته موافقة
لما يريد ، ولعله لا يستكبر عليّ النصيحة إذا وجهت إليه ،
ويتنفع بالناصحين ، وهو جدير بذلك .

وأما الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، فقد ضرب ما شاء له
الضرب في مرصاد المرصاد الذي أخرجه تعقيباً على (المرصاد
الأول والمرصاد الثاني) .

ومع كلّ فهو لم يختلف عني كثيراً ، بل اتفق معي في

كثير مما ذهبت إليه في نقدي وإن نعني بالبهلوان الكبير ،
فلإني أتوقع له بأنه سيكون بهلواناً أكبر . ذلك أن القراء لو
عرفوا السر في اكتشافه بأني كنت أظهر بوجه ابن عمي
السيد سراج فلالي للأستاذ عبد الوهاب آشي ليصلح لي
مقطعاً من شعري في مبدأ حياتي الأدبية لعرفوا إلى أي حد
بلغت به البهلوانية ، ولا يعنيني أن الأستاذ الآشي له عليّ
فضل الأستاذية ، بل يشرفني ذلك .

أما ما اختلفنا فيه أنا والأستاذ عبد الله ، فذلك مرده
وجهاً النظر من جهة ، ومن جهة أخرى اختلاف الأمزجة
في تذوق الأدب .

وما قيمة المرصاد ومرصاد المرصاد إن لم يكونا مجالا
للنقاش ، ومضطرباً للأخذ والرد ؟ ولعل الأستاذ عبد الله
عندما يصل إلى مرتبة بهلوان أكبر يتبين له أن الصواب
قد أخطأه في بعض ما خالفني فيه و ، للأستاذ عبد الله من
القوة الأدبية وإخلاصه للفكر ، ما يدعه يعترف إن عاجلاً أو
أجلاً بذلك دون أن يرى في الاعتراف أي ضير يمسّه ،
وذلك هو خلق الأديب الحق ، والأستاذ عبد الله أديب
(بحق وحقيق) ، يعرف ذلك كل من اطلع على نتاجه
الأدبي الحي ، وأن قصتيه (العم سحتوت) ، (وأمي)
ومسرحيته (الشياطين الحرس) آية على الحيوية الأدبية
المتدفقة .

أما الأستاذ باعش (عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة) ، فقد كنت وما زلت أقدره وأتوقع له مستقبلاً أدبياً باهراً ، إنما ينقصه شيء واحد أحب أن أوجهه إليه ليتلافاه . ذلك الشيء هو ألا يسمح لنفسه أن يكون أداة لغيره في المجال الأدبي ، ولو عقل لنفر من ذلك نفوراً شديداً ، ولو كان ذلك الغير عمماً أو خلافاً أو أباً ، فإن الوقوف - يا بني - على قدميك خير لك من الوقوف على أقدام من خشب لتسير في الطريق بدون توقف ، هذه الكلمة أوجهها إليك بمناسبة ما نشر في جريدة المدينة المنورة تحت عنوان (مرصاد الفلاحي) ، فإن الأسلوب نم عن الحقيقة المغطاة ، ونفسيك التي عرفتها من آثارك أبعد ما تكون عن المكابرة واللجاجة المعروفتين عند بعض الأدباء .

أما قصيدة الأستاذ عواد (أنا والليل) التي نقدتها في مرصادي فقد أسقطها الأستاذ منير البعلبكي من الشعر إسقاطاً كاملاً فيما أسقط من نظم قيل إنه شعر ، وقال في آخر كلامه إن مثل هذا الشعر ما كان ينبغي أن يثبت للغرلة بله التنخل ، وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فراجع العدد الممتاز من مجلة الآداب الصادر في مايو سنة ١٩٥٥ ص ٩٢ و ٩٣ . إننا لا نتجنى ولكننا نصارح بالحق ولو كان مرأ .

وإني أشكر للأستاذ رضوان إبراهيم ما بذله من عناية في التنويه بالمرصاد على صفحات مجلة الحج الغراء ، وإن ما

أخذه علي ولم يغتفره لي أسرفي منه ، وحقاً إن الإنسان ليخطيء
أحياناً فيما يغم على الأطفال في المدارس الابتدائية ، والكمال
لله وحده ، والذي أريد أن أقوله للأستاذ رضوان : أن
لا يشفق مرة ثانية عليّ ولا يخشى أن ينضم مع الأستاذ
عبد الله عبد الجبار ومع الزمان في الهجوم عليّ ، فأنا وإن
كنت أعزلاً إلا أن لي روحاً معنوية عالية تجعلني أستقبل
الهجمات من أي نوع وأستفيد منها .

بعد هذا - أيها القاريء - سر معي في المرصاد الثالث ؛
فإنه يختلف عن المرصادين السابقين ، فليس فيه نقد لشعر
و شعراء ، وإنما هو نقد لمؤلفين قاموا بمجهود طيب في السير
بأدبنا إلى السبيل السوي ، فمن الأخذ في مزاوله الأدب
المسرحي ، إلى أحياء التراث المهمل والعناية ببلادنا وتاريخها
وآثارها وما تزخر به من ثروات تكاد تكون في حكم
الضائعة ، يتوج ذلك التفات إلى استنباط العظة والحكمة ،
والسير على الصراط المستقيم ، مستنيرين بنور القرآن كتاب
الله الخالد .

ثم نقرأ ألواناً أخرى من أدبنا اليوم ، كترجمة الروائع
من الأدب الإنساني ، فلنمش لنرى مبلغ توفيق هؤلاء
المؤلفين فيما كلفوا أنفسهم به ، ولنعطهم ما يستحقون من
عناية ، وإعجاب ، وتكريم ، مع مواخذتهم فيما تجب
عليهم فيه المواخذة ، وليكن رائدي ورائدك السير بالنقد

إلى مكانه من أدبنا ، إذ لا تكمل الحياة الأدبية بدونه ، ولا
تزهو إلا في ظلاله . والله لا يضيع أجر العاملين .

في ربوع عسير

إننا نحلم بكنوز سليمان . ونود لو أن العفاريت تخرج من قمامها لتحملنا على أجنحتها حتى تحط بنا على تلك الكنوز ، فنأخذ منها ما يرضي نهمنا ، ثم تعود بنا ومعنا الثروة العريضة التي يسيل — عند ذكرها — لعاب المملقين ، والجواهر الغالية الثمينة التي يتباهى بها الفارغون ، ويستمدون قيمتهم منها .

ولكن أحلامنا لا تلبث أن تتبدد في الهواء ، لأننا لا نعرف الطريق إلى تلك الكنوز المرصودة ، أو أننا نعتقد أن الوصول إليها ضرب من المحال ، لأنه محفوف بالمخاطر والأهوال ، أو أننا لا نرى فيما يقال عن كنوز سليمان إلا لوناً من الأساطير أو ضرباً من ضروب الخيال فرضى بما قسم الله لنا من الرزق ، أو يدفعنا الجوع والفقر والحرمان إلى طرائق النصب والاحتيال ، وإذا ترفعنا عن ذلك نندفع إلى الاضطراب فيما يضطرب فيه الاشراف من الرجال لنعود بما يسد الرمق ، ولا يُنال ذلك إلا بشق الأنفس ، هذا إذا اتسع للاشراف المجال .

أما الغنى الطاغي ، والثروة العريضة ، فلا ينالهما إلا كل مخادع أو ختال ، أو كل كاذب أو متملق أو مختلس أو دجال .

ولكن لماذا هذا الضيق بالحياة وأوضاع الحياة ؟ ولماذا نستهل الوصول إلى كنوز سليمان ؟ ولماذا نحسبها من الأساطير أو من صنع الخيال ؟ إننا بهذه النظرة نحكم على أنفسنا بالحرمان ، وبالذل والهوان .

إن كنوز سليمان يا قارئ الكريم تحت أقدامنا ، وخلف آذاننا إنها في جزيرتنا العربية البارة بأبنائها ، الودود بسكانها ، إنها لا تبعد عن مكة إلا أميالاً ، إنها في المخلاف السليماني وأظنك مثلي لا تعرف المخلاف السليماني ، إذاً فاقرأ كتاب الأستاذ محمد عمر رفيع (في ربوع عسير) .

ستجده يتحدث عن المخلاف السليماني وموقعه وما يجاوره من بلاد وسيحدثك عن مناجم الحديد ، ومنابع البترول ، وأجبال الملح ، ومناجم الجير والجبس ، ومغاصات اللؤلؤ ، ويحدثك عن الأرض الحصبة التي تنبت الحبوب والبقول والفواكه والخضار ، ويحدثك عن الحمر الوحشية السائبة في المروج والأحراش ، وأسراب الطباء الرائعة في الحيوف والدحال ، ويحدثك عن مختلف الحيوانات البرية التي تسكن الكهوف والغابات .

ويحدثك عن الجنات المسحورة المختفية خلف الجبال

الشامخة ، التي تتوج قممها عمام السحاب ، وما في تلك
الجنات من بلابل وحمائم تصدح بعقري الأحن ، ويحدثك
عن القباب الخضراء التي تتألف من شجر الأرك والسدر
والبشام والأثل مدى امتداد النظر .

ويحدثك عن الجداول المنسابة انسياب الفضة النقية على
أرض من الذهب ورمال من زعفران .

ويحدثك عن الحور والولدان والأعين الدعج ، والقامات
السمهرية ، والشعر الأجدد ، والآناف المستقيمة ، والألوان
الصافية واللغة العذبة ، والأحاديث الممتعة .

ويحدثك عن أرض تنبت كل أولئك ، ولكن نباتها مهمل
لا يناله غير الإغفال .

ويحدثك عن شمائل الناس هناك وما فيهم من كرم
وذكاء ، وطيبة قلب ، وحب للضيف ، ووفاء للأصدقاء ،
ولكن كل هذه الشمائل يأكلها الجهل وتصرعها قسوة الجهال .

ويحدثك عما عليه سكان تلك الجهات من عادات وتقاليد
وماذا يلبسون ؟ وماذا يأكلون وكيف يقيمون الأفراح
والولائم ؟ وكيف يبنون منازلهم ، وبماذا يوثقونها ؟ وكيف
يزينونها ؟

ويحدثك فيما - يحدثك - عن الزمردة الخضراء الضائعة
في الوحل .

هل تعلم يا قارئي عن تلك الزمردة الشمينة الضائعة في
الوحد شيئاً؟ وهل تعلم كيف ضاعت؟ ثم أهملت، ثم
نسيت، وبقيت إلى الآن في زوايا النسيان؟ .

إن كنت لا تدري شيئاً عن ذلك فأنت معذور لا لشيء
إلا لأنني أنا وأنت وهم لا نعني بشيء إلا بأنفسنا، ولا يمتد
نظرنا إلا إلى مواقع أقدامنا، ولا يهمننا غير اليوم الذي نعيش
فيه، ولكن الشيخ عمر رفيع لا يريد أن يتركني ويتركك ويتركهم
في هذه الغفلة المفترسة الضارية التي تفرس بلادنا حتى يضرى
عليه الفناء والدمار .

فأخذ بجبل الجرس وقرعه قرعاً لم يكن شديداً، ولكنه
يكفي لتنبية الغافلين، وما الجرس الذي قرعه الشيخ عمر إلا
كتابه (في ربوع عسير) ففي هذا الكتاب يحدثنا الشيخ عمر
عن كنوز سليمان المغمورة .

وعن الزمردة الخضراء الضائعة في الوحد، لعلنا نتنبه إلى
كنوز سليمان فننفض عنها غبار الأجيال الذي تراكم عليها،
ونحلي بمدخراتها جيد بلادنا، ونخرج تلك الزمردة الخضراء
اليتيمة من الوحد لتأخذ مكانها اللاتق في جبين هذا الوطن
المفدى .

ولا يزعم الشيخ عمر وهو يقدم إلينا كتابه (في ربوع
عسير) أنه رحالة جاب كثيراً من الآفاق، ولا يزعم أيضاً

أنه أديب ، أو مؤرخ أو فنان ، ولا يدعى أنه عالم محقق
ثبت ، وإنما يقدم لنا كتابه في تواضع جم هو تواضع العلماء .
والذي يعرف الشيخ عمر يعرف فيه مواهب وملكات ،
فهو أديب وآية ذلك أسلوبه الشائق الممتع الذي يتجلى في
كتابه هذا ، وهو عالم ويتجلى علمه في تحقيقه العلمي وفي
رده على كل من كتب عن هذه الربوع رداً يستند إلى الأدلة
المادية المحسوسة التي يرضاهها منطق العلماء .

وهو يحمل بين جنبيه قلباً شاعراً يعشق الجمال ويعبر
عنه بريشة الرسام الماهر ، فهو مولع بالزخرفة ويتقنها كما
يتقن قواعد الخط ، وله لوحات فنية ممتازة ، ورسوم كتابه
اليدوية التي رسمها بريشته شاهد على مهارته ، وتعبيراته
الشاعرية عن مناظر الطبيعة وخلابتها تدل على شاعريته ،
وإن لم يقل شعراً مقفىً موزوناً ، ثم هو رحالة جاب كثيراً
من بلاد العالم وساعدته خبرته بالبلاد التي رآها على مقابلة ما
شاهده من بعض المشاهد في عسير على ما شاهده في البلاد
الأخرى .

وليك أمثلة من ردود الشيخ عمر على من كتب عن هذه
الربوع وأخطأه الصواب . . يقول الشيخ عمر في صفحة
٤٤ تحت عنوان (قبر ذي القرنين) « وقد عد صاحب
كتاب في بلاد عسير نسبة هذا القبر إلى ذي القرنين تخريباً
من أهل هذه الجهة مدفوعاً فيما تراءى لي بما تبادر له من

أنه ذو القرنين الأسكندر المقدوني ، وليس كذلك فإن ذا القرنين هذا يماني ذكره الهمداني أيضاً في كتابه الاكليل في الجزء العاشر. فقد قال ما معناه إن ذا القرنين السيار ويكنى با لصعب وعلى رواية هو الهُمَيْسَع بن عمر بن عريب بن كهلان ، وعلى رواية أخرى هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالك بن الحارث الأعلى ابن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، وجاء في هامش القول المذكور من تحقیقات العلامة السيد محب الدين الخطيب ناشر الجزء المذكور أن هناك قولاً ثالثاً مزعوماً لأمير المؤمنين علي وحبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله عنهم : أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر فقير بعيد عن الحقيقة والصحة نسبة القبر إلى ذي القرنين هذا، ولا سيما وأنه مقول منذ القرن الثالث الهجري « هذا رد علمي مقنع . ورده على صاحب الكتاب نفسه حينما اتهم قبيلة ربيعة ذلك الاتهام الشنيع الفظيع . راجع ما قيل ورد الأستاذ عمر في (ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) ورده على الدكتور عبد الوهاب عزام في (ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) . وتحقیقات الشيخ عمر المفيدة المقنعة في موضوع أهل الكهف الموجودين في جبال عسير ووصفه للكهوف التي وجدت بها بعض الجثث التي مرت عليها أجيال دون أن تبلى في (ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) وما قال عنهم صاحب (في بلاد

عسير) ورده المفحم وتأييده الرد بالصور الفوتوغرافية
ووضعها في الكتاب لتكون أبلغ رد على من يفرضون علمهم
على الناس وهم جهلاء .

واقراً تصوير الشيخ عمر للطرق الوعرة ، وكيف يتعرض
الناس فيها للأخطار والهلاك ؟ وهم لا يستغنون عن المرور
منها ، إذ لا طرق موصلة للقري سواها ، ومع كل ذلك
بقيت دون عناية إلى الآن ، ومالي أقول هذا ؟ ألسنا نتحدث
عن مجهل من مجاهل الصحراء ؟ أو عن بلد في جزائر وراق
الواق ؟ وما للإنسان وللعناية بمثل هذه الآفاق ؟

واقراً عن الجدري الذي يفتك بتسعين نفساً في قرية
واحدة ومأساه التيفوئيد الذي يجتاح السكان اجتياحاً ويذهبون
ضحايًا الجهل ، جهلهم وجهل الناس بهم ، لأنهم يعيشون في
مجهل من مجاهل الجزيرة العربية .

فمن قال لهم يعيشون هناك ؟ إن الذنب ذنبهم على كل
حال أليس كذلك ؟ .

• • •

وأخيراً إذا أردت أن تعلم كثيراً من الغرائب والعجائب
والمآسي والمسرات والملاوي والمنعرجات ، ثم إذا عن لك
أن ترحل لتنعم بكنوز سليمان ، أو عن لك أن تعيش على
أضواء الزمردة الخضراء ، أو أن تبحث عنها في الوحل الذي

غرقت فيه . أو شاقك أن تبحث عن آثار ذي القرنين وترى
أهل الكهف وتدخل الجنات المسحورة القرية منك ، فما
عليك إلا أن تشكر للشيخ عمر ما حباك به من معلومات طيبة
شائقة في كتابه (في ربوع عسير) .

* * *

وكل ما نرجوه من حكومتنا أنها إذا بعثت حملة لتأديب
مانعي الزكاة في ذلك المجهل أن تصحبها بحملتين إحداهما
للقضاء على الأمراض هناك والثانية لتعبيد الطرق ، رحمة
بالأهلين والعصاة والمؤذنين .

(٥) ما ورد في كتاب عمر ربيع يمر عن وضع قديم ، خاصة وأن الكتاب
طبع عام ١٩٥٤ ميلادية ، ولا شك أن الأمور قد تغيرت اليوم كثيراً .

تاريخ مكة المكرمة

للأستاذ أحمد سباعي أوليات قومية في الحقل الأدبي وفي الحقل التربوي ، ومن أولياته في الحقل التربوي إخراج سلم القراءة للمدارس الأولية والابتدائية .

فلقد كانت مدارسنا قبل ذلك تعتمد على الكتب المدرسية الواردة إلينا من البلاد الشقيقة فبنشأ الطفل وفي ذهنه صور لحقول النيل ، والأهرام ، وقلعة محمد علي ، وليس في ذهنه شيء من صور بلاده ومسقط رأسه ، وكان ذلك نقصاً تداركه وفتن له السباعي قبل أن يفتن إليه غيره ، فسد الفراغ وتدارك النقص الذي كنا نحسه ونلمسه ، ثم تبعه المؤلفون الحجازيون وساروا على غراره في هذا المسلك .

أما أولياته في الحقل الأدبي فمحاولته لفن القصة الكبيرة . فأخرج لنا (فكرة) وهي قصة أدبية فنية تصف مناظر بلادنا الطبيعية وتعالج أمراضنا الاجتماعية ، وقد وفق فيها توفيقاً لم يحرزه أحد غيره ، بل إن غيره لم يرجع من محاولته إلا بالفشل ، فقد فشلت قصة (البعث) في كل شيء ، ومن أولياته أيضاً إخراج مؤلفه الأخير (تاريخ مكة) فقد أرخ

فيه مكة منذ أوجدها الله إلى العصر الذي نعيش فيه بحسب ما تيسر له من معلومات واطلاع .

وبهذا المؤلف يخط السباعي سطر الخلود لنفسه ، إذ أن كتابه يعتبر من أجمل المراجع ومن أوفى الكتب التي تتحدث عن مكة بأسلوب مشرق ، فهو يتحدث عن تاريخها وأمرائها وحالتها السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية .. وهو في كل ذلك يلاحظ ملاحظات صائبة وأخرى قريبة من الصواب في غير حشو ولا إسهاب ، وإنما يتلمس مواقع العبرة والفائدة .. فإذا قلت أنه من أجمل المراجع التاريخية ، فما ذلك إلا أن القاريء يجد بجانب ما يجده من فائدة تاريخية متعة أدبية ، فلا يشعر قاريء هذا التاريخ بملال ولا سأم حتى ينتهي من الكتاب على ضخامته ، هذا حق يجب أن نعتزف للسباعي به ونشكره عليه ، ولا يعرف مبلغ الجهد الذي بذله السباعي في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجميلة إلا من عانى متاعب البحث والاستقراء في بطون الكتب ومجلدات التاريخ ليخرج للناس ما يفيدهم ويوفر عليهم كثيراً من عناء البحث والتنقيب .

• • •

أما المآخذ التي سوف أتحدث عنها فهي لا تحط من قيمة الكتاب في شيء . لقد قرأت كتاب السباعي من ألفه إلى يائه

قراءة المعجب المستفيد من ناحية ، وقراءة الناقد الذي يتلمس الإصابة والخطأ من ناحية أخرى .

فوجدت بعض المآخذ التي لا تقلل من جهد السباعي ولا تقلل من جمال كتابه وإنما هي مأخذ تتعلق بالرأي واختلاف وجهات النظر ، وإن العمل الكامل المبرء من النقص ، المتزه من العيوب ، لم يظفر به أحد من الكتاب والأدباء ، وكذلك لم يظفر به أحد من غير الكتاب والأدباء ، وكلنا ينشد الكمال ، ولكن النقص يأتي أن يفارقنا أو يتخلى عنا .

١ - ومن الأشياء التي نأخذها على السباعي في كتابه قوله في (ص ٣٧) «ولست أرى في أمر عثمان ما يدعو إلى شدة الغرابة فقد كان رحمه الله سمحاً كريماً لين الجانب» إلى آخر ما قال السباعي . فهو يرد ما حدث من الفتنة في زمن عثمان إلى رد الفعل الذي أحدثته أخلاق عثمان بالنسبة إلى أخلاق عمر ، ونحن لا ننكر أن عثمان رضي الله عنه كان سمحاً كريماً ، وأن عمر رضي الله عنه كان حازماً شديداً في الحق ، ولكن ما كانت السماحة ولا كان الكرم ، ولن يكونا أبداً سبباً من أسباب الفتنة ، أو باعثاً على الاضطراب والثورة .

ولكن الأسباب كانت - كما لا يخفي على السباعي وعلى غير السباعي - هو تسلط الحاشية التي لم تكن تستحق التسلط ، أو بعبارة أخرى لم تستحق أن يثق بها الخليفة في أمور

الدولة ، فتسلط الحاشية على الأمة ، واستبدادها بالسلطان ، ثم إيشار أقرباء عثمان بالوظائف الرئيسية في الدولة واستثمارهم بالأموال الوفيرة حتى أثروا إثراء فاحشاً ، وتحكيم ذوي القرابة في مقدرات الأمة ، وعدم الاصغاء إلى مشورة أهل الرأي والسابقة في الاسلام مع وجود الكثيرين منهم على مقربة من الخليفة ، والحيلولة بين الخليفة وبين الشاكين والمظلّمين ، أدى كل ذلك إلى اختلال الموازين ، وهضمت حقوق الضعفاء ، ونجمت في الأمة طبقة المثّرين بثناء مفاجيء وفي نفس الوقت كان هذا الثراء المفاجيء ثراء فاحشاً لم يتدرج مع الزمن أو يتفق مع العمل والجهد مما أحفظ النفوس وأثارها ، ووجد في المجتمع حينئذ من يشعل النار في الهشيم ، فاندلعت نيران الثورة حتى أودت بحياة الخليفة الصالح الكريم المتسامح . نعم لم يريح المسلمون من هذه الثورة شيئاً بل خسروا خسارة ما تزال آثارها باقية في المجتمعات الإسلامية إلى اليوم ، ولكن هذه الخسارة من كان مسببها ؟ هذه هي المسألة التي كنا نود من السباعي أن يتحدث عنها لا أن يتحدث لنا عن رد الفعل الذي أحدثه الانتقال من أخلاق عمر إلى أخلاق عثمان .

٢ - ويقول السباعي في (ص ٥٧) : « إذا فلا بد من عامل كان له أثره في امتناع ابن الزبير ولا استبعاد أن يكون

ذلك هو خوفه من الخدعة « إلى آخر ما قال السباعي وهذا كلام جميل فلقد تحرز ابن الزبير لنفسه ، إلا أننا نتساءل هنا هل كان الحصين في جيشه وقد مات الخليفة بالشام أقوى من ابن الزبير وهو في خلافته وبين ذويه وجنده في الحجاز ؟ لم يبين لنا السباعي ذلك ، وكيف يسوغ لابن الزبير أن يفلت الحصين بن نمير من قبضته ؟ ولماذا تركه ينصرف إلى الشام ؟ ألا ترى أنها غلطة سياسية ارتكبها ابن الزبير ؟! وهذا على الأقل ما نفهمه لأن السباعي لم يرنا المسوغات التي تركت ابن الزبير يترك الحصين يعود إلى الشام في أمن وسلام بعد موت يزيد وانكشاف ظهره ، وسقوط حجته ، أو أن الحصين وعد ابن الزبير وعداً أغراه به على تركه ثم بعد انفلاته منه لم يف له بما وعد ، هذه نقطة كنا نود من الأستاذ السباعي أن يوفينا شرحاً وإيضاحاً ، ولكنه لم يفعل ، لأن الحصين لو كان في قوة من جنده لما انصرف عن ابن الزبير حتى يخضعه - ولو مات الخليفة - فإن موت الخليفة لا يوتر شيئاً ما دام له عقب يخلفه .

٣ - ويسمي السباعي في كتابه (ص ٧٠) ما يبدو من شبان مكة وبعض علمائها من نقد لبني أمية « نزوات » وما كان سعيد بن جبير رحمه الله من ذوي النزوات ولا كان شباب مكة الذين يتذاكرون مساويء بني أمية وينقدونهم عليها في ظل الكعبة من أهل النزوات ، وليست ظلال الكعبة

مرتعا للتروات ، وكان الأخرى بالسباعي أن يقول : إن بني أمية ارتكبوا من المظالم والمآثم ما جعل بعض الشباب المستنير الواعي وبعض العلماء الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم يتفقدونهم وينكرون عليهم أعمالهم ويذكرون مساويء بني أمية لعلهم يرجعون عنها ويسلكون طريقا أليق بالحكام والأمراء أن يسلكوها ، وهم موضع الأسوة والقدوة وفي يدهم القوة والسلطان .

٤ - وعفا الله عن السباعي فإنه يسمى موجة الظرف والمرح التي لم يبق لأهل الحجاز سواها يفرجون بها عن أنفسهم التي نالها الغبن والخسف من الأمويين « لوثة » (ص ٧٢ ، ٧٣) . وهل الظرف والمرح لوثة ؟ إن من يلجأ إلى الابتسام في وقت الشدة ليس ملتائنا ولكنه يدل على أنه قوي لا يدع لقسوة الحياة وأضرارها فرصة لتحطيمه ولكنه يقابلها بالمرح والفكاهة ، والانكباب على الفنون الجميلة ومنها الشعر ، والغناء ، والموسيقى ليبقى على عزمه وعزيمته في مقابلة الحياة والثبات لتصرفات الأقدار ، ولقد خدم الحجازيون بذلك جانبا من جوانب الحضارة الإسلامية فقدموا لها ثروة فنية من شعرهم وغنائهم وموسيقاهم ما زالت آثارها باقية إلى اليوم ، فهل ترى ذلك لوثة يا أستاذ سباعي ؟

٥ - ويقول السباعي في (ص ٧٣) : « وكان كثير من النساء يخرجن سافرات الوجوه ويطفنن بالبيت في غير نقاب . » ويدل هذا الكلام على أن النساء لم يخرجن سافرات إلا في ذلك العصر فهلا قال : وكانت عادة النساء في ذلك العهد على ما كانت عليه قبله فكن يخرجن سافرات ويطفنن بالكعبة في غير نقاب ، لأن الحجاب أي ستروجه المرأة لم يحدث إلا في عصور متأخرة ، أما الدين وعادة العرب وتقاليدهم قبل الدين لم تعرف لوجه المرأة حجاباً ، بل أن الدين يجعل من تمام إحرام المرأة وهي تؤدي نسك الحج أو العمرة كشف وجهها ، ولم يحدثنا السباعي أن المرأة كانت تستر وجهها في عصر سابق للعصر الذي يتحدث عنه * .

٦ - ويتحدث السباعي في (ص ١٠٧) تحت عنوان (ثورة الزنج) عن الثائر العلوي علي بن أحمد ولم يتحدث عن ثورة الزنج ، ونحن نعلم أن الذي يهم السباعي في كتابه كل ما يتصل بمكة ، ولكن لماذا يعنون حديثه بثورة الزنج ؟ فهل كانت ثورة الزنج بقيادة الثائر العلوي علي بن أحمد ؟

٧ - وفي نفس الصفحة يتحدث السباعي عن حملة ابن طولون التي أرسلها من مصر إلى مكة فيقول فوافوها في أواخر ذي القعدة وقسموا الأموال ، ولم يبين أموال ماذا ؟ ومن قسمها ؟ وعلى من قسّمت ؟ أعلى أهل مكة ؟ وكيف اتصلوا بهم ولم يحتلوها ؟ .

٨ - ويقول في (ص ١٠٨) : « وفي سنة ٢٧٠ تولى أمر مكة محمد ابن الساج وفي سنة ٢٧١ يوسف ابن الساج » ولم يبين لنا من كانت توليتهما لمكة ؟ وإن كان أمر توليتهما معروف عند من قرأ السباعي وغير السباعي ، ولكن على السباعي أن يفيد قارئه .

٩ - للسباعي أن يتحرج عندما ينقل أخبار القرامطة ففي (ص ١١٣) يقول : « وجماع القول فأني لا أجزم بشيء من مبادئهم دون أن أطلع على ما كتبوه بأيديهم » إلى آخر ما قال : وجميل من السباعي أن يتحرى الحقائق على أن يضطرد هذا التحري في كل ما يعترضه من أخبار ، وبهذه المناسبة أذكر أنني قرأت عن القرامطة أنهم يدينون بمذهب اجتماعي لا دخل للدين فيه ، فهم لا يلزمون أنفسهم بدين الإسلام ولا غيره من الأديان ، وكل ما يهمهم أن يحققوا في البلاد التي تدين بحكمهم مذهبهم الاجتماعي ، الذي يرتكبون ما يرتكبون من الفظائع لتحقيقه في مجتمعهم ، ومن أراد أن يعلم شيئاً عن مذهبهم فليقرأه في مظانه ، وقد كتب ناصر خسرو في رحلته شيئاً عنهم ، وقال فيما قال أنه وجدهم لا يقيمون الصلاة ولا يؤذنون لها ، ولكنهم لا يمنعون المصلين .

١٠ - وفي (ص ١٥٧) يسوق السباعي قصة راجح والحسن ابني قتادة . فيقول في آخر الصفحة : « ونهب عسكر الملك مسعود بيوت مكة وجردوا المدنيين من ثيابهم وأموالهم

ونبشوا قبر قتادة وأحرقوا تابوته فلم يجدوا الجثة في القبر
 فعلم الناس أن الحسن دفن أباه خفية في مكان سري ، وسباق
 الحديث يجعلنا نقف هنا وقفة قصيرة فإن راجح بن قتادة
 استعان بصاحب اليمن للأخذ بثأر أبيه قتادة لأن قتادة
 أبو راجح وأبو حسن ، وحسن هو الذي قتل أباه
 وراجح هو الذي استعان بصاحب اليمن على أخيه الذي
 يعتبر مجرمًا إن صح أنه قتل أباه قتادة ، وقد انتصر
 راجح بجيش المسعود على أخيه حسن ، وطرده
 من مكة ، فكيف ينبش قبر أبيه ؟ وإن قلنا أن المسعود هو
 الذي نبش القبر وليس راجحاً فمن غير المعقول أن لا يجامل
 المسعود رجلاً استنصر به فنصره ، ثم يوجه هذه الإهانة
 الكبرى لأبيه المقتول ظلماً وبغياً من ابنه الحسن ، ثم يقول
 وأحرقوا تابوته وليس من عادة أهل الحجاز وضع موتاهم
 في توابيت كما يفعل قدماء المصريين في القديم وكما يفعل
 الغربيون حديثاً ، فالحكاية هذه إما أن تكون مختلقة من
 أساسها أو تكون ناقصة ، ولماذا يتحرى السباعي في خبر
 القرامطة ولا يبيح لنفسه أن يحكم عليهم إلا بعد أن يرى
 بنفسه ما كتبوه بأيديهم عن مذهبهم ، ولا يتحرى في نقل
 مثل هذه الرواية أو يعلق عليها بكلمة تدل على رأيه فيها ؟
 ثم ألا تكون مثل هذه الحكاية دعاية سيئة من دعايات
 العباسيين ضد الأيوبيين من جهة ، وضد الأشراف من جهة

أخرى لمالأتهم للأيوبيين ؟ ثم كيف ينسب السباعي الأمن والرخاء للمسعود الذي ينقل عنه ما يقال عن فسقه واستهتاره ؟ ولا ينسب الأمن والرخاء لراجح الذي ولاه المسعود أميراً على البادية وصار سلطانه عليها سلطاناً مباشراً ؟ ثم كيف يكون المسعود سكران في قبة زمزم وجنوده يضربون أعقاب الحجاج في المسعى لثلاثين يوماً سيدهم النائم سكرراً في قبة زمزم ، وهو في نفس الوقت يسهل للحجاج أمورهم ، ويرعى مصالحهم ، ويرأف بهم ويرفع عنهم ما يأخذه سدنة الكعبة ويعوض سدنة الكعبة من ماله ؟ إن من تكون من صفاته الرحمة بالحجاج والرفقة بهم كيف يكون من صفاته الأغضاء عن جنده وهم يضربون أعقاب الحجاج حتى تدمى ، وكيف يبيح لنفسه النوم في المسجد الحرام وهو سكران استهواراً بالدين وبقبله المسلمين ؟ ، وكيف يبيح لنفسه سفك الدماء في أرض الحرم وفعل المحرمات ؟؟ ألا تحتاج هذه الحكايات إلى تمحيص ؟ يا أستاذ سباعي ؟ أو على الأقل تعليق يبين لنا رأيك فيها ؟ كما أمنت لنا عن رأيك في القرامطة ؟ .

١١ - ويقول السباعي في (ص ١٨٢) عند قصة حميضة وأبي الغيث : « ونقل حميضة أخاه أبا الغيث إلى داره ثم استدعى إخوانه للضيافة فلما حضروا قدم لهم أخاهم مطبوخاً في جفنة بعد أن جعل على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في أيديهما السيوف فأذعنوا له » ولم يأخذ السباعي

الشك في صحة هذه الرواية على ما فيها من وحشية تنتزه عنها الوحوش إن كان للوحوش أن تنتزه عن شيء .

وعجيب من السباعي أن يتورع عن كل ما ذكر عن القرامطة فلا يأخذه مأخذ اليقين ، ثم يأخذ هذه الحكايات التي تروى عن قسوة أشراف مكة ووحشيتهم دون تمحيص ، أو دون أن يشك ولوقليلا في صحة هذه الروايات ، وإذا كان للقرامطة اصدقاء يسيئون سمعتهم بالحق أو بالباطل فهل سلم الأشراف من الأصدقاء ؟ لماذا لا تكون هذه الأفاصيص وأمثالها من نسيج الممالك - أصدقاء حميضة وإخوانه - لأساءة سمعتهم عند المسلمين ؟ ليتسنى لهم - أي للممالك - إبعاد الأشراف والإستيلاء على مكة . نعم إن كل المراجع التي نقل عنها السباعي تروي هذه الحكاية ، وكذلك كل الذين تحدثوا عن القرامطة يتهمونهم بالقسوة والفجور والاستهتار بمعتقدات من بناوئهم ، ومع ذلك فإن السباعي شك في كل ما يذكر عن القرامطة ، ولم يشك في كل ما ذكر عن الأشراف وهذا غريب ، ولو لم يشك السباعي - متحريرا - الصحة في أخبار القرامطة لما أخذنا عليه ما نقله عن الأشراف بدون أن يشك وبدون أن يعلق ولو بكلمة واحدة .

أما رأي في هذه الحكاية فأنا أستبعد أن الفظاعة والوحشية تبلغان بالأشراف هذا المبلغ . قد يؤدي الحقد والغضب

والتناحر على الإمارة أو الملك إلى أن يقتل الابن إبنه ،
والإبن أباه ، والأخ إخوانه ، ولكن لا يلبث القاتل أن
يستشعر الندم ، وربما قتله وخز الضمير قتلاً بطيئاً بعد
سكون الغضب ، وقد يرى القاتل أنه ارتكب جرماً شنيعاً
بعد ارتكابه جريمة القتل لإشفاء غليله ، ولكن أي إنسان
مهما بلغت به القسوة بعد أن يشفي غليله من مناوئيه بقتلهم -
لا تؤدي به القسوة إلى طبخهم وتقديمهم لإخوانه في جفنه ،
ومن هذا الذي يقتله ويطبخه ؟ إنه أخوه .

هل انتزعت من قلبه الرحمة ؟ وهل تجرد من كل صفات
الإنسانية حتى يؤدي به الحمق إلى طبخ أخيه ؟ لا أظن . وإن
لم يكن لدي مرجع يسندني فيما ذهبت إليه . فإني لا أسمع
لنفسى أن أصدق مثل هذه القصة الفظيعة تصديقاً جازماً دون
أن يتطرق إلى الشك والارتياب الشديدين في صحتها .
وبالأخص إذا عرفنا أن تاريخنا علق به من المفتريات
والأكاذيب الشيء الكثير ، فمن مدح يؤدي إلى تقديس
المدحوح حتى لكأنه من الملائكة إلى ذم يؤدي إلى تجريد
المدوم من كل معاني الإنسانية حتى يلحقه بالوحوش
الكاسرة ، هذه الآفة التي علقت بتاريخنا حتى أفسدته تجعلنا
نشك كثيراً فيما ينقل إلينا من مدح مفرط ، وذم مجحف
وتدعنا نقف وقفة طويلة لكل خبر ينقل إلينا حتى نمحصه
تحصيماً يجعله قريباً من المعقول ، وذلك ما فطن إليه علماء

التاريخ حديثاً وأخذوا به ، ولعل المستقبل القريب يظهر لنا صفحات مصفاة من الشوائب والأدران التي علقت بتاريخ هذه الأمة التي لعبت بعقولها الأهواء والأغراض وحملتها الدعايات المغرضة على تصديق ما لم يصدق ، والإيمان بما لم يقع .

١٢ - كلما جاء ذكر (لأبناء الحارة) في كتاب السباعي يسميهم السوقة ، وهذه التسمية كانت تستعمل قديماً وقد تكون سائغة في زمن غير زمننا . . . لقد مضى الزمن الذي يُحتقر فيه الجمهور وسواد الأمة . ونحن الآن نعيش في زمن يسمى هؤلاء الناس الجمهور ، أو سواد الشعب ولو قال السباعي جمهور الحارين لكان خيراً من التعبير القديم الذي أكل عليه الدهر وشرب ولم يعد يستسيغه الذوق في العصر الذي نعيش فيه ، لأنه عصر المساواة .

١٣ - وهذه حادثة قصها السباعي في (ص ٣٣٧ ، ٣٧٨) تحت عنوان (فتنة في جدة في عهد نامق) ملخصها أن أحد أهالي جدة كان له مركبا في البحر وكان يرفع على ساريته علما انجليزيا ثم استغنى عن هذا العلم ورفع علماً عثمانياً وهو علم حكومته التي يتمثل فيها عز الاسلام ومجده فاندفع القنصل الانجليزي إلى المركب وأنزل العلم العثماني وأهانته وأعاد العلم الانجليزي فثار الناس على هذا التصرف وذهبوا إلى القنصل وقتلوه في ثورتهم ، وتشكلت لجنة لفحص

هذا الحادث وحكمت باعدام أربعة عشر شخصاً ، ونفى عدة أشخاص من البلاد . هذا ملخص القصة ولا مأخذ لنا على السباعي في سردها، وإنما هي قصة مأساة دامية لما وصلت إليه حالة المسلمين . إن هؤلاء إن ثاروا فما ثاروا إلا دفاعاً عن الدولة التي يدينون لها وكبر عليهم أن يهان علمها الذي يظلل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي أثار النفوس إنما هو القنصل الانجليزي بتصرفه الأرعن ومخالفته للأصول الدبلوماسية المرعية في السلك السياسي ، فتأتي الدولة التي ثار الناس لأجلها وتحكم على المدافعين عن علمها بالاعدام والنفي ، ألا يرى القاريء أن هؤلاء شهداء قتلوا ظلماً وعدواناً ، وذهبوا ضحية المجاملات السياسية . أستغفر الله بل ذهبوا ضحية الضعف الذي أصاب المسلمين وجعلهم يخشون الناس أكثر خشية من الله ، إنها مأساة، ورحم الله الشهداء وفي سبيل الله ما يلقي الأحرار، وسوف لا يفلت الظالمون من العقاب الأليم جزاء استهتارهم بأرواح الأبرياء ودمائهم ، وتقديم الغيورين - ترضية - إلى مذبح الضعف والخور ، وأنها وايم الله لو صمة في صفحة الدولة العثمانية وجريمة ارتكبتها في حق جيران بيت الله لإرضاء الانجليز . وما كان للدولة العثمانية أن تنهار ذلك الانهيار المشين إلا لارتكابها مثل هذا الجرم الشنيع وأمثاله في هذه البلاد وفي غيرها من بلاد المسلمين ، ولله عاقبة الأمور .

١٤ - وقال السباعي في (ص ٣٩٣) «في سنة ١٣١٨ قسم
عون طوافة بلاد مصر وجاوة والهند والغرب وبلاد الأناضول
وغيرها أقساماً» - يقصد تقارير - والصحيح أن تقسيم بلاد
الأناضول وبعض بلاد التركستان وبعض بلاد الهند كان سابقاً
لزمان الشريف عون ، وقد تبع عون في تقاريره التي أصدرها
سنن من قبله من الأشراف - كما تدل على ذلك بعض التقارير
القديمة - والعجيب أن كثيراً أو قل إن كل تقارير الشريف
عون قد أبطلت أو بلغة المطوفين قد أصبحت مشاعة ، بينما
تقارير من قبله باقية على حالها ، ويؤسفنا أن نقول : إن
الحكومة اتبعت سنن الأشراف في هذه المسألة ، وحبذا لو
وفقها الله لإلغاء التقارير ، لأنها من مخلفات العصور
المظلمة ، وقد أصبحت نفوس الحجاج لا تتحمل ذلك ،
كما أن نظام التقارير نظام يجحف بحقوق مطوفي السؤال إذ
أن أهل التقارير يشاركون مطوفي السؤال في البلاد المشاعة ،
ويقومون العقبات والعراقيل في سبيل من يضرب في الآفاق
من مطوفي السؤال لطلب الرزق ، حتى إذا ما وفق أحدهم
ونجحت دعايته وسأل عنه بعض حجاج التقارير يقاضيه
صاحب التقرير ويأخذ منه المصلحة بينما يكون لدى صاحب
التقرير من الحجاج عدد وافر ، يجعله في غير حاجة إلى من
ذهبوا لصاحب السؤال ، وقد يكون صاحب السؤال لا يملك
إلا هذه المصلحة لتقويم أوده وأود عياله ، فيأخذها منه
ويتركه ليد الجوع والحرمان بقوة النظام .

إن بقاء التقارير يتنافى مع ما تجب أن تكون عليه العدالة في بلادنا، وهي وصمة خلقتها لنا أجيال الظلام والقوضى . وقد آن الأوان لأبطالها ، فحبذا لو يتنبه ولاة الأمور لذلك ويمسحوا عن جبين بلادنا هذه اللطخة السوداء .

١٥ - يقول السباعي في (ص ٤١٣) عند ذكر المدرسة الصولتية: «إن الشيخ محمد سليم ابن الشيخ رحمة الله». والذي أعرفه أن الشيخ محمد سليم ابن الشيخ محمد سعيد ، والشيخ محمد سعيد رحمه الله ويرد مضجعه ابن بنت الشيخ رحمة الله . رحم الله الجميع وأسبغ عليهما من شآبيب الرحمة والرضوان ما يستحقانه كفاء ما قدموا لهذا البلد الطيب من خدمات خالدة مشكورة ، ومد الله في عمر الشيخ سليم مدير المدرسة الصولتية الحالي وجعله خير خلف لخير سلف وأجرى على يديه من الخير لخدمة حرم الله ما أجرى من الخير على أيدي أسلافه العظام الذين أنشأوا أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة ، وزودوا الدوائر الحكومية في الحجاز وفي الشرق الأقصى بالعلماء والفقهاء والقضاة والمعلمين ، وما زالت مدرستهم قائمة تشيع النور منذ تسعين سنة معتمدة على الله وعلى جهود القائمين بها والمنفقين عليها ابتغاء وجه الله وبعث النور لهداية السالكين .

هذا ما عن لي أن أتحدث به تعليقا على هذا الكتاب الفذ في نوعه كتاب (تاريخ مكة) وعسى أن لا

يضيق الأستاذ الصديق أحمد سباعي بهذه المآخذ ، فقد جرتني أسلوبه الممتع الشائق ، وشجون حديثه عن تاريخ بلادنا لمناقشته ، وإنني أشكره حيث أتاح لي بكتابة كتابه هذه التعليقات وإنني أغبطه على ما قدم من جهد يستحق به الخلود ، ويفتصب به الاعجاب من القارئ المخلصين الذين يقومون الأشياء بقيمتها الصحيحة ، ولا يبغسون الناس أشياءهم . والله لا يضيع أجر المحسنين .

★ هذه وجهة نظر المؤلف ، والثابت من الاسلام أن حجاب الوجه واجب ، وليس هنا مجال تحقيق المسألة ، ومن ناحية الحس والعقل فالوجه سفير الفتنة ، بل هو الجانب الساحر المثير في المرأة .

(أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري)

مسرحيات

الأستاذ عبد الله عبد الحبار

إن القصة والمسرحية بالمعنى المفهوم حديثاً ، دخيلتان على الأدب العربي ، وناشئتان فيه ، ولما تبلغا حد الكمال كما بلغناه ، في الأدب الغربي ، ولكن بعض الناغبين من أدباء العروبة قد قاربوا حد الكمال ، فيما أخرجوه من قصص ومسرحيات ، وسوف لا يمضي طويل وقت حتى تقف القصة العربية والمسرحية العربية في صف القصة والمسرحية الغربيتين . ذلك لأن عشاق هذين اللونين من أدباء العرب الموهوبين جادون في الوصول بهما إلى تلك الغاية ، وكل من سار على الدرب وصل . والقصة والمسرحية العربيتان ولو أنهما لما تبلغا حد الكمال ، إلا أنهما قد أثرتا تأثيراً بيناً في مجتمعنا بالنظر إلى ما يعالجانه من مشكلات أدبية ونفسية واجتماعية ، فقد لمست بعض القصص والمسرحيات مواضع حساسة في مجتمعاتنا مما جعل الشعور يستيقظ ويحس بما يعوزنا من أدوات الإصلاح ، ووعي الجماهير تفتح للمطالبة بما له من حقوق ، ولو كانت الأقلام التي تدار لكتابة القصص الجنسي البائر والذي يتملق الغرائز في الشباب على

حساب الأدب ، أدبرت في شد أزر الكتاب الذين يكتبون ليرتفعوا بأدبنا العربي ، ويصلوا به إلى أداء رسالته كاملة غير منقوصة ، لسارع أدبنا في خطوه إلى ما يريد ولكنهم مع الأسف الشديد ضاعفوا بكتابتهم العقبات التي يجب أن يجتازها الأدب العربي الصحيح حتى يصل إلى هدفه المنشود . نعم أن هناك مآسي ومشاكل جنسية يجب أن تعالج بأسلوب القصة ، ولكن ليس بالطريقة التي تفرضها دور الصحف التي لا يهتمها إلا ترويج صحفها ولو بدغدغة الغرائز الجنسية في جمهور القراء .

* * *

وعلى كل فان الأدب العربي سائر في طريقه إلى بلوغ القمة في جميع الألوان الأدبية الحديثة وسينقئ منه الخبث . والنهضة الأدبية شملت الآن جميع أقطار العرب . وتفاوتت درجة هذه النهضة بقدر تفاوت المجتمعات العربية في اليقظة ، وبقدر تفاوتها في العلم والمعرفة ، وبقدر تفاوتها في الحمود والتطور ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه ، هو أن اليقظة مستهزم النوم ، والعلم سيهزم الجهل ، والتطور سيهزم الحمود والتعصب ، ويتوقف ذلك على مبلغ ما في المجتمعات العربية المختلفة من عناصر العزيمة والاستعداد للسير في مواكب الأحياء .

ومما لا شك فيه أيضاً أن بلادنا متأخرة جداً في أدب القصة وهي لم تحاول أن تسهم في أدب المسرحية محاولة جدية ، حتى جاء الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، وقد عرفت البيئات الأدبية في العالم العربي الأستاذ عبد الله عبد الجبار معرفة يكملها الإكبار والإعجاب ، ويوشىها الحب والاحترام . يقول عنه الأستاذ محمد ناجي رئيس رابطة الأدب الحديث : « هو كاتب وأديب متميز السمات والملامح واضح الشخصية في أدبه قوي الشعور بعزة الأدب ، وكرامة الأديب في الحياة (١) » .

ويقول الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة : « والأستاذ عبد الله عبد الجبار من كتابنا المؤمنين بالتطور ، ويوجب مساهمة المجتمع والناس لأفكار الحضارة ، وبالواقعية الحلوة في الأدب . وهو يبشر بمثالية جديدة في مسرحياته الجميلة » (٢) .

ولو أردت أن أنقل انطباعات الأدباء والمفكرين التي تركتها شخصية الأستاذ عبد الله عبد الجبار في نفوسهم وأذهانهم لأطلت كثيراً . أما بلادنا فعرفته مريباً فاضلاً ، وأديباً ممتازاً ، وعالماً مخلصاً ، ومفكراً حراً . ذلك هو عبد الله عبد الجبار .

(١) راجع مقدمة الشياطين الحرس (ص ٥) .

(٢) راجع المقدمة الثانية للشياطين الحرس (ص ٢٤) .

لقد قرأت للأستاذ عبد الله عبد الجبار كثيراً من نتاجه الأدبي في صورة مقالة ، وفي صورة بحوث علمية مختلفة ، وفي مقطوعات شعرية لما تنشر بعد . وهو يسلك فيها مسلك المدارس الجديدة في الشعر ، وأخيراً قرأت له قصته الأولى (أمي) وهي مأساة ما قرأها أحد إلا ذرف الدمع من التأثر . وإن كاتباً يستطيع أن يذرف دموع قرائه لكاتب قدير ممتاز .

وقد قال الأستاذ محمد علي الحوماني الشاعر العربي الجهمير ما معناه : « لم يبكي فيما قرأت من قصص بالعربية سوى ثلاث روايات ، مجدولين ترجمة المنفلوطي ، وآلام فورتر ترجمة الزيات ، وأمي تأليف عبد الله عبد الجبار » .

ثم قرأت له قصته الثانية (العم سحتوت) التي يعالج بها البخل والكراسة في بعض النفوس الآدمية القذرة ، تلك النفوس التي لا تستشعر الرحمة ؟ ولا تحس بالآلام الآخرين ، وتمتص المجتمعات التي تعيش فيها ، كما تمتص الدماء النقية في الجسم ، وتحيلها إلى عفن وسموم غير حافلة بشيء سوى جمع المال ، والمال فقط . ولكن الأستاذ عبد الله يرينا نهاية أمثال هؤلاء ويرينا مصيرهم السيء الذي يتردون فيه ، وكيف تحل بهم اللعنة التي يستحقونها لتتجسم العبرة في أعين الذين لا يعتبرون ، وإن كنت آخذ على الأستاذ

عبد الله شيئاً في هذه القصة فإني أؤاخذه على أنه لم يرنا
مصير الذين يقيمون العقوبة بإسم العدالة على البائسين ، ولم
يعرفوا من العدالة روحها . فإنهم في نظري هم الذين يمكنون
لهذه الدمامل الانتشار حتى تقضي على كيان المجتمع الذين
يعيشون فيه ، وهؤلاء لا يقلون جناية على المجتمع من
البُغضاء أمثال (العم سحتوت) .

ثم إن الأستاذ عبد الله من الأدباء الغير على سمعة بلادنا
الأدبية ، وهو يعمل جاهداً بعزيمة وإيمان المؤمن بوطنه ،
الواثق بالروح الحجازي الوثاب فعز عليه أن لا يكون لادبنا
أسهام في اللون المسرحي الذي يلامس الحياة في الصميم .
وقد تأثرت نفسه تأثراً عميقاً لهذا التخلف المزري ، فاندفع
تحت تأثير هذا المؤثر القوي الفعال ، وأدار قلمه للكتابة ،
وأخرج لنا مسرحيته الشياطين الحرس في جرأة وحماسة
لم يكن ليقدم عليهما إلا من كان من أمثال الأستاذ عبد الله
المعتد بكرامة القلم ، وبما يجب أن يسطره القلم ليكون
جديراً ومعنياً بالقسم الإلهي المقدس في قوله تعالى (ن . والقلم
وما يسطرون) .

إنها جرأة تكبر الأستاذ عبد الله عليها ونهته بها ، وقد تأثر
الأستاذ محمد حسن عواد بهذه الجرأة بعد قراءته المسرحية
وانفعل انفعالا شديداً ، وطلب أن يقدم هذه المسرحية ، ولم
يمنع الأستاذ عبد الله - طبعاً - في ذلك .

وهكذا هو الأدب الحي سرعان ما تتفاعل به النفوس ،
وسرعان ما تنضم لبعض في إيمان وأمانة لحمل رسالة الأدب
الصحيح ، ولا يلبث المجتمع أن يتفاعل مع الأدباء وينفعل
بأدبهم .

لقد عالج الأستاذ عبد الله في مسرحيته مهزلة الرجعية
والتعصب والملق والرياء والضعف ، والخور ، والتفاهة
والهزال التي تمثل في مسرح من مسارح الحياة العربية .
وأرانا كيف تطفئ كتل الظلام على الأضواء المتلألئة حتى
تهزمها ، ومن هنا نعرف معنى كلمة الاهداء التي صدر بها
الأستاذ عبد الله مسرحيته هذه إذ يقول « إلى الذين يعيشهم
الضياء. ولا يطيقون إلا العيش في الظلام أهدي هذه المسرحية »

ومن الغريب أننا نرى هذه المهزلة تمثل على المسرح كل
يوم ولا يسأم منها الناس ولا يملونها ولا يطلبون تجديدها
بمسرحية أخرى ، فمتى تتصافر عندنا الأضواء حتى تقضي
على الظلام وخفافيشه ؟ .

وأخيراً إن الحق والانصاف يقتضياننا أن نصفق له
تصفيقاً حاداً اظهاراً لشعورنا نحوه ، ولا يملك النقد الأدبي
في (المرصاد) إلا أن يعتده رائداً جريئاً موفقاً ، ويستحنه
على مواصلة كتابة المسرحيات الحقة ، فانه - إلى الآن - أقدر
كتابنا على معالجة هذا اللون المسرحي الجريء وهو خليق
بجمل هذا العبء الثقيل الذي يعمل له المخلصون جادين

ليصلوا به إلى المكاثة الجديرة به بين آداب الأمم الحية
السائرة على الطريق القويم .

صدقني أيها القاريء إني تلمست نقاط الضعف في
المسرحية لأنقدها . . تلمستها في عنصر الفكاهة فوجدته أبرز
ما فيها ، وأخيرا وجدتها . أتدري أيها القاريء فيم وجدتها ؟
وجدتها في (الرز الياباني) ولم أعرف أنا ولا أنت ولا هم
في بلادنا (رزا ييانا) ولا أدري من أين أتى بها الأستاذ
عبد الله ؟ اللهم إلا إن أراد به (الزر بيان) والزر بيان أكلة
هندية . تعودها الحجازيون في حفلات العرس ، ولعل
(الزر بيان) قد صحفت إلى يابان - والذي صحفها صفاف
الحروف ولم يتنبه لها الأستاذ عبد الله عند تصحيح البروفة .
ووجدتها أيضاً في السمة التي وسم بها الأستاذ عبد الله
(ميمونا) وهي عدم نطقه بغير كلمة موافقون . موافقون .
وإذا بهذه السمة تزايله عندما يقدم له الشاي فيقول (لِمَ لم
تعطره بالنعناع يا ولد) فهو هنا يترك كلمته المرددة المكرورة
وما كان للأستاذ عبد الله أن يفعل ذلك في رجل لم ينطقه
بغير كلمة (موافقون موافقون) من أول المسرحية إلى آخرها
أما أن عنصر المرأة مفقود من المسرحية ، فذلك لأن طبيعة
هذه القصة تقتضي ذلك .

هذه المآخذ لا تعد شيئاً بالنسبة إلى المسرحية ولكني أحببت

أن أذكرها ، لأضعها أمام الأستاذ عبد الله عبد الجبار ليرى
رأيه فيها .

ولعل الأصدقاء التي تجاوزت بها النفوس من مسرحيته
هذه تكون حافزاً له على كتابة مسرحية أقوى فما أكثر
المواد الصالحة للمسرحيات في بلادنا .

ما وراء الآيات

وهذا شاب نابغ من شبان مكة المكرمة هو الأستاذ أحمد محمد جمال يخرج لنا كتابه (ما وراء الآيات) وهو ينحو فيه نحواً جديداً . فيحدثنا عن القرآن وما جاء فيه من قصص كريم ، وما في آيات القرآن البينات من تعليم وتأديب وأخذ بيد الإنسانية إلى مدارج الكمال ، الذي تهفو إليه القلوب الإنسانية الكريمة . المتطلعة إلى حياة فاضلة وعيشة مترهة من الغبن والإجحاف .

لقد شيب الاسلام دين النور ، والحق ، والجمال ، دين التزاهة ، والتبلى ، والفضيلة . هذا الدين الكريم ، الذي أخرج ملايين البشر من الظلمات إلى النور ، وحط عن ملايين من العبيد نير الطواغيت والإصنام وجعل المدينة المنورة عاصمة للدولة الفاضلة ، التي حققت - بهديته - أحلام الإنسانية ومثلها الرفيعة . هذا الدين الذي سطع بنوره الوهاج وبشمسه الضاحية على دنيا الناس . شيب - مع الأسف الشديد - بكثير من الكدورة . ورائت على سمائه الفسيحة الصافية غيوم الأطماع والشهوات ، وظلمة الظلم والطغيان ، وتضافرت

قوى أعدائه التقليديين من وثنيين ويهود ونصارى وقوى الشر من أبنائه الذين يدينون به ويعتقدونه ، ويتصدرون بين الناس بدعوى حمايته ، ويرتكبون ما يرتكبون من المآثم والحقايات باسمه وتحت ستاره . ومرت قرون وأجيال والعاقون والمارقون من أبنائه يضربون بمعاول الهدم في صرحه الشامخ المشمخر ، ولكن الصرح الاسلامي أقوى من كل المعاول ، فقد دميت أيدي الهادمين وتحطمت معاول المخربين وبنائه القوي المتين شامخ يتحدى الأجيال والقرون فراحوا يثيرون حوله الغبار بأقوالهم ، وأفعالهم ، لعلهم يصلون إلى إخفائه عن الأبصار .

ولقد تم لهم بعض ما يشتهون في حقبة طويلة من الزمن فتقلص ظله عن كثير من أركان الدنيا ، وحجبت سدود الأحقاد نسماته الفياضة بالرحمة والنور عن كثير من الناس ، وما كان لأعدائه التقليديين أن يصلوا إلى تحقيق بعض أغراضهم فيه لولا أن من أبنائه مع الأسف الشديد من صوبوا كثيراً من السهام إلى مقاتلة ، فقد تركوه وراء ظهورهم ، وعادوا إلى الجاهلية الأولى حيث القوي يأكل الضعيف والغني يستعبد الفقير ، والحاكم يستبد بالمحكوم . وكم من علماء تأولوا الآيات تأويلاً يبرأ منه الدين نزولاً على رغبة الحاكمين ، وقد انتكست بذلك مجتمعات المسلمين حتى أصبحت في مؤخرة المجتمعات الانسانية . شاع الفساد ،

وساد الظلم . وعم الجهل والمرض والفقر والقدارة في الأخلاق والمعاملات كل جيل وقبيل ، واضطهدت جموع الأحرار والمخلصين ، وأبعد النجباء والمصلحون ، وتفشيت فاشية الحكم بالهوى ، وأقيمت الحدود على الضعفاء وأعفى منها الأقوياء ، ودب وباء الطائفية ففتك بالوحدة والتآخي والمساواة والحرية وحكم على الملايين من المسلمين أن يكونوا كالألة الصماء لا تفكر ، ولا تقول ، ولا تعبر بأي أداة من أدوات التعبير ، ذلك لأن من بعض هذه الأدوات ما ينفخ فيها الشيطان ، ومنها ما يتجسم فيه الكفر الصراح . كما يفرون .

فسكت الناس وذلوا ، وماتت فيهم عناصر الحياة ، فهم أحياء كالأموات ، وانقض الاستعمار على البلاد التي لا تفكر إلا بعقل واحد ، ولا تسير إلا حيثما يراد لها أن تسير وأترعت لنا كووس الذل والهوان فشربناها حتى الثمالة .

ولكن الله لا يرضي للإنسانية بالذل السرمدي ، ولا يحب لعباده المؤمنين به أن يعيشوا محبوسين في الأقفاس مكبلين بالأغلال إلى الأبد ، فوجههم إلى كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورفدهم بموجة من الصحو والوعي واليقظة ، فقبضوا على المصاحف بأيديهم وحدثوا في آياته البينات بأبصارهم ، وأخذوا يتلمسون النور والخلاص في هديه وقامت في كل بلد إسلامي فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ،

فنفصوا كثير من الغبار الذي أضفاه على الإسلام بعض المفرضين الهدامين الذين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . وبعد أن غرقنا بطوفان من الأفكار والفلسفات والنظريات والمذاهب في الاقتصاد وفي الاجتماع تلك المذاهب والأفكار والفلسفات والنظريات التي أغرقت العالم في بحر من الدماء وحكمت عليه بالخوف والحراب ، وجعلته لا ينتهي من حرب إلا ليتهيأ لحرب أخرى أشد فتكا وأعظم تنكيلا . في هذا الوقت الذي أخذت الظلمات تلاحق بعضها بعضاً حتى كفر الناس بالخير والصلاح وعدوهما أسطورة لا يمكن أن يحققها الانسان في هذه الحلقة الداجية انبعث أضواء الفجر في كل مجتمع إنساني وقامت جماعات الأحرار والثوار والأبطال تمد الناس بأضواء القرآن المحجوبة عنهم ، وتوجه الأنظار إلى الصرح المتين الشامخ الذي حجبه الغبار ، صرح الاسلام الذي يسع البشرية بظله الوارف بعد أن ذاقت البشرية من نظرياتها وفلسفاتها ومذاهبها وأطماعها وشهواتها ما ذاقت من صنوف العذاب ، وتلك هي الأضواء الوهاجة المتألثة بأنوار الهدى الإسلامي المبين من الكتب والرسائل والمحاضرات والأحاديث التي تشرح ما في القرآن من نظم وآداب وما في آياته من عدل وعدالة وإخاء وسماحة ونظرة إنسانية رحيمة إلى البشرية أجمع لا فرق بين لون

ولون ودين ودين ، وعقيدة وعقيدة ، فالناس أمام الإسلام
سواء ، والناس في ظل الإسلام أحرار ، والناس كل في
نظر الإسلام متساوون في الحقوق والواجبات ، متساوون
في العدل والرحمة ، فلا عنف في الإسلام ، ولا خوف من
الإسلام ، ولا جمود ولا تعصب في الإسلام . ولا فرقة
ولا طائفية في الإسلام ، ولا طغيان ولا استبداد في الإسلام ،
ولا حجر على العقول والأفكار في الإسلام ، ولا حرمان
ولاجوع ولا فقر في الإسلام ، ولا عبادة لصنم في الإسلام ،
وليس في الإسلام شعوب تورث ، ولا أموال تكثر ولا
مرافق تحتكر ، ولا يقف الإسلام حجر عثرة في سبيل التطور
الانساني . ذلك هو الإسلام وكل ما يخالف ذلك فالإسلام
منه براء . ولا يكتفي الإسلام بالبراءة من المظالم والمغارم
والمفاسد والشور والظلم والطغيان والقيود والأغلال ، وإنما
يجارها أو يعود أصحابها إلى سواء السبيل . ذلك هو الإسلام .
ولست بسبيل ذكر المؤلفات القيمة التي صدرت في البلاد
الإسلامية لإزالة الغيوم عن أضواء الإسلام الوهاجة ، وإنما
أنا بسبيل البيان عن كتاب يتيم صدر في مجتمعنا ، حيث
بزغت من أكنافه أنوار الإسلام الأولى يقدمه للعالم الإسلامي
شاب من شباب مكة النابغين الغيورين على دينهم اللدابين
عن إسلامهم ، الواعين الفاهمين للآيات البيّنات . ذلك هو
كتاب (ما وراء الآيات) للأستاذ أحمد محمد جمال .

وأول قصة في هذا الكتاب . تبرئة القرآن الكريم لأحد اليهود ومنها نعلم مبلغ حرص الاسلام على تحري العدل والحرص على إقامته في الحقوق والأحكام على كل من يعيش في المجتمع الاسلامي ويستظل براية القرآن، وإن كانت عداوة اليهود للإسلام أكبر عداوة قوبل بها الاسلام في كل أدواره التاريخية . هذا هو الاسلام في عهد رسول الاسلام . وفيه درس بليغ للذين يتعجلون الحكم على المتهمين ويتعجلون تنفيذ الأحكام بمجرد قيام القرائن ضده ، فهذا اليهودي اتهم بالسرقة ، وكل القرائن قامت ضده ووجد المسروق السرقة في دار هذا اليهودي ، فحكم عليه ، ولكن الله لا يحب أن يظلم أحد ولو كان هذا الأحد يهودياً باسم الاسلام ، فالاسلام دين الحق والعدل . فأنزل الله قرآناً على نبيه تبرئة لليهودي . راجع (ص ١١ إلى ص ١٥) وتبين السارق الحقيقي الذي يستحق العقاب ، وأفلت المتهم البريء .

والقصة الثانية: قصة نزول الآية الكريمة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهذه القصة ترينا لِمَ نزلت الآية ؟ ومتى تطبق وعلى من تطبق . لا أن تتخذ هذه الآية سنداً لكل قوي ظالم يطبقها كيف أراد ، وعلى من أراد ، ومتى أراد . وتطبيق

هذه الآية على من يستحقها والحكم عليه بها في أي زمان وفي أي مكان ، لا تنكره القوانين التي تحرص على سلامة المجتمعات الإنسانية من شيوخ الاجرام وتمادي المجرمين في إجرامهم ، ولكن اندفاع بعض ذوي الهوى وراء أهوائهم وما تسوله نفوسهم وتطبيق بعض الآيات القرآنية الزاجرة على من لا يهتقها غلوا في الجبروت وعتواً عن أمر الله هو الذي جعل للإسلام تلك الصورة البغيضة الشوهاء في أذهان الجاهلين بالإسلام ، وهو الذي أغرى أعداء الاسلام على بث الدعاية السيئة للاسلام ، ولولا جهل بعض المسلمين وطغيانهم ما لصقت بالاسلام فظائعهم ووحشيتهم ، فهل للمسلمين أن يحسنوا إلى الاسلام بالاحسان إلى أنفسهم فلا يدعواها تتخذ منه ستاراً تستر به ما تركبه من فظائع وآثام؟؟

وفي (ص ١٥٦ إلى ص ١٦١) « وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ . مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ،

وَمَنْ يُضْلِلْ فَأَلْثَمَ هُمُ الْخَامِرُونَ .

ويقول الأستاذ أحمد في (ص ١٥٦) في آخر ما قص علينا مما وراء هذه الآيات البينات : « إن هذه الآيات البينات صورة لكل منسلخ من آيات الله ضل بعد اهتداء ، أو جهل بعد علم أو سفه بعد عقل ، وهم مع الأسف الآسف في زماننا كثيرون » وصدق الأستاذ أحمد فيما قال . فما أكثر ما تقع أعيننا على كثيرين ممن انسلخوا بأعمالهم وما تجترحه أيديهم عن دين الله ، ولم يبق فيهم سوى الأقوال المفتراة ، والادعاء العريض بأنهم إنما يعملون ما يعملون ، وهم على دين الله ! .

وماخذ صغير نأخذه على الأستاذ بدّر من قوله اندفاعاً وراء التعبيرات الحديثة الشائقة « أو أن بلعم بن باعوراء دون أمية بن أبي الصلت هو بطل هذه القصة أو أن أمية دون بلعم هو البطل » فتلقيب من انسلخ عن دين الله بالبطل فيه تجني على الكلمة وما تشتمل عليه من معنى وضعت للتعبير عنه ، فإن الذي ينهار أمام ملك يهدده بالصلب والقتل ويسير في ركابه ، ويختار الانسلاخ عن دين الله على الانسلاخ من هذه الحياة الثانية لا يكون بطلاً ، وإنما البطولة من صفات الذين لا ينسلخون عن دين الله ولو نشرت عظامهم بالمنشير .

وإني إذ أخذ عليه هذا التعبير من إضفاء البطولة على غير مستحقها أعلم أنه لم يرد إضفاء بطولة على بلعم ولا على أمية وأمثالهما ، ولكنه التعبير الحديث وشيوعه ، وكلمة (قصة) هي التي ساقته لأن يقول (بطل) ولكن الأستاذ أحمد هنا في كتابه هذا يحدثنا عن ما وراء آيات الله البيئات من حكم ومواعظ ، وما في القرآن من إشراف وإحكام ودقة في التعبير يقضي على الكاتب أن يتحرى الدقة ويضع الكلمات في مواضعها وبمفهومها الصحيح الذي وضعت من أجله تعبيراً وإفصاحاً عنه .

* * *

وكتاب (ما وراء الآيات) مملوء بالقصص القرآني الشائق الممتع وفي هذا القصص الشائق الممتع نور وهداية لمن حجب الله إليه الإسلام وأشربت روحه بروح القرآن القوية العالية ، ولقد أفصح الأستاذ أحمد عما وراء هذه الآيات إفصاحاً قوياً بليغاً استمد قوته وبلاغته من قوة القرآن وبلاغته .

وإني أكبر الأستاذ على مجهوده في سبيل الله والإفصاح عن إيمانه وما تنطوي عليه جوانحه من حب للقرآن وإيمان به ودعوة له .

كما أنني أشكره إذ هباً لي بكتابه هذا فرصة تغذية مشاعري

وذهني بعبر القرآن وما وراء آياته الكريمة . أكثر الله في
شبابنا من أمثالك يا أحمد ، ووقفنا وإياك لاتباع القرآن
الكريم والاهتداء بهديه وإن من أجمل ما أختتم به حديثي
عن هذا الكتاب في (مرصادي) أن أبتهل إلى الله جلت قدرته ،
وتعالت أسماؤه أن يملأ قلوبنا بأنوار القرآن ، وأن يجعله
حجة لنا ، لا حجة علينا ، وأن يكثر في البلد الذي انبثق
منه نور الإسلام شباباً من أمثال الأستاذ أحمد جمال يتخذ
من القرآن إماماً وهادياً .

٤٦ يوماً في المستشفى

إن الأستاذ محمد عمر توفيق يحمل إحساساً مرهفاً ،
أرهف من أوتار الآلات الموسيقية ، كما يحمل قلباً رقيقاً
أرق بكثير من قبلات المنافقين على أيدي المنتنعين .

ولكنه لم يترك لرقه قلبه ، ورهافة حسه أن تتنفس
التنفس الذي ينقيها ويزيدها قوة ورنينا ، إلا في المستشفى
الذي عولج فيه في بيروت .

وحيثما تركها تتنفس . أرانا رفرقة الانطلاق في التعبير ،
وقوة الأداء ، وحسن العرض ، ودقة الملاحظة .

وكنا نود من الأستاذ عمر أن يترك لثنيه حرية التنفس ،
واستنشاق الهواء الطلق ، ليحدثنا كثيراً بقلمه السيل الممتع .
نحن في حاجة إلى مثل هذا القلم الذي تحركه أنامل عمر
توفيق . كما أننا في حاجة إلى أن يحدثنا عما يشعر به من
آلام الآخرين ، ويصور لنا بريشته الرشيقة كل شيء يقع
تحت نظره ويلامس شعوره بمثل الصورة التي حدثنا بها عما
يزخر به مستشفى بيروت .

الحقيقة أنني شعرت وأنا أقرأ كتاب (٤٦ يوماً في المستشفى) بأنني كنت أشارك الأستاذ عمر إقامته في المستشفى لشدة الأسر الذي وجدته في كتابه ، فهو يسرد ألمه وفرحه ، وانقباضه وسأمه ، وكل حركة من الحركات التي كان يتأثر بها وينفعل لها ، وأكبرت ذاكرة الكاتب التي وعت كل شيء وأملته ، وكأنها تنقل من صفحة مكشوفة أمامها .

إني أهنيء الأستاذ عمر بجبر كسوره ، واندمال جروحه ، كما أهنته بباكورة مؤلفاته : (٤٦ يوماً في المستشفى) .

وأرجو أن أراك يا عزيزي عمر في مؤلف آخر لا تستغرق قراءته مني ساعة فقط ، بل تستغرق ساعات كثيرة ، ولا يقتصر تنقلي معك في غرف مستشفى بيروت وردهاته ، والطائرة التي حملتك إليها ، ومستشفى الزاهر وما نالك فيه ونال غيرك من إهمال وعدم عناية ، ولكن أحب أن أنتقل معك في أجواء أفسح ، وردهات أرحب ولا أحب أن يقتصر شعورك بالآلام الآخرين على من في المستشفى فقط ، ولكن أحب لشعورك الإنساني بالآلام الآخرين أن يمتد ، ويمتد ، حتى يسع أكبر كمية من آلام الآخرين في كل مكان لتكون إنسانيتك محلقة في أبعاد أمدائها ، وأعلا أجوائها ، فإنك خليق بذلك ، ومثلك خليق بتحية موكب النقد في (المرصاد) .

كيف كنا ؟

هذا السؤال عنوان لكتاب أصدره أخيراً الأستاذ عبد الله خطيب ، وقد قدمه الأستاذ عبد الله عبد الجبار بمقدمة شائقة ممتعة ، يرينا فيها جوانب من سجايا الخطيب ، التي تنبعث من مزاجه ، كما يتحدث فيها عن نقاد الأدب الشعبي .
وعبد الله عبد الجبار حينما يتحدث ، فإنما يتحدث بكل ما هو قيم ومفيد . بقى عبد الله خطيب فلنره في كتابه هذا .
كيف يبدو لنا ؟ .

أنه يبدو متحدثنا على سجيته ليستعيد أيام طفولته ، وماضي حياته ، ويحدثنا في غير ما تكلف أو تصنع ، ويسترسل في حديثه متنقلا فيه فيعرض علينا ما رأى ، وما عمل ، وما كان عليه المجتمع في حقبة من حياته بمكة ، وعن الشخصيات المهمة ، وعن عفرته الأطفال ، وعن الكتاب الذي كان يتعلم فيه ، دون أن يحاول ربط الحديث ببعضه ، ودون أن يقيد نفسه بقيود الكتابة الأدبية ، في سلسلة الأحاديث سلسلة متجانسة ، ولكن القاريء مع ذلك لا يضيق بالقراءة ، ولا يتبرم بالكتاب ، وإنما هو يمضي فيه مستمتعاً بالحديث

المرسل ، متشوقاً لما سيأتي بعده منتظراً مفاجأة مضحكة أو غير مضحكة يفاجئه بها المؤلف بعد كل سطر ، وبعد كل صفحة . حتى إذا ما أتم الكتاب ود لو أن الكتاب أكبر مما هو عليه . وأحب لو أن الحديث استمر أكثر من ذلك . ثم إذا فرغ قارئ الكتاب من الكتاب استولت عليه حالة من التساؤل : أحقاً كذا كنا ؟ هل كانت الحياة بالأمس أفضل من الحياة اليوم ؟ وماذا يحدث لو أننا بقينا بتلك الحالة اليوم ؟ .

وماذا حدث حينما تغيرت الحياة وتبدلت حتى صارت كما هي الآن ؟ لقد حدث شيء كثير يحس به كل إنسان ، ولكن هل رضي به إحساس الإنسان ؟ .

إن الحياة الآن لا ترضي الاخلاقيين ، ولا ترضي التقليديين ، ولا ترضي الجامدين والمتعصبين ، وكذلك لا ترضي المستنيرين ، ولا المتطورين . لأنه تطور غير سليم . إننا نحيا حياة غير طبيعية الآن ولكن من يرضى بأن تدور عجلة الزمن دورة مقلوبة لتعيدنا إلى ما كنا عليه ؟ .

يوقعك الأستاذ الخطيب في خضم من هذه الأسئلة وأمثالها بكتابه قصد إلى ذلك أم لم يقصد ، ثم لا يجيب على سؤال واحد منها ، بل يدع القارئ يجيب عليها بما يتفق مع تفكيره ، ومدى ما يطمح إليه .

وإذا نظرنا إلى إهداء الكتاب نجده يهديه إلى الذين لم
يجرفهم التيار . ولم يسلكوا كل الطرق التي تؤدي إلى
(روما) .
وفي ذلك بلاغ ...

الزنايق الحمر

لتاغور: ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

هذه المسرحية كتبها الشاعر العالمي تاغور ، وكلنا يعرف من هو تاغور شاعر الهند الأكبر ، فأنا لا أريد أن أتحدث عنه وعن فنه الرفيع ، والرفيع جداً ، ولكن هذه الدررة الفريدة الرائعة (الزنايق الحمر) ما كنا لنستمتع بها لولا أن قام بترجمتها لنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وترجمة هذه المسرحية ليست من السهولة بحيث يترجمها كل إنسان ، فهي في الذروة من الآداب العالمية ، وقد يتقدم مترجم عربي لترجمتها ، ولكننا نشك كثيراً في أنه يستطيع أن ينقلنا إلى الجو الشعري الرحيب الممتليء بالروعة والسحر ، كما كتبها تاغور بلغته البنغالية .

لقد ترجم لنا كثير من الأدباء روائع من الأدب العالي شرقيه وغربيه . ولكن القليلين الذين استطاعوا أن ينقلونا بترجمتهم إلى الأجواء الساحرة الأخاذة التي رسمتها ريشة الكاتب في لغته الأصلية .

لقد قرأت (آلام فترتر) ترجمة الأستاذ الزيات ، وقرأت

(ماجدولين) ترجمة المرحوم الأستاذ المنفلوطي فتأثرت
تأثراً بالغاً حتى لكأنني قرأتها في لغتهما الأصلية ، ذلك لا
لتمكن الأدبيين الكبار من اللغة المترجمة إلى اللغة المترجم
إليها فقط ، ولكن لتذوقهما الأدبي الرفيع ولتغلغلها في
الأجواء التي جاست خلالها ريشة الكاتب بلغته الأصلية .

وأخيراً قرأت الزنابق الحمر ، ولقد أحسست وأنا
أقروها بأني أقرأ تاغور نفسه في لغته البنغالية لأن المترجم
استطاع أن ينقلني إلى عالم جديد لا عهد لي به ، عالم كله
روعة وكله فتنه وكله سحر وجمال ، ولولا أن الأستاذ أحمد
عطار ملم باللغة البنغالية و متمكناً منها ومن أسرارها تمكنه
وإمامه من اللغة العربية ، ولولا أنه أديب أصيل يتذوق
الأدب الرفيع ويضع لمعانيه القوالب الملائمة من الألفاظ
والعبارات ، ما كان ليصل إلى هذه البراعة في ترجمته
للزنابق الحمر ، ويحق لنا أن نفخر بأديبنا الحجازي الكبير
الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ونحن إذ نفخر به لا نزيد
في مكانته ، ولكننا نزيد في مكانتنا ومكانة أدبنا ، لأننا
بتقويمنا الأشياء بقيمتها الصحيحة نسلك مسالك أهل العلم
والعرفان ، ونخرج من معرة الذين لا يفرقون بين الحرز
الرخيص والجواهر الكريمة .

إننا في حاجة إلى تطعيم أدبنا الحديث بروائع الآداب
العالمية ، ولكننا أحوج ما نكون - قبل ذلك - إلى أمثال

الأستاذ أحمد العطار في تذوقه للأدب ، وأصالته في الفن وتمكنه من اللغة التي يترجم إليها واللغة التي يترجمها ليستطيع التغلغل في الأجواء التي تغلغت فيها ريشة الكاتب في لغته الأصلية ، وحبذا لو أن العطار يواصل ترجمة غرر تاغور الأدبية لنتمكن من التحليق في الأجواء التي يخلق فيها الأديب الانساني الكبير تاغور .

* * *

من الغريب أن تصدر هذه الدرة العالمية الخالدة مترجمة بقلم العطار وهو من أبرز أدبائنا وتحتفي البيئات الأدبية في مصر بها ويقدر المترجم على ما بذله من جهد ، ويعجب به الأدباء المتذوقون للفنون والآداب ، ولم أجد في بلادنا من يكتب عنها سطرأ واحداً في جريدة أو ينوه عنها بكلمة واحدة بينما نجد أنهار الصحافة عندنا تمتليء بالكتابة عن غيرها من كتب ومؤلفات بعضها يستحق وبعضها لا يستحق ، فأتساءل أتفهم الأدباء عندنا روائع الأدب العالمي ؟ أم هو جحود يمتنى به المتفوقون في بلادنا ؟ أم هو إهمال مقصود ؟ وأيا كان السبب فإن تاريخ الأدب سوف لا يعفينا من سياط اللوم والتأنيب على ما منينا به من جحود إن دل على شيء فإنما يدل على صغار نحسه في نفوسنا ، ونقص شعر به في أذواقنا ، وسيحاسبنا الناقد الأدبي - إن عاجلاً أو آجلاً - حساباً عسيراً على ذلك وسوف لا يكون جزاؤنا

أقل من الحكم علينا بأننا لم نبلغ في تذوق الأدب الدروة التي نوهم أنفسنا بأننا بلغناها ، والدعوى الطويلة العريضة التي ندعيها إذا ما ذكر الأدب والأدباء ذلك لأن عدم التنويه بهذه المسرحية لا ينقص من قيمة مترجمها ، ولكنه ينقص من قيمتنا إذا ما ذكرت القيم والأذواق .

لقد قدم لهذه المسرحية التي ترجمها الأستاذ العطار القصصي الكبير الأستاذ محمود تيمور فقال متحدثاً عنها وعن مترجمها : « فهو - أي العطار - بشاعريته أهل أن يتفطن إلى رقائق (تاغور) الشعرية ، وهو بشرقيته تستهويه روحانية ذلك الفيلسوف الشرقي ، ومن أحسن فهما ووعيا كان قمينا أن يحسن التعبير والأداء .

لقد اختار المترجم من روائع (تاغور) مسرحية (الزنابق الحمر) وهي طرفة فاخرة يمثل لنا فيها شاعر الهند عبادة الناس للذهب ، فهم أجراؤه يشقون عنه قشرة الأرض ، ويشقون في ذلك ما يشقون ، تاركين وجه الطبيعة بما فيها من خلاصة وطلاقة واستمتاع . . الخ »

ثم يقول : « حقاً لقد أمتعني صديقي المترجم بما أتاح لي من قراءة هذه الطرفة النفسية قبل أن يقدمها للطبع ، فأنا أول شاكر له ، وسينافسني في هذا الشكر - بلا ريب - كل من تتاح له مطالعته (الزنابق الحمر) . »

هذا ما قاله الأستاذ الكبير محمود تيمور عن الزنابق الحمر
ومترجمها ولا يسعني أن أقول إلا الكلمة المشهورة : « لا
يعرف الفضل إلا أهل الفضل » .

والآن سأنقل إليك بعض القطع الشعرية — من الزنابق
الحمر — ل ترى صوراً تعبيرية جديدة ابتكرتها ريشة تاغور ،
ونقلتها إلينا بجوها وسحرها وظلالها ريشة عبد الغفور
عطار . فقد جاء على لسان أحد أبطال المسرحية في وصف
نفسه وهو يخاطب بطلة المسرحية : « أنا الصحراء أمد
يدي إليك وأصرخ : آه ، قدر عليّ أن أكون متعباً عارياً ،
شديد الجفاف ، ولئن أرادت هذه الصحراء أن تظفيء
ظمأها الملتهب بامتصاص ريّ الحقول الحصبة حقلاً فحقلاً
فإنها لن تفيد إلا أن تتسع رقعتها قليلاً ، ولكنها لا تستطيع
أن تضيف الحياة إلى نفسها بموت الحشائش والأعشاب » .
فتجيبه بطلة القصة بقولها :

« لم يخطر ببال أحد أنك متبرم متعب إلى هذا الحد » .

فيقول : « هنالك في أرض بعيدة أبصرت ذات مرة
جبلًا متعباً مثلي ، ولم يكن يخطر بباله أن أحجاره كانت
تئن من الأعماق مثل أنيني ، وتشكو شكواي حتى سمعت—
ذات مساء — صخباً راعباً مدويًا كعويل مارد جبار ، طاف
به حلم شرير ، ذلك أنين الجبل الذي انشق فجأة ، وتناثر

قطعاً ، وفي الصباح ، لم أر الجبل ، فقد اختفى من تثاروب
زلزال . لقد فهمت من ذلك القوى الطاغية الزائدة تحطم
نفسها بثقلها أما أنتِ فأراك تقيض هذا الجبل . »

وفي منظر آخر :

تقول بطلة المسرحية لممثل يقوم بدور الأستاذ :
« أتليق مقابلة الكائنات الحية الراقية بكل هذا الضغط .
وبفرض العبودية عليها ؟ .

أهذه هي المحافظة على راحتهم التي تزعمون ؟
فيجيبها الأستاذ - بمنطق مؤسّديه -

« كائنات حية راقية ؟ ليس هناك مجال لكلمة (راقية)
البتة ، كل ما في الأمر (كائنات حية) وهذه الكينونة
التي توصف بها تتمدد لدرجة مخيفة . فلماذا (تضغط) هذه
الملايين من الكائنات وتساق للخدمة . وإذ لم يصنع بها
ذلك ، فمن الذي يحافظ على توازنها . هكذا تنتشر (الشبكة)
قليلاً ، قليلاً . يجب أن يعيشوا كما ترين . »

فتقول : « أوجب عليهم ؟ إذا كان الموت في سبيل الكرامة
والرجولة ضرورة لازمة فأني ضرر في الموت . »

فينبري لها ويقول : « وهذا بديع بدون شك . ومع ذلك
فالحقيقة ، هي الحقيقة ، إذا كان من دواعي سرورك أن
تقولي - مجرد قول - إن الفرد يجب أن يموت ليعيش

هو نفسه . فذلك حسن . قولي هذا بكل ما لديك من قوة
ووسائل . لكن أولئك الذين يقولون : إن غيرهم يجب
أن يموت ليعيشوا هم أنفسهم فأنهم - وحدهم - الذين
يعيشون في الواقع . لعلك تصرخين وتقولين : إن هذا فقر
في الانسانية ولكنك تنسين في ثورة انفعالك وسخطك أن
هذا نفسه هو ما حدث وإن البشرية قد جبلت عليه . النمر لا
يأكل النمر . إنما الانسان - وحده - هو الذي يسمن من
أخيه . »

• • •

ولا أريد أن أطيل عليك أيها القاريء بنقل مناظر شائقة
من مناظر المسرحية ، فكل مناظرها شائق وممتع ومثير . اقرأ
المسرحية ، لتخرج بثروة عقلية وروحية وفكرية تنقلك
إلى عالم جميل وحياة أجمل وأفضل . . . إلى حياة المفكرين
المتعمقين في الحقائق .

وإن النقد الأدبي لا يسعه إلا أن يشد على يد الأستاذ
العطار تحيةً وتقديراً وإعجاباً لعله يستمر في إتحافنا بخريدة
أخرى من خرائد تاغور الجميلة الأخاذة ، والعطار جدير
بتحقيق الرجاء .

الملاحق

المحق الأول : مرصاد المرصاد بقلم عبد الله عبد الجبار

المحق الثاني : نقد المرصاد بقلم حسن عبد الله القرشي

مرصاد المرصاد

بقلم

عبد الله عبد الجبار



تمهيد

آليت على نفسي منذ أصدر صاحب المرصاد مرصاده ،
أن أناقشه الحساب عسيراً ، وأن أضع لمرصاده مرصاداً
يسجل عليه هزاته في النقد كما سجل هو هزات الأدباء في
الأدب ، وأن أقيم الموازين القسط له أو عليه .

كان ذلك غرضي منذ صدر مرصاده الأول ، ولكن
مشاكل العمل حالت بيني وبين ما أريد ، واليوم (يخرج)
علينا الأستاذ الفلاحي بمرصاده الثاني ، ويتيح لي قراءته ،
ومناقشته قبل نشره كأنما يريد أن يستثيرني ، ويستفزني ،
ويدفعني إلى الكتابة دفعاً رغم أني غارق في خضم من المشاكل
والهموم .

وأول ما يحفزك على نقد الفلاحي أنه يضع أمامك مبدأ
يسير عليه ويدعو الناس إلى اعتناقه ، وهو مبدأ عدم المجاملة
في النقد الأدبي . . . وسأقول أنا للأستاذ الفلاحي ما يقوله هو
للأدباء . . . « أصبحنا بعد ثلاثين سنة أصحاب وعي مبصر ،
فلا تجوز علينا لعبة الحواة ، والتواءات البهلوان ، ولن
تسرق عقولنا ، ولسنا من السذاجة بحيث نحسب البيضة

كتكوئاً ، أو أنف الإنسان قناة يسيل منها الماء ، وإذا كانت ألعاب الحواة تسترق الانتباه ساعة من نهار فإن الساعة لن تصعدهم إلى مكان أعلى من مكان الحواة، ولا بأس أن نقول لهم : إنكم حواة بارعون ! » .

فهل لك أن تسير معي — أيها القاريء الكريم — في مرصاد المرصاد لرى صحة هذه القاعدة ومدى انطباقها على الأدباء المنقودين وعلى الناقد نفسه ، لأنه في نظري بعد طول مشاهدتي له على مسرحه هذا (المرصاد) لم يعد أن يكون أكثر من حاو بارع وبهلوان كبير .

فلنمض معاً ، ولنتتبع سيره خطوة خطوة ، وعشرة عشرة .

عدنان أسعد

« قالوا : الشمس والقمر عقربا الساعة ، قلت : والنجوم

ثوانها » .

قال الفلاحي : « إنها لفتة ذهنية بارعة » . ولما قرأنا معاً هذه الفقرة ضحكنا ضحكا شديداً ، ولا تسليني أيها القاريء لماذا ضحكت ؟ وإنما سل الفلاحي لماذا ضحكك ؟ وقد كددت الذهن بحثاً عن الفحوى والمغزى فلم أجد شيئاً ، وضاع المعنى المراد في هذه اللفتة الذهنية البارعة وتعلمت أنا شيئاً جديداً من الأستاذ الفلاحي وهو أن اللفتة الذهنية البارعة هي التي يضيع فيها المعنى ولا نفهم منها شيئاً ! .

وقال الأستاذ عدنان : « يا من دعوت الله فلم يستجب لك . هلا غسلت قلبك بصابون الإيمان ! » .

ربما كان المعنى المقصود من صابون الإيمان جلياً واضحاً ، ولكن أترون هذه الكلمة كلمة أدبية تليق بمقام حكم بليغة مرسلة ؟ ثم ما الفرق بين الأديب وبين بائع عصير القصب الذي كتب على (حانوته) (عصير الإيمان) . وبائع القصب هذا في طريق الفلاحي إلى منزله يراه كل يوم ! .

عفا الله عنك يا فلاحي ففي كتاب (جمر وخمر) زهرات فنية جميلة ولكنك لم تختر إلا الشوك والزقوم ، وعذرا لك يا عدنان مما جنى الفلاحي .

عبد الله خطيب

لهب مشتعل ، وبركان نائر .

آل على نفسه أن يحرق ما يراه بالياً من أوضاعنا المنحرفة ، وموازينا المختلة ، ولكني إخاله لم يحرق إلا نفسه ، ولعل عزاء الوحيد أنه قام بواجبه ، وأرضى ضميره .

وهو إنساني — بكل معاني هذه الكلمة — كما قال الفلاحي وإنسانيته ملموسة يعرفها أصدقاؤه ، ولديهم عليها أمثلة عدة . . . وسوف لا أذكرها حتى لا أجرح كرامة الرجل الذي يصنع المعروف لذات المعروف ، ويستجيب لداعي الشهامة لذات الشهامة !

شاعر مقل ، عذب الحديث ، قوي الروح ، يمزج أسلوبه في الحديث بفكاهة ساخرة مريرة ، لعلها أمضى سلاح يدافع به عن نفسه .

قد أنصفه الفلاحي ، ولا يقدر الرجال إلا الرجال ، ولا يعرف البائسين ، إلا من صارعوا الآلام ، وقاسوا مثلهم مرارة البؤس والحрман .

(ألا ما أعظم عبد الله خطيب ! لقد كان خليقا أن يكون أنجح رجل في بلادنا لو صحت في مجتمعنا المختل الموازين ، مقاييس النجاح والإخفاق !) .

نزاهة ، ونظافة ، وإنسانية رحيمة ، ووطنية صادقة ، أتريدون أسمى من هذه الخلال ؟ .

مقدمة شعراء الحجاز في العصر الحديث

لهذه المقدمة قصة عجيبة يعرفها أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة ، وهذه القصة لم يحن الوقت لإذاعتها ونشرها ، وسيأتي الوقت المناسب الذي تنشر فيه بكل ظروفيها وملابساتها ومضحكاتها ومبكياتها !

ومن أعجب ما في هذه القصة أنني ثالث ثلاثة أنهموا بكتابتها ، وهو شرف لا أدعيه ، وأنا أقول هذا لأبرر دفاعي عنها ضد الذين هاجموها من غير أن يكونوا على دراية بأصول النقد وتاريخه ، إذ قالوا عنها فيما قالوا إنها (إنشائية) يريدون أنها كلام منمق ولكنه فارغ غث .

والواقع الذي لا شك فيه أن القاريء الحصيف الدقيق النظر يشعر عند قراءتها أن كاتبها توخى الدقة فيما كتب ، وكان يعني ما يقول بكل كلمة سطرها ، وليس العيب إذن في المقدمة بل في الذهن المعوج والفهم السقيم .

اقرأ معي رأي الكاتب في أهمية (الأسلوب) للشعر ، ثم احكم وحدك له أو عليه ، وخبرني أهو كلام إنشائي

منمق ، أم هو رأي قيم لكل كلمة فيه دلالتها وفحواها ،
ومعناها الخاص ؟ .

« إن بواعث الشعر – فكرية كانت أو نفسية – هي ذات
بواعث الحياة وانفعالاتها ، ومعانيه وخيالاته وصوره هي
التي تجول في كل نفس وفكر ، غامضة مكبوحه ، أو
واضحة طليقة ، وباهتة أو لامعة .

والكلام هو وسيلة تصويرها والتعبير عنها ، أو هو
مادة بنائها فلا جرم كانت ديباجة الشاعر وأسلوبه قوة
وضعفاً ، وانطفاءً ونصوعاً وصحة واعتلالاً ، هي الدلالة
والفارق والمقياس وميزان الحكم على قدرة الصناعة ،
وحذقها وأهبتها واكتمال أدواتها . »

وإذا دل هذا الكلام في جملته على أهمية الأسلوب أو
الألفاظ في بلاغة الشعر ، فإن هذا الرأي قديم عرفه نقاد
العرب منذ عصور ، ففي رأيهم أو رأي بعضهم أن المعاني
يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والحضري وإنما مدار
البلاغة على الألفاظ

وما لنا نذهب بعيداً فنظرة في كتاب (فنون الأدب)
تري القاريء الكريم قيمة هذا الرأي لدى نقاد الأدب من
الفرنجة .

وهكذا نجد أن هذا الرأي إما أن يكون قد انبثق في

نفس الكاتب ووافق به آراء بعض القدامى والمحدثين من النقاد ، وإما أن يكون قد انبعث من رواسته العقلية التي تكونت له من مطالعته الواسعة في الأدب القديم أو الحديث !

وإني لأستشف من تركيز الكاتب الحديث على الأسلوب والصياغة والصناعة ، أن قصة الأسلوب والديباجة - إشراقاً وقوة ومتانة تركيب - هي ما يجب أن نحاسب عليه شعراءنا أولاً ، ثم بعد ذلك نحاسبهم على الخيال والعاطفة والمعاني وبقية العناصر المقومة الشعر .

ولهذه المقدمة دلالة خاصة على نفسية صاحبها ، فليس من السهل عليه أن ينزل مترلة المعلن ، أو قارع الجرس ، أو سمسار يروج السلعة بالباطل أو بما يدخل تحت الباطل فهذا مزاح ثقيل الوطأة على مزاجه وعقله ، وامتحان عنيف لطبيعته بما لا تواتيه عليه .

وطبيعة الكاتب الصراحة ، وقد حاول في المقدمة أن يخرج على طبيعته ، فلا يحكم على الأشخاص بأسمائهم وقال : « أما أنا فقد نصبت الميزان ، وأقمت المقاييس ، ومهدت الجادة ، ولم يعد للقاريء إلا أن يزن ويدرع ، ويحدد الفروق والمراتب ، فما يتسع طوقى لأكثر من هذا ولو اتسع لكنت خليقاً ألا أتجاوزه اتقاء لما تجر إليه الجرأة على حرمان الشعراء من نصب الدفاع وأوصاب الزيادة

في هذا الزمن المدبر الذي تضخم فيه كل شيء حتى الشعر
والشعراء .

ومع هذا وبالرغم من إعلانه الاحتراس والتقية ، وقبول
تهمة العجز عن اضطلاعه بأعباء الملاحاة المتوقعة من نيف
وعشرين شاعراً وذوي عصياتهم ، فقد سمى أربعة أسماء
رفعها إلى العلياء في دولة الشعر وهبط بالبقية إلى الخضيض
إذ قال : « ومنهم مستحق الرثاء ، ومنهم مستوجب التعزير
حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء » وأي
حكم أدبي أصرح وأقسى من هذا الحكم ١٩ .

إن كاتب المقدمة الذي حاول أن يغطي على صراحته
باصطناعه ذلك اللون من الستار الذي أضفاه على كلامه منذ
أول المقدمة إلى قرب نهايتها قد غلبته طبيعته آخر الأمر
فأرسلها قنبلة نقدية مدوية في وجه الباطل من الفن، والهراء
من الكلام الذي سماه المتشاعرون شعراً !

• القنديل

ومعذرة أيها القارئ الكريم عن هذا الاستطراد الطويل ،
ولنعد إلى ما كنا فيه نحن مع الأستاذ الفلالي ضد كاتب
مقدمة (شعراء الحجاز) في أن العواد لا يعني بالأسلوب ،
ومعه كذلك في أن الشاعر الآخر — ولم يسمه الفلالي وأسميه
أنا وهو القنديل — ليس من شعراء الأسلوب كذلك وأن

الأبيات التي اختارها برهان قاطع للتدليل على صحة رأيه .

ولكني لست معه في أن القنديل شاعر حلمنتيشي (وحلمنتيشي وحسب) كما قال عنه في مرصاده الأول ،
فللقنديل قطع شعرية تدل على أنه شاعر في الفصح كذلك . .
وإن كنت أوتر لو أن القنديل غربل دواوينه الثلاثة فأخرج
لنا منها ديواناً واحداً منتخبا قد نفى منه السقط والرديء
ليثبت للفلاحي ومن لف لفه أنه شاعر في غير الحلمنتيشيات
أيضاً . . وأكبر الظن أن الفلاحي حين يقرأ شعر القنديل
تصطدم أذنه بكلمة (لا شعرية) هنا ، وبيت غريب المعنى
يكد الذهن هناك ، وقافيه هي (كالمحط الناشز) هنالك ،
فيغضب ويثور لأنه شاعر ذو أذن موسيقية عالية يعني بعدوبة
الألفاظ ووضوح المعنى وجمال الموسيقى أكثر من عنايته
بالمعاني العويصة التي يدور الرأس في إدراك فحواها ، ولعل
في هذا تفسيراً لتلك الحملة الشعواء التي شنّها الفلاحي على
شعر القنديل ، لأنهما في اتجاهين يقف كل منهما من
الآخر موقف الضد والنقيض .

• محمد سرور الصبان

وعندما انتقل الأستاذ الفلاحي إلى أدب الشيخ محمد سرور
الصبان خيل إلينا من تمهيداته أن خلف ما أثاره من عثير
جيشاً بلجاً صاحباً من النقد، ولكن ما كاد ينجلي الغبار

حتى رأينا الشيخ محمد هو الظافر بالمعركة، ولا معركة
هناك في الواقع لأن جيوش البهلوان كانت من خشب !

ونحن نريد أن نسأل الفلالي (النقاد) ماذا يسمى هذا ؟
أسميه نقداً حقيقياً صحيحاً كما رسم لنا في مقدمته أم هو
بهلوانية بارعة ، ولعبة من ألعاب الحواة على الحبال ؟
إننا نترك علامات الاستفهام قائمة في وجه الفلالي لعله
يجيب إن استطاع أن يجيب ؟ .

ذلك أننا لم نر في نقده لهذه الشخصية إلا مديحاً متصلاً تتخلله
نقاط بسيطة مردودة أمثال قوله — حين تطرق الشاعر
للمشمس بعد أن تحدثت عن الليل — : « ما شأن الغزاة
بالليل الآن » وأنا أريد أن أقول للأستاذ الناقد : إن هناك
أسباباً لتداعي المعاني ، فإذا وردت للذهن كلمة الخير تبعثها
على الفور كلمة (الشر) وإذا وردت كلمة (الليل) تبعثها
كلمة النهار ، والغزاة هي أصل النهار الذي لا يتصور
وجوده بدونها ، فإذا ذكر الإنسان النهار وثبت كلمة
المشمس والعكس بالعكس ، فلا معنى بعد هذا لقول الراصد :
« إنها أحاسيس مختلفة تضطرب في نفس الشاعر » لأن
العلاقة النفسية قائمة والرابط الفكري موجود — ومثل قوله
حين قال الشاعر :

ياليل فارو محدثا أخبارنا غبا فغبنا

« يستقيم المعنى لو أن الشاعر قال لليل : أرو لي أخبار
أمثالي لعلني أتأسى وأجد في ذلك طبا ... الخ » .

ومعنى هذا في رأي الناقد أن كلام الشاعر غير مستقيم ،
والواقع أنه مستقيم لأن الإنسان يجد التفريغ والتنفيس في
أن يشيع حديث أمثاله من المهضومين والمنكوبين ويكون له
بذلك سلوى أي سلوى ! على أن شاعرنا لم يقل لليل أرو
أخباري (للناس) بل قال أخبارنا : أي طائفة الشعراء
المحرومين المهضومي الحقوق منذ قديم الزمان ، يروها
ليستشعر الشاعر من سماعها وسماع غيره لها الارتياح
وتفريغ الكربات ، ويرتكز الدليل الدامغ على أنه يلتمس
التخفيف من ذكر حديثه وأحاديث أضرابه في قوله :

فلنا بذلك حاجة إن تقضها فرجت كربا

وهذا شعور حقيقي لا لبس فيه كما بينا .

• محمد سعيد العامودي

وحين تحدث عن صديقنا (العامودي) أثنى عليه بما
هو أهله ، إلا أنه بعد أن نعى عليه كفره بالشعر وبمستقبل
دولته قال :

« إننا نأسف على هذه الشاعرية ذات الأحلام الذهبية التي
وأدها العامودي ولم يتركها تسير مع مثيلاتها في الطريق » .

لا يا أبا عدنان إن العامودي لم يترك الشعر ولم يثده في نفسه ، وإنما الأرجح أنه وأده في (قراطيسه) وسيأتي يوم قريب أو بعيد تبعث فيه هذه الموعودات !! وتخرج في ديوان رائع جميل ، وحينئذ يرى المتشاعرون في بلادنا كيف يستطيع الشاعر الأصيل أن يتخذ من الفن السامي أداة لنقد الحياة وإصلاح المجتمع .

إن العامودي من أوسع أدبائنا ثقافة واطلاعا ، ولو أدرك كثير من أدبائنا أن مقومات الأديب العصري اليوم ثقافة واسعة واطلاع غزير لأراحونا من كثير من (السطحية) والغناء الذي يرفع عنه قلم العامودي الكاتب المثقف الحر !

• محمد حسن عواد

و حين انتقل الفلاي للعواد تعرض لقوله :

وخلقت أفكار التشاؤم فيك تلتذع الفؤاد

فقال : « وهل لليل أفكار ؟ ومتى صار لليل فؤاد ؟ » ونحن - على افتراض أن ليس لليل أفكار ، وليس له فؤاد ولو على طريق المجاز - نود أن نلفت نظر القراء إلى أن العواد يقصد بالليل شخصاً معيناً لا أظن الفلاي يجهله ، والذي يؤكد لنا هذا ، وأن المعني بالليل شخص من بني آدم هو قول العواد في القصيدة نفسها :

والليل في عينيك أهول مانصور شاعر

وقد أشرت مرة إلى أن أدبنا في كثير من الأحيان يعتمد
الرمز والإيحاء ، ولكم كان بودي لو أن الشعراء عندنا
فكوا هذه المغاليتق وأوضحوا لنا وللأجيال الآتية ما وراء
السطور ، وإلا كان لهذا الوضع أثره السيء على نتاجهم
الأدبي عندما يتناوله النقاد بالدرس والتحليل

ونحن مع الفلالي في أننا كثيرا ما نقرأ للعواد قصائد لا
نحس فيها الأسلوب المشرق الجذاب ، بل بالعكس نجدها
محمشة بالألفاظ (اللاشعرية) وهذه السمة لم تخل منها حتى
أسماء دواوين الشاعر التي يعتزم إصدارها مثل (الآراد)
وهذه الكلمة فيها الغرابة كل الغرابة على القاريء الحديث
وأذكر أن طالبا أراد أن يقرأ هذا الاسم فالتبس عليه الأمر
فقال : (الردار) . . . ذلك أن هذه الكلمة الأفرنجية
الأجنبية أسهل من هذه الكلمة العربية التي هي جمع (راد)
ولعل العواد يقصد بها مجموعة أشعاره التي قالها راد الضحى
من عمره . . وأنا أنصح للأستاذ العواد - إن قبل مني
النصح - أن يريح القراء من هذه (التفرعات) وأن
يستبدل بمثل هذه الأسماء أسماء أخرى لدواوينه تتسم
بالسمة الشعرية التي ترضي الأدب والذوق والفن الرفيع
العالي .

• أحمد إبراهيم الغزاوي

و حين جاء دور الأستاذ الغزاوي في المرصاد ، ووصل
إلى قوله : :

قلب ترف به الذكرى محلقة

فوق (الأناسى) بالأملاك يقترن

قال الفلاي : « ما معنى هذين القوسين اللذين حصرت
فيهما (الأناسى) ؟ » .

و كأن الفلاي بهذا الاستفسار قد جهل أو تجاهل السمة
الكبرى للأستاذ الغزاوي وهي حشد علامات الاستفهام
والتعجب والخواصر وغيرها من أدوات الترقيم في شعره
حشداً لم نر له مثيلاً في التاريخ الحديث وأنا - إذ أقول هذا -
أعني ما أقول ، وليس في قولي أية مبالغة . خذ مثلاً أيها
القاريء أية قصيدة من شعره المنشور في الكتب أو الصحف
تدرك صدق ما أدعى . . أو تعال معي نقرأ أية قصيدة له في
كتاب (شعراء الحجاز) ، ولتكن (تحية الجليل الجديد) . فماذا
نجد ؟ نجد (٩) علامات تعجب ، و (٢٨) علامة استفهام
و (٢٩) علامة اعتراض ، وثلاثاً وثلاثين كلمة بين الخواصر
مع ملاحظة أن الترقيم في هذه القصيدة يعتبر نسبياً أقل من
المتوسط كثيراً مما هو مثبت في شعر الغزاوي .

وهذه السمة لها دلالتها النفسية التي تتصل بالشاعر وتنم

عن شعوره بما يسمونه **inferiority Complex** فهو يشعر في أعماق نفسه بقصور شاعريته ، وهو لهذا قد استعاض عن الإجادة الفنية بحسن إلقاء الشعر وجودة إنشاده إذا كان الموقف أن يلقي شعره في المجالس والمحافل . . وبهذه الحواصر وعلامات التعجب والاستفهام المحتشدة إذا كان الحال نشر هذه القصائد في الصحف والمجلات :

وأرجو ألا يفسر هذا بأنه انتقاص للأستاذ الغزاوي ، فما موقفي هنا إلا موقف المفسر لظاهرة نفسية كشف عنها العلم الحديث . . إذ الواقع أننا نقدر مدائحه الملكية الرائعة التي استوحاها من خلال العاهل العظيم مولانا جلالة الملك عبد العزيز ، وحسب الغزاوي فضلا أنه استطاع أن يمضي مجليا في حلبة النظم مدة تزيد عن ربع قرن دون أن يصيبه الكلال ! حفظ الله شاعر البلاط في ظل صاحب التاج .

« عبد الوهاب آشي »

ولما انتقل إلى الأستاذ الآشي نعى عليه قوله :

دعاني أساجل أحرارها وقوما لنقفو آثارها

فقال « إن دعاني لفظة غير شعرية ، وإن خلياني أشعر منها » . فهل هذا صحيح ؟ وهل كان العرب في مثل هذا المقام يوثرون خلياني ! الواقع أنهم كانوا يقولون : دع

ودعائي كما يقولون خليائي ، ولا نريد أن نمثل بما قالوه
في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ، وإنما نكتفي
بمثالين من شعر أبي نواس الحجة في الذوق وحسن الاختيار
على الأقل إذ يقول :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء . .

وإذ يقول :

دعيني أكثر حاسديك برحلة

إلى بلد فيه الخصب أمير

وقد كانت الأحكام التي أصدرها الفلاحي على الآشي
(منسوبة) على ما ورد من شعر الأستاذ الآشي في كتاب
(شعراء الحجاز في العصر الحديث) إذ قال : « إن في شعر
الآشي مأخذ كثيرة جداً لا تسلكه في عداد الشعراء الممتازين »
ونحن نلفت نظر الفلاحي إلى أن للأستاذ الآشي في كتاب
(أدب الحجاز) قصيدتين من عيون الشعر اتسمتا بالقوة
والجزالة ، وكانت ثانيهما - وهي تحت عنوان : آلام
وآمال - نحو أمتي ووطني - تفيض وطنية وصدقاً ،
وإخلاصاً وجرأة وهي تستحق الإكبار والإعجاب .

إن الآشي أستاذ من أساتذة الجيل . قضى وقتاً ليس بالقصير
في نشر الثقافة وتقويم معوج الألسنة ، وله أستاذية على
الفلاحي نفسه من حيث يشعر التلميذ ولا يدري الأستاذ !

أفلا يذكر الفلاحي في بواكير حياته الأدبية وبدء محاولاته
لنظم القريض كيف كان يتخذ من ابن عمه (السيد سراج
فلاحي) وسيلة لتصحيح قصائده وتقويم المختل من بحوره
وقوافيه على يد الأستاذ الآشي ، يقدمها سراج على أنها من
شعره هو ، ويصححها الأستاذ على هذا الأساس .

ألا يذكر الفلاحي هذا ! إنه يذكره - ولا شك - ولا
يستطيع ضميره أن ينكره ! وأغلب الظن أن الآشي نفسه
حتى كتابة هذه السطور لا يعلم أن أكثر قصائد سراج
فلاحي التي كان يجري قلمه فيها بالتعديل والتصحيح هي من
نظم السيد إبراهيم الفلاحي السادر الآن في نقده الأدباء !

خاتمة

وبعد :

فها أنت ذا - أيها القاريء الكريم - قد قطعت معي هذه الرحلة القصيرة في جو (المرصاد) أفتراه بعد ذلك غير حاو هارع ، وبهلوان كبير تمتد جذور بهلوانيته إلى مفتتح حياته الفنية يوم أن كان يظهر بوجه ابن عمه سراج تجاه الأستاذ الآشي ليصحح له قصيدة !

إنه بهلوان - ولا شك - ولكنه بهلوان مخلص لمهنته أكثر من إخلاصه لما تدره عليه من كسب مادي أو نفع معنوي ، بل ربما جر عليه إخلاصه لهذه البهلوانية ألواناً من المتاعب ، وضروبا من المشاكل وعديداً من (الحصوم) .

وهذا البهلوان قد تميز بسمات خاصة في نقده ، فهو يمزج القسوة بالظرف وروح الفكاهة ، إنه قاس ، ولكنه بعيد عن التبذل والشتم والسباب مما يحط برسالة النقد الحقيقية ؛ وهو لذلك يعفو عن شائبه وشاتميه ، ويرفع عن أن يناقشهم

الحساب . وإنه ظريف ، ولكن ظرفه يمتزج بلون من (التخابث) تخابث الرجل المكشوف الذي صفت نفسه وخلصت سريرته (إن صح هذا التعبير) ، استمع إليه إذ يقول « أخجلتم تواضعنا . . . هيا إلى النقد أيها المعجبون أو أيها المحرثون » وإذ يقول : « الناس يقومون ويقعدون للمرصاد وما هو في الواقع إلا خميرة عكننة كما يقولون » .

وإنها لخميرة نحن أحوج ما نكون إليها حتى لا يكون أذنا فطيراً تنفر منه الطباع ، ولا تسيغه الأذواق .

وتمت أمرٌ آخر أريد أن أشير إليه قبل أن أضع القلم من يدي ، وهو أنني تباطأت في كتابة هذا النقد فكان الفلاحي بلاحقني ويحثني على إنجازهِ ، وحينما أنجزته أشفقت عليه مما عسى أن يكون قد قسوتُ فيه فأردت أن أطويه عنه ، ولكنه ألح علي في أن يقرأه وأن ينشره ، ولكم كانت دهشتي وأنا أنظر إليه بعد أن قرأ نقدي . أن ألفيه كتمثال جامد لم يتغير ولم يتبدل ، بل قال في لهجة الرجل الجاد : « سأنشر هذا النقد ذيلًا لمرصادي في كتاب واحد » .

نعم كان كتمثال جامد ، ولكنه تمثال للحرية الفكرية والسماحة النفسية كما يجب أن تكون هذه السماحة وتلك

الحرية ، فحيك الله يا صاحب المرصاد ، وحيأ في شخصك
المكافح البهلوان الحر الكريم ، وإلى اللقاء في معركة
قلمية أخرى ، ، .

عبدالله عبدالجبار

القاهرة : ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ

٢٢ فبراير سنة ١٩٥٢ م

تقد المرصاد

بقلم

حسن عبدالله القرشي

نقد « المرصاد »

صلي بالاستاذ السيد إبراهيم هاشم فلالي هي صلة المعجب بأدبه المكبر لفنه ، والأستاذ الفلالي هو أحد الأدباء المخلصين لفكرة الأدب المتشبين بوسائل إصلاحه وإنهاضه والذابين عن حياضه والعاملين على الدعاية الصادقة له ، ثم هو أديب ناقد له ماضيه فليس هو بمقتحم حمى الفكر ولا بطفيلى على رسالة النقد ولا يبعيد عن مجالات الأدب في بلاده وإن نأت به الديار وشط به المزار .

سمعت بمرصاد الاستاذ الفلالي قبل أن أقرأه ، سمعت به فقلت مرحى ها هو ذا أديب حجازي يحمل مشعل النقد في بلاده ليصحح الأوضاع والمقاييس، ويثبت الاوزان والمعايير، ويضع للادب رصيده، وما من شك في أن أدبنا محتاج إلى ناقد بصير يميز بين الصالح والفساد ويقوم عوجه وما أكثر اعوجاجه . لذلك كانت فرحتي على السماع كبيرة وتشوقي على البعد كثيرا .

المنهج ١ س ١٢ (محرم ١٣٧١ هـ أكتوبر ١٩٥١ م) .

وأخيرا وقع بيدي (المرصاد) وأخذت أقرؤه قراءة فاحصة
معمنة فوجدت الأستاذ قد عرض في مرصاده تسع قصائد
لتسعة من الشعراء هم الاساتذة : القنديل والعواد والفقهي
ورجب والسرحان وعرب والجمال والطار وكاتب هذه
السطور ثم عرض في دراسة عاجلة لخمسة من الادباء جمع
بعضهم للشعر والنثرهم الاساتذة : العطار والسباعي والانصاري
والزمخشري والشحاته .

والذي أعرفه أن النقد شاق ومتعب ذلك لأن النقد فن له
أصوله وقواعده فاذا اعتمدنا في نقدنا على أصل واحد أو
قاعدة مفردة دون مراعاة غيرها من القواعد جاء نقدنا
ناقصا مبتورا .

ولست أدري هل يرضى الأستاذ الفلاي أن نقول عنه
إنه ناقد ذكي وإنه لبق في اصطیاد الزلات الأدبية والعرات
الشعرية ؟ أم الذي يرضيه حقا أن نقول : إنه ناقد يقيم
أحكامه على موازين سليمة وأسس حكيمة ونظريات
معترف بها ؟ .

وأحب أن أقول للأستاذ الفلاي أنني واحد من الذين
لا يقيمون لمتقادم الشهرة وبعد الصيت وزنا، ولكنني ممن

يحكمون على الشاعر بأخر قصيدة دون أن يفضلوا نتاجه ككل ، ومن الذين تخف في معاييرهم وطأة الاعجاب بأدبائنا الكبار إلى اقصى درجاتها ، ولكنني مع هذا لا أستطيع أن الغي انتاج شاعر كالاستاذ القنديل لأقول عنه في استطراد مر ونقمة أدبية لاذعة إنا بآرائك ونوازعك إلى ميدان النثر فان للشعر قيودا لا تستطيع معها التحليق !! وفيم كل هذا أيها العزيز ؟ الأجل قصيدة شاء وزنها وأسلوبها أن يغطي على بعض ما فيها من جمال ، أو شاء قلم الاستاذ ألا يعرض إلا لنقد أبيات ثلاثة من أبياتها التي تزيد على الخمسين بيتا ؟ .

أما قصيدة الاستاذ رجب (حقيقة في خيال) والتي أذكر أنني لم أعجب إلا بالقليل من أبياتها فقد كانت القصيدة الارجوانية في نقده، وقد راح يجهد قلمه البارع في شرح مطلعها :

مشرق يجحد دنيا الفلق

ويغيم الكون إن لم يشرق

راح يمتدح باخلاص وصبر عجيبين هذا البيت ويحلل معانيه وظلال الفاظه ويكتفي من تقریط القصيدة ومدحها بتقریطه واضفاء شتى نعوت الاستحسان عليه ؟ والبيت بعد لا يستدعى كل هذا الجهد والوقت من الاستاذ الفاضل الذي

دهاء إلى أن يخجل تواضع البيت ويبعث القاريء على التساؤل : هل يستحق البيت كل هذا الثناء ؟ .

أما الاستاذ الفقي فقد بدأ نقده له بانه فسر قصيدته (محاورة) بجملة نثرية ما كان يستدعى المجال ذكرها، والحقيقة أن الدكتور محمد مندور كان أول من سبق إلى تنبيه الشعراء لخطئ وضع هذه الكلمات التي اسماها (قصاصات) على مفرق القصائد، وذلك في معرض نقده لصديقنا الشاعر الموهوب محمود حسن اسماعيل . . ولعل الذي دعى الدكتور مندور إلى ذلك ما رآه من (موضة) وضع هذه الكلمات لتفسير بعض ما قد يغمض على فهم القاريء من مرامي القصيدة ولعل مخترع هذه القصاصات هو الأستاذ عباس محمود العقاد الذي له عذره لأن شعره الفلسفي في حاجة إلى التفسير.

أنا مع الاستاذ الفلاحي إذن في أن هذه الجملة (على قصرها) ليست بذات موضوع ولكنني لست معه في أن لفظة (العجول) في مطلع قصيدة السيد كانت مقحمة فالعاشق مهما طال به المجلس مع محبوبه لا يرى هذا المجلس إلا قصيرا لا سيما إذا جاء (بعد لأي وبعد هجر طويل) والعاشق الابي مهما برح به العشق ومهما انهكه برح الغرام فهو أمام محبوبه متصبر متكتم جلد، وإن فضحته عيناه وكشفه سهده وسقمه فلا غرابة إذن أن يقول الشاعر :

مخالي النزم الفراش من الهجـ

ر وأروي من الدموع غليلي

ولكنه مع هذا نضو سهد وسقام يواريهما التجلد خوف
الانهيار أمام سلطان الحبيب، وأمام جبروت الحب وسطوته!
وليس كثيرا ايضا على الشاعر أن يقول :

أنا أهوى نفسي العزيزة من قبـ

ل هواي الجمال والسراء

فالشاعر يهوى نفسه هوى العزة والكرامة مهما صلى
بنار الحب ، ولصديقي الشاعر الرقيق الأستاذ صالح جودت
والذي طالما ذاب غراما في وجدته قصيدة أذكر منها للاستاذ
الفلاي هذه الابيات التي يخاطب فيها محبوبته خطاب المحب
المدل برجولته وكرامته :

أجل أنت فاتنة إنـما

أرى عزة النفس لي أفتنا

وإن كان عندك سحر الجمال

فسحر الرجولة عندي أنا

وإن غرورك بحلو الشباب

فان الشباب قريب الفنـا

إلى أن يقول :

فلا تجعلني من غرور الأنو

ثة بابا يسد الهوى بيننا

فيكتم عنك شئون الهوى

ويظهر غير الذي أبطنا

أما نقده لقصيدة الاستاذ السرحان فقد كان مخلصا فيه فالسرحان شاعر كبير ونحن لا نقنع من شاعريته المحلقة بقصيدة (الزمان) وإن كنت معجبا بصياغة هذه القصيدة كل الاعجاب وإذا جاءت معاني السرحان يوما متوسطة فان صياغته لا تجيء إلا قوية ناضجة أبدا، على أيه حال فالالفاظ مهما بلغ من جمالها لا تقدم ولا تؤخر في حسن السبك ودقة الرصف، فانت تعجب بالمتزل القوي البنيان الشديد ، الثابت الاركان ، كما تعجب بالمتزل المبيض الحميل الشكل ذي التراويق والنقوش، بل ربما زاد اعجابك بالاول لانك لا تدري ماذا يضم الترويق من خراب وهلهلة إلا بعد زوال القشرة عنه !

ومن عجب أيضا أن يحكم الاستاذ الفلالي على شاعرية صديقه العرب بأنها شاعرية وقفت عند حدها قبل عشر سنوات ، لان قصيدته بالعدد الممتاز لم ترقه فارتكمت فيها المعاني ووضحت فيها (اللفظية) دون تنسيق فظهر كأثر ياء

الحرب يترينون بكثرة ما يملكون من خواتم الذهب في شتى
الاصابع فهل نستمع إلى حسين عرب من قصيدة أخرى
نشرتها له مجلة الكاتب المصري :

يا ساري الليل هلا استصبح الساري
أم ضل مسراه في بيداء مقفار !
حبي الحفاظ على حبي ومقتبلي
واستهدف اليأس آمالي وأفكاري
فلست أعجب من شعري وساخطي
ولست أطرب من لحي وقيثاري
يا ساري الليل خذني في غياهبه
وأضرب بنا في مناهات واقفار
فما الحياة سوى اشجان مغرب
وما النعيم سوى ادلاجة الساري
وما السعادة في رأي سوى شبح
من الظنون تواري خلف منظار
الوم نفسي ولا ألقى لها خطأ
فانثني بصباباتي وأسراري !

وهذه القصيدة من خير ما كتب الشعراء المجيدون، وأنا

أكتب هذه الايات الجميلة منها من وحي الذاكرة ولو
كانت القصيدة أمامي الآن لاخترت منها ما يعجب الفلاي
حقاً. فهل وقفت شاعرية صديقنا الاستاذ عرب عند حدها
البداي ؟ .

أما الاستاذ اجمال فقد عاب عليه في قصيدته مع القمر
قوله : « أيها اللاهث في حضن السماء » فالقمر لا يلعب
في حضن السماء ولكنه يسير في هدوء ووقار كما يسير الشيوخ
الكبار . . ليرجع الاستاذ إلى عشرات القصائد في وصف
القمر فسيجد أن كبار الشعراء قد وصفوه بما هو أكثر من
بالعب والمرح ، لان القمر في كل خيال صورة ومثال مستوحى
ظفرائح ! وفي دنيا المجاز متسع ورحابة ! وعلى أي حال
فقد أثنى الناقد ثناء محدودا على شاعرية اجمال في حدود
امكانياتها ! .

وإذا ينتهي الاستاذ من نقد الشعراء التسعة ومحاسبتهم على
قصائدهم التي نشرت في عدد (البلاد السعودية) الممتاز نرى
البحث يجره إلى مطالعة بعض الآثار الأدبية لاعطائها بالدراسة
ما تستحقه من النقد . . وهذه الآثار التي تعرض لها الناقد
هي : (الهوى والشباب) للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ،
و (أحلام الربيع) للاستاذ طاهر الزمخشري ، و (فكرة)
للاستاذ أحمد السباعي ، و (بناء العلم في الحجاز الحديث)
للاستاذ عبد القدوس الانصاري ، والمختار من شعر الاستاذ

حمزة شحاته في مجموعة (الشعراء الثلاثة) .

فلننظر كيف كانت دراسة الاستاذ الفلاي لهذه الآثار ؟
لقد شاق الاستاذ الفلاي ديوان (الهوى والشباب) للصديق
العطار فتعرض لثلاث قصائد منه هي (السلام) و (بل ربيع
العمر في هذا المكان) و (شقوة) فأثنى ثناء مستطاباً
على شاعرية العطار وفي غمرة هذا الثناء كان النقد يهتف
بالاستاذ أن مهلاً . . فأين مكاني ؟! وتناسى كذلك في
غمرة اعجابه بالعطار أنه وعد الديوان بإيافته حقه من النقد
ولم يقل حقه من التقريظ لقد انصف العطار حقاً ودلل على
أنه يستطيع أن ينصف ! وهنا تتحرك حاسة النقد في الاستاذ
الفلاي ولكن بعد أن يكون قد انتهى من ديوان (الهوى
والشباب) ليستقبل الزمخشري وهو يقدم في تقدير بالغ
(أنشودة الملاح) للاستاذ علي محمود طه ، وأنشودة الملاح
هي القصيدة الأرجوانية في ديوان (أحلام الربيع) وفيها
صور زاخرة بالجمال وخفة جرس وعدوبة ايقاع فماذا
عمل مع الزمخشري ؟! لقد نظر إلى الزمخشري نظرة
رثاء واشفاق وود لو لم يسارع بتقديم هديته للشاعر الكبير .
لماذا ؟! لأن الحيرة ترين على الزمخشري ، الحيرة التي
تدعو إلى الاشفاق وهو يقول :

فمى ترسو سفيني ؟ فلقـد

طال مسراي وإني ؛ لست أدري

ولأنه يقول :

فمتى ترسو سفيني ؟ إنني

حائس سار يريد الأبدية

والحائر لا يعرف ما يريد . . . كأن السائر في طريق الأبدية
يعرف مستقره ! لا يا صديقي ، إنه حائر في خضم الحياة
ضارب في متاهاتها :

يرنو إلى الآباد في وحشة

ودون مسراه رمال ويهد

وحينما يقول الزمخشري :

ومطبق الفك فوق الفك في دعة

ومرسل القول بالتهريج في محن

يقول له الاستاذ الفلاحي : « يا أستاذ زمخشري ! إن
مرسل القول بالتهريج ليس في محن » والزمخشري جلد
مصابر فكلما طعنته الأيام بخنجرها رنا إلى الجرح وابتسم
وراح يضحك منه هازئاً ويسخر من البلوى مقهقها ملء فيه
و (شر البلية ما يضحك) وأعنف الرزايا ما يذهل ! .

أما انتقاده « إذ لا تؤاخذ إلا عشرة اللسن » فاعتقد أن
اللسن هي صفة وليست هنا بمعنى اللسان ، أما الكلمات
التي وصفها بأنها لا شعورية في قول الزمخشري : « ويحه ،

ويلي ، ألا يا ويحه « فاني أخالفه الرأي وأعدّها من مزالتق
الزمخشري لا سيما في هذه القصيدة التي تجلى فيها جمال
السبك وأناقة الصياغة .

أما (فكرة) السباعي . . فلست أدري أنقدها الفلاي
أم قرظها ؟؟ لأن ترجمه في الرأي لا يدع للقاريء سبيلا
لفهم ما يريد أن يقول : أهي قصة ؟ أم رواية ؟ أم ليست
قصة ولا رواية ؟؟ فما هي إذن ؟! ولا أتجنى على الصديق
الفلاي فهذا ما كتبه عنها بالنص : « وها هي فكرة . .
تأليف الأستاذ السباعي . . وانا لا أريد ان انقدها كقصة »
لماذا ؟ « فان فن القصة لا زال يحبو في بلادنا وهو في البلاد
الشقيقة لم يبلغ الذروة ومن العنت أن نريد من (فكرة)
السباعي قصة بلغت الكمال « فهل هي إذن قصة ولكنها
لم تبلغ الكمال ؟ لا يجيب الاستاذ الفلاي ولكنه يقول :
« فهي على كل حال قصة لم يحاول انتاجها أحد غير السباعي »

ثم يحس بالخرج وملاحقة القاريء له فيقول : « أقصد قصة
كبيرة أشبه ما تكون بالرواية لأن السباعي زاول كتابة
القصة الصغيرة ، وإنه مجهود مشكور ولا يرضينا أن نقف
محاولات الأستاذ السباعي عند هذا الحد بل نطلب منه أن
يعاود محاولاته لعلنا نرى منه ما يشرف البلاد في هذه الناحية
من المجال الأدبي » .

هل (فكرة) قصة ؟ إن الفلاحي لا يجب أن يحاول أن يجعلها بين القصة الكبيرة والرواية ويخلص من هذا بقوله : « لأن السباعي زاول كتابة القصة الصغيرة » ولكن هل نجح السباعي في محاولاته ؟ لا يجب الفلاحي أيضا إلا بقوله : « بل نطلب منه أن يعاود محاولاته » وهكذا يرجع النظر القاريء فيما كتبه الفلاحي فلا يخرج منه إلا بترجح الناقد وحيرته ! ولعل مرد هذا كله إلى ما دار أنفا من نقاش طويل حول (فكرة) ، وفي ذهن الناقد صورة مضطربة أو أو غير مفهومة لهذا النقاش، ويخشى أن يتهم بمبالأة السباعي أو محاباة ناقدية، وهكذا فضل أن يلف ويدور ويحجم ويخلص من هذا كله إلى امتداح تعبير السباعي الشعري، ثم يأتينا بنماذج من نثره الشعري المتألق في صفحة من صفحات المنهل ليقول في ختام كلامه : « هذا نموذج من شعر السباعي المرسل وهو في كل نثره شاعر صافي النفس قوي الأداء رقرق العبارة مرفرف الروح !! » كما يقال في وصف قصائد الشعراء : شاعر مشرق الديباجة رائع التصوير جيد السبك ! ونسى الفلاحي أنه في هذا المجال لا يبعث بتحية أو بوصف شاعري، ولكنه يزن أثرا أدبيا انفق عليه بادعه عمراً فهل خلص القاريء إلى شيء من هذا ؟ أو هل يرضى السباعي من الناقد بايراد نماذج من نثره ووصفه بأنه شاعر خصيب الخيال .

وقد وفق الفلاحي فيما كتبه عن (بناء العلم في الحجاز

الحديث) للأستاذ الأنصاري خاصا بايراد نماذج من أسلوبه
تتم بجمال العرض واتساق التعبير وشمول الاحاطة، وفي
امتداحه لأسلوب الصورة الأدبية في مقال (رجل) حيث
يتحدث الأنصاري عن شخصية الشيخ محمد سرور الصبان
ولكن لعل الأنصاري لا يكفي من الناقد بالنظر في أسلوبه
وهو يقدم في (بناء العلم في الحجاز الحديث) تاريخا ودراسة
متعمقة لرجل من كبار الرجال وأفاضلهم إنه لا يعرض
للكتاب إلا من زاوية واحدة فأين بقايا الزوايا ؟ !

ولست أدري لماذا اغتبطت وأنا أقرأ ما كتبه عن (الأنصاري
الشاعر) فما قرأته من شعر الأنصاري إنما هو نزر يسير ،
والنماذج التي أوردتها الفلاحي تدل على أن الأنصاري شاعر
محسن وإن كان مقلا ، شاعر يعنى بأشراق الديباجة وتنويق
العبارة وفخامة الجرس ! والحقيقة أن الأنصاري كان مجيدا
في قوله :

صقل البيان فكان في الشعر

وحي الريح وبسمة الزهر

وحكت قصائده بروعتها

ذهب الاصيل ونسمة الفجر

الطير ترقص من قصائده

طربا وتعرض عن صدى القمري

ولقد اذكرتني أبيات الانصاري أحياناً في وصف الربيع
لشاعر مقل آخر هو الاستاذ محمود محمد شاكر حينما يقول :

أيامه كالغيد نضرها

تروف الصبا وعضارة الحب

زهر نواعم في نضارتها

سحر الحياة وفتنة القلب

تمشى بأنفاس معطرة

تحبى برياً الحب او تسبى

تنساب في النسائم عابثة

عبث الدلال برقة العتب

عطر الحبيب على نسائمها

يذكرى غرام الهائم الصب

هذا ربيع الناس وا حزني

وربيعي الاشواك في قلبي

أحيا الشباب ربيع جهم

-نعموا به - وأماتني حبي

وهكذا ينساب الشاعر هادئاً رشيقاً رفرافاً يسبح في دنيا
الجمال فيرده واقعه الحائر الكسير إلى أسر غرامه وجحيم

هواه وأشواك قلبه، ويرى نفسه وحيداً منفرداً عن دنيا
الناس وعن ربيعهم المشرق الجميل، مجترأ آلامه وأشجانه في
في عزلة كاربة . . . على أنني لست أدري كيف فاتت
لفظة (النسائم) الأستاذ اللغوي القدير محمود شاكر فتغاضى
عنها إذ بدهي أن النسمة لا تجمع على نسائم وإنما تجمع
على نسيم ونسمات وأنسام . . . ولكنه غلط مشهور يقع
فيه كثير من الشعراء ومن وقع فيه أيضاً الجارم يرحمه الله .

هذا استطراد أرجو أن يغفره لي الاستاذ الفلاحي فهو
الذي ساقني إليه بايراده شعر الصديق الانصاري .

وقد اختتم الاستاذ الفلاحي (مرصاده) بالاستاذ حمزة
شحاته فحلل ثلاث قصائد من شعره الرائع وأنا في على
شاعريته الفياضة وفنه الجهير الخلاب ! ثم أصم أذنيه هنا
عن نداء النقد . . . ولأهمس في أذنه إن أي شاعر يا صديقي
كائناً من كان في علو المكانة ورفعة المنزلة وسموق الشاعرية
هو عرضة لأن تغفى شاعريته برهة أو هنيهة عن مجالات
الوحي والالهام فيسب قليلاً أو كثيراً وحينئذ لا بد أن يجد
الناقد في نتاجه ثغرة ينفذ منها أو نافذة يطل على القراء
من خلالها ، لأن هذا عمله كناقد وإذا تأثر الناقد بعواطفه
وانحاز إلى منقوديه فتلك آفة الآفات .

على أن هذا لا يمنعني أن أقول: إن حمزة شحاته شاعر

ملهم حقاً وقد كان مبدعاً في قوله :
فرب ابتسام دونه وغرة الحشا
واعراضه فيها الخنان المحجب
وقبت الأسمى لو انصف الحب بيننا
لما بت أرضي في هواك وتغضب
ولكنه (المقدار) يعث بالفنى
على وضوح وهو البصير المدرب

والمقدار لا يأتي بمعنى المقدور . . .

على أنني لا أعتقد أن الشحاتة يرضي من الفلاحي أن ينعته
بأن شعره يذكره بشعر القدامى وبشعر البحري وجريبر
فالشاعر العصري الذي يرق حتى يقول :

يا حبيبي يا ملتقى السحر والفتة

نة يا غالي على أمر نفسي

لم كانت ولا أسومك لوما

قسمتي في هواك قسمة وكس ؟

الأنى آثرت في حبك القا

هر عزي ذهبت تطلب نفسي ؟

أم لأنني ضحيت بالألم الصا

مت أطوى على المراجع حسى ؟

هذا الشاعر يؤذيه على ما أعتقد أن نصف شاعريته بأنها
تذكر بالشعراء القدامى وإن كان هذا القول في معرض
الثناء والتقدير . . .

وبعد فإن (المرصاد) كتاب طريف جدير بالاعتناء
وأن من يقول: إن الفلاحي تنقصه التزاهة وتخونه الصراحة
فما أصاب، ومهما يكن الأمر فاني لا أجد بداً من الثناء على
مجهوده، ولولا احترامي لأدبه ما تعرضت لتقديحه فاكسر
تحياتي له متمنيا لكتبه الرواج والازدهار (٥) .

(٥) «المهمل»: لقد نفذت نسخ كتاب «المرصاد» بأسرع من لمح البصر،
وكان بذلك أروج كتاب أدبي صدر في هذه البلاد، وقد بقيت الطلبات
تتهال على إدارة المهمل من شتى الجهات ولكن بدون جواب . . .

مطابع الفرزدق التجارية ✉ ٤٧٨٨٥١٠